المقدّمَـــــــةُ

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيّدنا ونبيّنا محمّد، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه.

وبعد:

فإنّ المديح من أقدم أغراض الشّعر العربيّ، وهو والهجاء -على رأي بعض النّقّاد- غرضان أساسيّان تفرّعت عنهما الأغراض الأخرى.

ومهما يكن فإنّ الشّعر العربيّ القديم -بكلِّ أغراضه- صوّر حياة العرب قبل الإسلام تصويرًا واقعيًّا بكل جوانبها، فأظهر طبيعة الإنسان العربيّ، وأبرز ملامح شخصيّته، ونظرته إلى الحياة، وقد تجسّدت بالعادات، والتّقاليد، والقيم، الّتي حكمت سلوكه حيث رأى أنّها مقوّمات وجوده وكيانه، على كافّة مستويات ومجالات حياته. وكان لغرض المديح الدّور الأكبر في ذلك بطبيعته، فهو دعوة صريحة إلى ما كان يراه العرب من الفضائل، فامتدحوه في حياتهم، من الأعمال، والصّفات، والخلال، والسّلوك الخلقيّ، وذلك بتأثير عوامل اجتماعيّة، وطبيعيّة.

ولّما جاء الإسلام ظلّ للشّعر دوره وتأثيره في حياة العرب، فالإسلام لم ينكره، بل عرف له دوره وتأثيره في الحياة الإنسانيّة، فكان في تصوّر الإسلام أداة ووسيلة للدّعوة الإسلاميّة، في بناء المجتمع المسلم، وظلَّ المديح من أبرز وأهمِّ الأغراض الشّعريّة، وقد تأسّس منهجه، وتأصّلت مقوّماته ومقاييسه النّقديّة، في عصر صدر الإسلام.

والموضوع في هذا البحث (شعر المديح في ضوء منهج الأدب الإسلاميّ)، الّذي يقوم على أساس من تصوّر الإسلام للشِّعر عامّة، وشعر المديح خاصّة.

وفيما يلي عرض موجز لأهميّة موضوع البحث، وأسباب اختياره، وأهدافه، والمنهج الّذي سار عليه البحث في إعداده:

أ. **أمّا أهمّية موضوع البحث وأسباب اختياره، فأهمّها:**

١. نظرًا لأهمّية غرض المديح ودوره، حيث كان من أبرز الأغراض الشعريّة منذ فجر الإسلام -إلى جانب غرض الهجاء- على ما كان للشّعر من دورٍ مهمٍّ، ومؤثّرٍ في

الدّعوة الإسلاميّة، فقد كان أحد أهمّ الأسلحة في مواجهة قوى الشّرك والكفر، وقد ارتقى به الإسلام ((حتّى جعله ضربًا من ضروب الجهاد، وألحقه بفريضةٍ من أجلّ الفرائض))[1].

٢. وغرض المديح في التّصوّر الإسلاميّ أداة مهمّة في نشر الفضيلة، ومحاربة الرّذيلة، وذلك في تمثّله للقيم الإسلاميّة، في فضائل الأعمال، والأخلاق، في سلوك الصّالحين، فذلك هو دوره الرّئيس في التّصوّر الإسلاميّ.

٣. للمديح سمات وخصائص لابدّ من توافرها ليكون مقبولاً، في منهج الأدب الإسلاميّ، على أساسٍ من تصوّر الإسلام للمديح المقبول، كي يكون جديرًا بأداء دوره في حياة الأمّة الإسلاميّة. ومعرفة هذه السّمات والخصائص من الأهمّية بمكان، إذ إنّها تشكّل المحور الرّئيس الّذي يتركّز عليه البحث في موضوعه.

٤. كما أنّ البحث يكشف عن سمات وخصائص المديح غير المقبول، الّذي يرفضه الإسلام، لما له من آثار سلبيّة في حياة المسلمين أفرادًا وأمّة.

٥. وكون موضوع البحث يشتمل على قضايا مهمة، في جوانب مختلفة، شرعيّة واجتماعيّة ونقديّة، لها مساس بحياة المسلمين بصورةٍ مباشرة، ومن ذلك موقف منهج الأدب الإسلاميّ من مذهب (الفنّ للفنّ). وذلك ممّا يظهر أهمّية منهج الأدب الإسلاميّ، في تقويم شعر المديح ونقده، بل وأهمّيته في التّعامل مع المذاهب النّقديّة الأخرى.

٦. لم يُدرس هذا الموضوع من قبل، في دراسة خاصّة، أو بحث مستقلّ -على حدّ علم الباحثة- على الرّغم من كثرة الدّراسات، والأبحاث في الأدب الإسلاميّ ومنهجه النّقديّ.

---

(١) نحو مذهب إسلاميّ في الأدب والنّقد، د. عبد الرّحمن رأفت الباشا، دار الأدب الإسلاميّ، ط٤، القاهرة، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ص ١٧.

ب. أهداف البحث:

وأمّا أهداف البحث، فتتلخّص فيما يلي:

١. بيان موقف الإسلام من الشّعر، وذلك من خلال ما ورد بشأنه في أصول الشّريعة الإسلاميّة.

٢. الوقوف على مشروعيّة المديح في الشّريعة الإسلاميّة.

٣. الكشف عن أسس منهج الأدب الإسلاميّ في تقويم شعر المديح ونقده.

٤. الكشف عن مقوّمات المديح المقبول، بسماته وخصائصه، وذلك في إطار المعايير الّتي يعتمدها منهج الأدب الإسلاميّ أساسًا للمديح المقبول.

٥. الكشف عن معايير المديح غير المقبول، وهي نواقض معايير المديح غير المقبول.

٦. الكشف عن محاذير المديح غير المقبول، وما ينتج عنها من آثارٍ سلبيّةٍ، وما يتعلّق من ذلك بالمادح، والممدوح، والمجتمع.

٧. دور المديح المقبول وأثره في حياة المجتمع المسلم، والعوامل المؤثّرة في هذا الدّور إيجابًا أو سلبًا.

٨. استجلاء صورة المديح المقبول، وكذلك المديح غير المقبول، في منهج الأدب الإسلاميّ.

٩. بيان غاية منهج الأدب الإسلاميّ في تقويم شعر المديح، ونقده، وموقفه من المذاهب النّقديّة الأخرى، وبالأخصّ مذهب الفنّ للفنّ.

ج. الدّراسات السّابقة:

بعد البحث في المكتبات الحكوميّة والخاصّة، ودور النّشر، وغيرها من الجهات المختصّة المعنيّة بالكتب، والرّسائل العلميّة، لم أجد دراسة مستوفية تناولت هذا الموضوع في بحث أو في رسالة مستقلّة، إلاّ أنّي لا أدّعي السّبق، فقد تطرّق لهذا الموضوع كلّ من :

١- د. ابتسام مرهون الصّفّار في كتاب " الأمالي في الأدب الإسلاميّ " .

وقد تناولت فيه شعر المديح الّذي كان يرتضيه الرّسول الكريم، وصحابته -رضوان

الله عليهم- وأبرزت السّمات الّتي يجب أن يتّصف بها شعر المديح الإسلاميّ، كأن يمتدح الممدوح بتقواه، أو بدينه، وليس بأوصافه الشّكليّة، وإلاّ يكون في المديح غلوّ أو إفراط.

ويدخل في هذا الإطار كل الشّعر الّذي قيل في مدح الرّسول الكريم ﷺ، فهو ليس مدحاً لشخصه وذاته بقدر ما هو مديح لمكانته ونبوّته، وتوكيداً للرّسالة السّماوية الّتي بُعث بها.

٢- د. مصطفى العليّان في كتاب " نحو منهج إسلاميّ في رواية الشّعر ونقده".

يذكر فيه المؤلّف بعضاً من مرويّات المديح الشّعريّة في عهد الرّسول ﷺ والخلفاء الرّاشدين، ولكنّها لا تتجاوز بضع ورقات.

٣- والأستاذ: محمّد ضياء الدّين الصّابوني عضو رابطة الأدب الإسلاميّ العالميّة في كتاب "نفحات من الأدب الإسلاميّ".

تناول المديح فيه المؤلّف عارضاً للشّعراء الّذين مدحوا الرّسول ﷺ دون أن يهدف إلى التّأصيل والتّقعيد، ولكن كان غرضه عرض الشّعراء الّذين مدحوا الرّسول ﷺ.

٤- كتابا، أ.د. وليد إبراهيم قصّاب (شخصيّات إسلاميّة في الأدب والنّقد) و (النّظرة النّبويّة في نقد الشّعر).

فهو عرض مركّز يهدف به إلى التّأصيل الشّرعيّ وذلك من خلال رجوع المؤلّف إلى أحاديث الرّسول ﷺ وشروحها، وموقفه ﷺ من شعر المديح.

٥- د. أحمد بدوي في كتاب " أسس النّقد الأدبيّ عند العرب".

فقد تناول هذا الغرض الشّعريّ من وجهة نظر نقديّة صرفة، و لم يكن للنّظرة الإسلاميّة أثر بارز فيها.

٦- الأستاذ إميل ناصف في كتاب " أروع ما قيل في المدح".

فقد تناول غرض المديح بشكل موجز: المديح، وعوامل نشأته، وتطور المديح، وأنواع المديح.

٧- د. ناصر بن عبد الرّحمن الخنين في كتاب " الالتزام الإسلاميّ في الشّعر".

كان الهدف منه تقعيد وتأصيل قضية الالتزام الإسلاميّ في الشّعر عامّة، وتبعاً لذلك، فقد نالت موضوعات الشّعر في عهد الرّسول ﷺ العناية والاهتمام.

وغيرها من الكتب العديدة، فأغلب ما وجدت من كتب، إمّا أنّه يتناول شعر المديح فيها بوصفه قضيّة نقديّة، أو يتناول المديح في كتب الأدب الإسلاميّ بشكل موجز وسريع.

أمّا الهدف من هذا البحث فهو معرفة الموقف الإسلاميّ من شعر المديح خاصّة، لذلك أردت أن أفصّل القول في هذا الغرض الشّعريّ بالتّأصيل الشّرعيّ من خلال الرّجوع للقرآن الكريم، والحديث الشّريف، وآراء العلماء، والمفسّرين، والمحدّثين، والفقهاء حول هذا الغرض.

د. منهج البحث:

وقد اعتمدت منهجًا يجمع بشكل متكامل بين المنهج الوصفيّ، والتّحليليّ الاستقرائيّ في معالجة موضوعات البحث، بغية تحقيق أهدافه الّتي تتمثّل باستجلاء صورة المديح المقبول، وكذلك المديح غير المقبول في منهج الأدب الإسلاميّ.

هـ. خطّة البحث:

وأمّا خطة البحث فتتألّف من مقدّمة، وتمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة.

- أمّا المقدّمة، فقد تقدّم عرضها.
- وأمّا التّمهيد، فتضمّن مفهوم شعر المديح، ومكانته في الأدب العربيّ، ومشروعيّة المديح.

- وأمّا فصول البحث، فعددها أربعة:

الفصل الأوّل: معايير المديح المقبول. وقد اشتمل على تمهيد تضمّن موقف الإسلام من الشّعر، وخمسة مباحث:

- المبحث الأوّل: المديح بالقيم الإسلاميّة.
- والمبحث الثّاني: عدم التّكسّب بالمديح.
- المبحث الثّالث : عدم المبالغة في المديح.
- والمبحث الرّابع: مدح مَنْ يستحقّ (الصّدق).
- والمبحث الخامس: عدم القطع بالمديح.

وهذه المعايير يستمدّها منهج الأدب الإسلاميّ من الشّريعة الإسلاميّة، وهي تجسّد تصوّر الإسلام لشعر المديح المقبول، أن يكون أداةً في الدّعوة الإسلاميّة، وبناء المجتمع المسلم، وذلك بنشر الفضيلة ومحاربة الرذيلة.

والفصل الثّاني: مزايا المديح المقبول. ويشتمل على ثلاثة مباحث:

- المبحث الأوّل: إشاعة القيم الخيّرة.
- والمبحث الثّاني: الاعتراف بفضل الصّالحين.
- والمبحث الثّالث: تشجيع الصّالحين وتثبيتهم.

وهذه المزايا للمديح المقبول ترتبط بمعاييره ارتباط المقدّمات والأسباب بالنّتائج، وهي السّمة الرّئيسة للمديح المقبول.

والفصل الثّالث: محاذير المديح غير المقبول. ويشتمل على ثلاثة مباحث:

- المبحث الأوّل: ما يتعلّق بالمادح.
- والمبحث الثّاني: ما يتعلّق بالممدوح.
- والمبحث الثّالث: ما يتعلّق بالمجتمع.

وتتمثّل هذه المحاذير بالمخالفات الشّرعيّة، من الوقوع في الكذب، والمبالغة

المجاوزة للحدّ، وفي ذلك إثم كبير، قد يفضي إلى الشّرك والكفر.

وتتعلّق هذه المحاذير بالمادح، والممدوح، والمجتمع، من حيث الأسباب، والآثار السّلبيّة (الضّارّة) بالفرد والمجتمع.

والفصل الرّابع: النّماذج المنقودة من شعر المديح، ويشتمل على مبحثين:

- المبحث الأوّل: المديح المقبول.
- والمبحث الثّاني: المديح المردود.

وذلك بعرض نماذج من كلا الضّربين من المديح، منقودة في السّنّة، وفيما أثر عن الصّحابة، والعلماء، والأدباء، والنّقّاد القدماء، ومَنْ يُحتجّ بهم بصفةٍ عامّة.

وأمّا **الخاتمة**، فتضمّنت عرضًا موجزًا لأهمّ موضوعات البحث وأفكاره الرّئيسة، وأهمّ النّتائج.

الفهارس.

و. الصّعوبات:

لقد نشأت بعض الصّعوبات أثناء إعداد البحث، وأبرزها:

أنّ بعض مفردات موضوعات البحث في الخطّة تتقارب كثيرًا، لدرجة التّداخل، وأشير هنا إلى معيار (المديح بالقيم الإسلاميّة) فإنّ فحواه الدّعوة إلى المديح بالقيم الإسلاميّة، فلا يكاد يتميّز عن مزيّة المديح المقبول في (إشاعة القيم الخيّرة)، وهل تتحقّق هذه المزيّة إلا بالدّعوة إلى القيم الإسلاميّة (الخيّرة)؟ فتطلّب ذلك مزيدًا من الوقت.

وتمّ التّغلّب على هذه الصّعوبة بعون الله تعالى، وبفضل توجيه سعادة الأستاذ الدّكتور/ وليد قصاب، المشرف على الرّسالة.

وبعد..

أحمد الله -عزّ وجلّ- الّذي ذلّل لي الصّعاب، وأعانني على إعداد هذه الرّسالة، فإنْ أصبت فذلك بفضل توفيق الله تعالى، وإن كان خلاف ذلك فحسبي أنّني أخلصت النّيّة، وبذلت كلّ ما بوسعي و لم أدّخر جهدًا.

وأقدّم أسمى معاني الشّكر والعرفان إلى مَنْ حرصا على تعليمي، وتوجيهي إلى التّحصيل العلميّ والإخلاص فيه، وعلّماني كيف يكون الصّبر على المصاعب، ومواجهة الشّدائد بالإيمان والعمل الدّؤوب، إلى والديَّ الكريمين، والدي الّذي رأيت فيه مثال الجدّ في العمل والصبر بإيمان على تصاريف الأيّام، وهو يعاني مرضًا أقعده منذ سنوات، ووالدتي الّتي انتقلت إلى جوار ربها -رحمها الله وأسكنها فسيح جنّاته- تظلّ حاضرةً بوجداني، تردد بخاطري نصائحها، وكان آخر العهد بها هذه النّصيحة الّتي أسدتها إليَّ: (اعملي ما يرضي ربّك)، فجزى الله والديَّ عنّي خير الجزاء.

وأتقدّم بخالص الشّكر الجزيل، والتّقدير، والعرفان بالجميل إلى سعادة الأستاذ الدكتور وليد قصّاب، ولا تكافئ الكلمات جميل صنيعه، فقد كانت هذه الرّسالة -بتوفيق الله تعالى- بفضل رعايته الأبويّة، وتوجيهه السّديد، وخبرته التّربويّة والعلميّة، فلم يألُ جهدًا في تذليل الصّعاب، فيسّر لي السّبيل إلى إنجاز هذه الرّسالة، فجزاه الله عني خير الجزاء، وأجزل له الأجر والثّواب في الدّنيا والآخرة.

والشّكر موصول للأستاذ/ بدر المقبل، عضو هيئة التّدريس في كليّة اللغة العربيّة، بجامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة، فله الفضل في تشجيعي على دراسة موضوع هذه الدّراسة، والاهتمام به، ومدّ يد العون والمساعدة، فجزاه الله خيرًا.

والشّكر لجامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة، ممثّلةً بمديرها، وعميد كليّة اللغة العربيّة، ووكيل الكليّة للدّراسات العليا، ورئيس قسم البلاغة والنّقد ومنهج الأدب الإسلاميّ، لاهتمامهم بشؤون الدّارسين والباحثين، لتظلّ هذه الجامعة تؤدّي دورها المتميّز

في تقدّم التّعليم العالي وتطويره، في وطننا العزيز.

وأتقدّم بالشّكر إلى كلّ مَنْ قدّم لي مساعدةً أو أسدى إليّ نصيحةً، في سبيل إنجاز هذه الرّسالة.

وأخيرًا، فإن كنتُ وُفِّقت في هذه الرّسالة، فإنّما ذلك بفضل من الله تعالى، وإن كان غير ذلك فعذري أنّي لم أدّخر جهدًا، ولله الأمرُ من قبل ومن بعد.

والحمد لله ربّ العالمين.

الباحثة

التّمهـــــــيد

١. مفهوم شعر المديح.

٢. مكانة شعر المديح في الأدب العربيّ.

٣. مشروعيّة المديح.

أ. ما مدح به القرآن الصّالحين.

ب. استماع النَّبيِّ -صلَّى الله عليه وسلّم- إلى مديح الشّعراء.

ج. أمر النَّبيِّ -صلَّى الله عليه وسلّم- بعض الشّعراء بمديح الصّالحين.

د. استماع الخلفاء الرّاشدين والصّحابة إلى مديح الشّعراء لهم.

١. مفهوم شعر المديح:

المديح على وزن فعيل، وهو لغةً مصدر مَدحَ يَمْدَحُ، ذلك على قول بعض اللغويين. والصّحيح أنّ المصدر (المدح). يُقال: مَدَحه يمْدَحُه مدحًا ومدحةً. والمدحة الاسم، وجمعها مِدَح. فالمديح اسم مشتقّ من المدح، ويجمع على مدائح، وأماديح على غير قياس، وهو الشّعر الّذي يُمدح به، كالمدحة والأمدوحة. وتمدّح: تكلّف أن يُمدح، والمُمَدَّح الممدوح كثيرًا. وتمدّح افتخر. يُقال: فلان يتمدّح، إذا كان يُقرِّظُ نفسه ويثني عليها[١].

و ((المدح: نقيض الهجاء، وهو حسن الثّناء))[٢]. وقيل: ((المدح بمعنى الوصف الجميل، يقابله الذّمّ. وبمعنى عدِّ المآثر، ويقابله الهجو))[٣].

وعُرّف المدح في الاصطلاح الأدبيّ بأنّه ((ذكر مناقب شخص أو هيئةٍ اجتماعيّة، أو مزايا عمل من الأعمال، في خطابٍ علنيّ نثرًا أو شعرًا))[٤].

وعُرّف أيضًا بأنّه: ((الثّناء على إنسانٍ بذكر أفضاله، وتعداد خلاله الكريمة وخصاله العظيمة))[٥].

وعُرّف المدح بأنّه: ((الثّناء على الممدوح بذكر الصّفات الحميدة. وهو غرض من أغراض الشّعر الغنائيّ، يعبّر عن عاطفة التّقدير أو الشّكر والثّناء، ويتغنّى بمآثر الممدوح))[٦].

---

(١) انظر: لسان العرب، لابن منظور، (مدح). دار صادر، ط ٣، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م. وانظر: القاموس المحيط، للفيروز آبادي (مدح)، دار إحياء التّراث العربيّ، مؤسّسة التّاريخ العربيّ، ط ١، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

(٢) لسان العرب، لابن منظور (مدح).

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس، (مدح) للزّبيديّ، تحقيق: علي شيري، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

(٤) معجم المصطلحات العربيّة في اللغة والأدب، مجدي وهبة – كامل المهندس، مكتبة لبنان، ط ٢، بيروت، ١٩٨٤م، ص ٣٤٣.

(٥) الشّعر الجاهليّ، د. محمّد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت، ١٩٨٦م، ص ٢٣٩.

(٦) معجم النّفائس، إشراف: د. أحمد أبو حاقة، دار النّفائس، ط١، بيروت، ١٤٢٨هـ، (مدح): ١١٥٩.

فالمدح هو حسن الثّناء على شخص، أو جماعة، أو فئة، أو قوم من النّاس، بذكر محاسنهم من الصّفات وفضائل الأعمال. ويكون المدح كذلك لشعبٍ أو أمّةٍ، بذكر مناقبها ومآثرها، وبكلّ ما هو مستحسن من خصائصها.

فالمديح في حقيقته مديح الفضائل وتمجيدها[1]، فتوجيه المديح للممدوح إنّما هو نسبتها إليه.

والمديح بطبيعته يجري على سبيل الاستحسان والإعجاب من المادح، أيًّا كان موضوعه أو جانبه فيما يخصّ الممدوح، من الصّفات والأعمال الفاضلة، فكلّ ما يُمدح به الإنسان هو أمرٌ محمود عند المادح، ومحبّبٌ عند الممدوح، فكما يقول أبو البقاء الرّنديّ: "المدح محبوب بالطّبع، شهيٌّ للسّمع، والنّفوس في حبِّه متّفقة، وفي دواعيه مفترقة، فالكريم يجود ويبذل المجهود، واللئيم يتعلّل ويحبّ أن يحمله بما لم يفعل"[2]. فالنّفوس البشريّة تتوق إلى المديح على اختلافها، فتهتزّ له وتطرب، وهو مبعث فخر للممدوح، بما يُمدح به، سواءً أكان فردًا، أم جماعة، أم أمّة. ولذلك كان لشعر المديح أهميّة كبيرة، ومكانة خاصّة في الحياة الإنسانيّة.

٢. مكانة شعر المديح في الأدب العربيّ:

المديح أحد أغراض الشّعر العربيّ منذ القديم، وهي متعدّدة، كما قد بيّنها الأدباء والنّقّاد القدماء، وبعضهم ردّها جميعًا إلى غرضي (المديح والهجاء)، على أنّهما الغرضان الرّئيسان، وتفرّعت عنهما الأغراض الأخرى[3]. وعلى ذلك فإنّ المديح من أوسع أبواب

---

(١) انظر: تلخيص كتاب أرسطو طاليس في الشّعر، أبو الوليد بن رشد (٥٢٠ - ٥٠٥) ومعه جوامع الشّعر للفارابي، تحقيق وتعليق: د. محمود سليم سالم، لجنة إحياء التّراث الإسلاميّ، القاهرة، ١٣٩١هـ/١٩٩٧م، ص ٧١، ٧٥، ٧٩ - ٨٠، ١٢٣. وانظر: جوهر الكتر - تلخيص كتر اليراعة في أدوات ذوي البراعة، نجم الدين أحمد بن إسماعيل بن الأثير الحلبيّ (٧٣٧هـ)، تحقيق: د. محمّد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندريّة، ١٩٨٠م، ص ٣٤٧.

(٢) الوافي في نظم القوافي، أبو الطيّب صالح بن شريف الرّنديّ الأندلسيّ، مخطوطة في المكتبة التّيمورية بدار الكتب المصريّة، ٦٠٣ أدب، ص ٣٢، عن: تاريخ النّقد الأدبيّ في الأندلس، د. محمّد رضوان الدّاية، مؤسّسة الرّسالة، ط ٢، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص ٤٥٩.

(٣) انظر: العمدة في صناعة الشّعر ونقده، لابن رشيق، تحقيق: د. النّبوي عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي، ط١، القاهرة، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ١/١٩٥.

الشّعر العربيّ، إن لم يكن أوسعها جميعًا، وذلك لكثرة ما قال فيه الشّعراء، فهو ((ديوان العرب، والوثيقة الباقية على ما كان فيهم من كرم الشّمائل والخصال))[1]. وكما قال الجاحظ: ((فكلّ أمّة تعتمد في استبقاء مآثرها، وتحصين مناقبها على ضربٍ من الضّروب، وشكلٍ من الأشكال))[2]، وقال: ((وكانت العرب في جاهليّتها تحتال في تخليدها، بأن تعتمد في ذلك على الشّعر الموزون، والكلام المقفّى، وكان ذلك هو ديوانها. وعلى أنّ الشّعر يفيد فضيلة البيان، على الشّاعر الرّاغب، والمادح، وفضيلة المأثرة على السّيّد المرغوب إليه، والممدوح به))[3].

فالمديح يلبّي حاجةً مهمّةً من حاجات النّفس البشريّة، تتوق إليها بالفطرة، على مستوى الفرد، والجماعة، والأمّة، فالإنسان مفطور على حبّ المديح. فكان أمرًا طبيعيًّا أن يحفل العرب منذ القديم بشعر المديح ويولوه أهميّةً كبيرة، فتراهم يجيزون الشّعراء عليه، لأنّهم وجدوا فيه الوسيلة والأداة الفعّالة، لتخليد مناقبهم ومآثرهم، وذلك من خلال ما يُمدحون به من كريم الخلال ((كالشّجاعة، والكرم، والعفّة، والنّجدة، والبأس، والعدد، ونحو ذلك من الشّمائل الّتي كانت من دأبهم، والّتي كانوا يفاخرون بها))[4]. فهذه الخلال قيم كبيرة مهمّة، ترسّخت في نفوسهم، حسب مفاهيمهم وتقاليدهم، الّتي تكوّنت بتأثيرٍ من طبيعة حياتهم، في مختلف جوانبها الماديّة والمعنويّة، في كلّ مجالات النّشاط الّتي تطلّبتها حياتهم قبل الإسلام. فلبّى الشّعراء رغبة مجتمعهم، أفرادًا، وجماعات، وقبائل، حسب تكوين المجتمع العربيّ آنذاك -قبل الإسلام- إذ سخّروا فنّهم الشّعريّ لهذا الغرض، فكان لشعر المديح قيمة كبيرة في مضامينه وفي نهجه الفنّيّ، وذلك بما كان له من عظيم الأثر في ترسيخ القيم الفاضلة، ومعنى ذلك أنّه يرتبط في الأساس بالفضيلة، فكما يقول الدّكتور أحمد أبو حاقة: ((نشأ فنّ المديح عند العرب إعجابًا بالفضيلة، وثناءً على صاحبها، وحبًّا

---

(١) التّيارات المعاصرة في النّقد الأدبيّ، د. بدوي طبانة، مكتبة الأنجلو المصرّية، ص ١٥٦.

(٢) الحيوان، أبو عثمان بن عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح: محمد عبد السّلام هارون، المجمع العلميّ العربيّ الإسلاميّ، ط ٣، بيروت ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م، ٧١/١.

(٣) المصدر السّابق، ٧٢/١.

(٤) الشّعر الجاهليّ، د. محمّد عبد المنعم خفاجي،، ص ٢٣٩.

بالجليل من الأعمال، واهتزازًا أمام الأريحيّة، وأمام الشّجاعة، وإكبارًا للمروءة، وتقديرًا للنّبل، وحثًّا على كلّ ما من شأنه أن يسير بالإنسان نحو الأفضل من الأوضاع، وأن يحقّق ما ترنو إليه المجتمعات من كمالٍ تنشده))[1]. فشعر المديح دعوة إلى الفضائل بامتداحها وإكبار أصحابها، وإعلاء شأنهم، فهو وسيلة لإذاعتها ورفع صيت أصحابها (الممدوحين)، بل تخليد مآثرهم، فهو سجلّ أمين، عظيمٌ دوره في هذا الشّأن. ((كتب أرسطو طاليس إلى الإسكندر: أنّ كلّ شيءٍ يأتي عليه الدّهر، فيخلق أثره ويموت ذكره، إلاّ ما رسخ في القلوب من الذكر الحسن تتوارثه الأعقاب))[2].

وروي عن عمر بن الخطّاب ﷺ، أنّه قال لبعض ولد هرم بن سنان: ((أنشدني بعض مدح زهيرٍ أباك، فأنشده، فقال عمر: إن كان ليحسن فيكم القول. قال: ونحن والله إن كنّا لَنحسنُ له العطاء. فقال: قد ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم))[3].

وممّا يروى في هذا السّياق أيضًا: ((جاء نصيب الشّاعر أبو محجن إلى عبد الله بن جعفر، فحمله وأعطاه وكساه، فقال قائل له: يا أبا جعفر! أعطيت هذا الحبشيّ هذه العطايا؟ قال: وما ذاك؟ إنّما هي رواحل تُنضى، وثياب تبلى، وثناء يبقى))[4].

والرّوايات في هذا السّياق كثيرة، ممّا يدلّ على أثر شعر المديح في رفع الشّأن في المجتمع العربيّ، على نحو ما يروى أن المحلّق[5] قد خمل ذكره زمنًا، وصادف أنّ الأعشى قدم مكّة، فسبق المحلّق إلى استضافته، فمدحه بقصيدة[6]، فعاد النّاس يخطبون ودّه،

---

(١) فنّ المديح، د. أحمد أبو حاقة، دار الشّرق، ط١، بيروت، ١٩٦٢م، ص ١٥.

(٢) محاضرات الأدباء ومحاورات الشّعراء، للرّاغب الأصفهانيّ، اختصار: إبراهيم زيدان، دار الجيل، ط٢، بيروت، ١٤٠٦هـ، ص ١٥١.

(٣) الأغاني، ٣٥٤/١٠.

(٤) كتاب مكارم الأخلاق، لابن أبي الدّنيا، تحقيق: جميز. أ. بلمي، دار فرانز شتاينر بفيسبادن، ١٣٩٣هـ، ص ١٢٨.

(٥) هو عبد العزّى بن حنتم بن شدّاد، من بني عامر بن صعصعة، سُمِّيَ بالمحلّق لأثر عضّة حصان له، في وجهه كالحلقة. انظر: العمدة، ٥٨/١.

(٦) ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، تحقيق: د. حنّا نصر الحتي، دار الكتاب العربيّ، ط٢، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص ٢٢٩ ــ ٢٣٨.

ويعرفون له منزلته[1].

ومن مدحة الأعشى للمحلّق قوله[2]:

نفى الذَّمَّ عن آل المحلّقِ جفنــةٌ كجابيةِ الشيخِ العِراقــيِّ تفهــقُ[3]

ترى القومَ فيها شارعين وبينهم مع القوم وِلدانٌ من النّــسلِ دردقُ[4]

وقوله:

ترى الجودَ يجري ظاهرًا فوق وجهِهِ كما زانَ مَتْنَ الهنــدوانيِّ رَوْنَــقُ

وهكذا قد عرف العرب منذ القديم أهميّة المديح، فاحتفوا به، فهو كما يقول الدّكتور سامي الدّهّان: ((فنّ الثّناء، والإكبار، والاحترام، قام بين فنون الأدب العربيّ مقام السّجلّ الشّعريّ لجوانب من حياتنا التّاريخيّة، إذ رسم نواحي عديدة من أعمال الملوك، وسياسة الوزراء، وشجاعة القوّاد، وثقافة العلماء، فأوضح بذلك بعض الخفايا، وكشف عن بعض الزّوايا، وأضاف إلى التّاريخ -صادقًا أو كاذبًا- ما لم يذكره التّاريخ، فساعد على إبراز كثيرٍ من الصّفات والألوان. لم تكن تُعلم لولاه، وزاد من شهرة أناسٍ كثيرين أحاطهم بالرّعيّة، ورفعهم إلى الذّروة، فجعلهم في مصافّ الأعلام))[5].

وبناءً على ما تقدّم، فإنّ مكانة شعر المديح في الأدب العربيّ لَممّا يدفع الدّعوات الّتي يذهب أصحابها إلى أنّ الأدب العربيّ القديم أدب (شخصيّ) ومنه المديح، فهو لا يعني سوى السّيّد الممدوح والشّاعر المادح، فلا فائدة فيه إلاّ كسب المال للشّاعر، وكسب المديح للممدوح[6]. ويدفع العقّاد مثل هذه الدّعوات حيث يقول: ((فلولا أنّ المجتمع

---

(١) انظر: العمدة، لابن رشيق، ١/٥٨ - ٥٩.

(٢) المصدر السّابق، ١/٥٩. والأبيات من قصيدته المشار إليها في ديوانه.

(٣) رواية الدّيوان (السّيح) بالسين المهملة، وهو الماء الظّاهر الجاري على وجه الأرض. لسان العرب (سيح). والجابية: الحوض الّذي يُجبى فيه الماء، أي يُجمع فيه. وجمعها الجوابي. وخصّ العراقيّ لجهله بالمياه لأنّه حضريّ، فإذا وجدها ملأ جابيته وأعدّها، ولم يدرِ متى يجد المياه، لسان العرب (جبى).

(٤) الدّردق: الصّبيان الصّغار، والصّغير من كلّ شيء، لسان العرب (درق). وشارعين: من شرع الوارد في الماء؛ تناوله بفيه أو بكفّه. ومنه شرع إبله وشرّعها: أوردها شريعة الماء. لسان العرب (شرع).

(٥) المديح، د. سامي الدّهّان، دار المعارف بمصر، ط٢، القاهرة، ص ٥.

(٦) أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، عبّاس محمود العقّاد، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٩٥م، ص ٩٨ - ٩٩. بتصرّف.

يستفيد شيئًا من القصيدة ويحفظها لهذه الفائدة لما احتفى بها الممدوح، ولا جاشت بها ملكة التعبير في الشّاعر))[1]. ويؤكّد العقّاد على ذلك، فيتابع يقول: ((إنّ المجتمع يستفيد من القصيدة أنّها تحيي فيه أخلاقًا لا قوام له بغيرها في قيادته، وسياسته، ومعاملاته المتبادلة بين أفراده، وتلك هي أخلاق الشّجاعة، والرّأي، والحزم، والكرم، والمروءة، والحياء، وشمائل النّبل والفداء، ولم يخطئ أبو تمّام حين قال[2]:

ولو لا خلالٌ[3] سنّها الشّعر مـــا درى بغاة العلا من أين تُؤتى المكارمُ))[4].

ولقد ظلّ لشعر المديح دوره المهم والمؤثّر على مدى تاريخ الأدب العربيّ، وأكثر ما عُرف دوره عند ما جاء الإسلام، فتحوّل به إلى حياةٍ جديدة، فصحّح مساره، وجعل منه وسيلة وأداة في الدّعوة الإسلاميّة، وفي بناء المجتمع الإسلاميّ الجديد، حيث أُنيطت به مهمّة نشر الفضيلة ومحاربة الرّذيلة.

٣. مشروعيّة المديح:

المديح قول مشروع، بمعنى جائز مباح بصفةٍ عامّة، في سائر ضروب الكلام، من النّثر والشّعر، وله أدلّة في أصول الشّريعة الإسلاميّة، الكتاب والسنة، والمأثور عن الخلفاء الرّاشدين، والصّحابة عامّة.

ومّما يدلّ على مشروعيّته:

أ. ما مدح به القرآن الصّالحين، فقد ورد في آياتٍ كثيرة ثناء الله تعالى على فئاتٍ من عباده المؤمنين، من الأنبياء، والرّسل، وأتباعهم، بصفة الإيمان وما يدعو إليه من الفضائل، ومن ذلك:

الثّناء على رسول الله ﷺ، قال تعالى: "لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ

---

(١) المصدر السّابق، ص ٩٩.
(٢) ديوان أبي تمام، شرح الخطيب التّبريزيّ، تحقيق: محمد عبده عزّام، دار المعارف، ط٣، القاهرة، ١٩٦٤م، ١٨٣/٣.
(٣) روي (سبيلٌ) بدل (خلال). زهر الآداب وثمر الألباب، أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، تحقيق: علي محمّد البجّاوي، دار إحياء الكتب العربيّة، ط٢، القاهرة، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، ١٨/١.
(٤) أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، للعقّاد، ص ٩٩.

عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ "[1]، وقوله تعالى: "وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ "[2].

وأحيانًا يرد في سياقٍ واحد الثّناء على الرّسول ﷺ، وعلى الذين آمنوا معه (صحابته) ويشمل الثّناء كلّ من اقتفى أثرهم[3]. قال الله تعالى: "﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ٢٩﴾"[4].

وورد الثّناء على الأنبياء، والرّسل، وعلى المؤمنين في مواضع كثيرة، بصفة الإيمان، وعملهم الصّالح أو الصّالحات، كما في هذه الآية، وبوصفهم بـــ (الصّالحين). وهذه التّعابير مشتقّة من (الصّلاح) وهو معنىً يعبّر عن الإيمان، وما يدعو إليه من الأخلاق والأعمال الفاضلة بصورةٍ فعليّة. فمن ذلك:

الثّناء على الأنبياء، والرّسل بصفة الصّالحين، كالثّناء على إبراهيم عليه السلام ﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٣٠﴾[5].والثناء على لوطٍ عليه السلام: ﴿وَأَدۡخَلۡنَٰهُ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٧٥﴾[6].

ومن الثّناء على المؤمنين بالعمل الصّالح قوله تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢﴾[7]. وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

---

(١) سورة التّوبة، الآية: ١٢٨.
(٢) سورة القلم، الآية، ٤.
(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق: سامي بن محمّد السّلامة، دار طيبة، ط٤، الرّياض، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ٣٦٣/٧. بتصرّف.
(٤) سورة الفتح، الآية ٢٩.
(٥) سورة البقرة، الآية ١٣٠.
(٦) سورة الأنبياء، الآية ٧٥.
(٧) سورة البقرة، الآية ٦٢.

وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[1].

وهذا الثّناء الجليل ذكرٌ من الله وفضلٌ منه سبحانه وتعالى، يشمل كلَّ من أقام حياته على الإيمان بالله تعالى، وطاعته وطاعة رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ﴾[2].

ذلك من القرآن ممّا يدلّ على مشروعيّة المديح في الشّعر وغيره.

وممّا يدلّ على مشروعيّة المديح في الشّعر الآية الأخيرة من سورة الشّعراء، فقد رسمت صورةً للشّعر الّذي يرتضيه الإسلام، وذلك في وصف فئة الشّعراء المؤمنين، وقد استثناهم الله تعالى من عامّة الشّعراء، فقال تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ ﴾[3]. وفي هذا الوصف ثناءٌ من الله تعالى عليهم، فهم كما يقول الزّمخشريّ: ((يكثرون من ذكر الله وتلاوة القرآن، وكان ذلك أغلب عليهم، وإذا قالوا شعرًا قالوه في توحيد الله والثّناء عليه، والحكمة والموعظة، والزّهد والآداب الحسنة، ومدح رسول الله ﷺ، والصّحابة، وصلحاء الأمّة، وما لا بأس به من المعاني، الّتي لا يتلطّخون فيها بذنبٍ، ولا يتلبّسون بشائنة، ولا منقصة، وكان هجاؤهم على سبيل الانتصار ممّن يهجوهم))[4]. فالمديح الّذي يرتضيه الإسلام ويدعو إليه، هو ما تضمّن ذكر الله تعالى، وتوحيده، وحمده، والثّناء عليه -سبحانه وتعالى- أو ذكر الرّسول ﷺ ومديحه، وتبيين فضائله، والذّبّ عنه، وعن الإسلام والمسلمين عامّةً، ومدح الصّحابة والصّالحين، أي أن يكون مديحًا بالقيم الإسلاميّة. ويرى بعض العلماء -كما عند

---

(١) سورة البقرة، الآية ٨٢.

(٢) سورة النّساء، الآية ٦٩.

(٣) سورة الشّعراء، الآية ٢٢٧.

(٤) الكشّاف، للزّمخشريّ، تحقيق: يوسف الحمادي، مكتبة مصر، القاهرة، ٢٠٠٠م، ٣٨٨/٣. وانظر تفسير النّسفي، المطبعة الأميريّة ببولاق، القاهرة، ١٩٣٩م، ٥٣٩/٢. وانظر: روح المعاني، للألوسي، دار الكتب العلميّة، ط١، بيروت، ١٤١٥هـ، ١٤٣/٢.

القرطبيّ- أنّ المديح على هذه الصّورة (مندوب إليه)[1].

ب. استماع النَّبيِّ ﷺ إلى مديح الشّعراء، فقد كان ﷺ يستمع إلى شعر المديح من الشّعراء، فيقوِّم ما يسمع، ويقرّ ما كان ثناءً بالقيم الإسلاميّة، ويوجّه إليه، ويثني على قائليه، ويشجّعهم عليه.

وفي مقدّمة المديح بالقيم الإسلاميّة (توحيد الله، وحمده، والثّناء عليه -سبحانه وتعالى). وممّا ورد في السّنّة من ذلك:

((.. عن عبد الرّحمن بن أبي بكرة، عن الأسود بن سريع، قال: أتيت النَّبيَّ ﷺ فقلت: يا رسول الله! قد مدحتُ الله بمحامد ومدحٍ، وإيَّاك، فقال: "إنّ ربَّكَ يحبُّ الحمد"))[2]. وروي: "هات ما حمدت به ربَّك عزّ وجل))[3]. وروي: ((هات وابدأ بمدحة الله عزّ وجل))[4]. والحمد والمدح بمعنى واحد، وهو الثّناء على الله تعالى[5].

وروي: ((.. عن سلمة بن الأكوع، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر، فسرنا ليلاً، فقال رجل من القوم لعامر بن الأكوع: ألا تسمعنا من هنيهاتك؟ قال: وكان عامر رجلاً شاعرًا، فنزل يحدو بالقوم، يقول:

اللهمّ لو لا أنتَ ما اهتدينَا ولا تصدّقنا ولا صلّينَا
فاغفر فداءً لكَ ما اقتفَيْنَا وَثبِّتِ الأقدام إنْ لا قَيْنَا
وَأَلْقِيَنْ سكينةً عَلَيْنا إنّا إذا صِيحَ بنا أَتَيْنَا
وبالصّياح عوّلوا عَلَيْنَا

فقال رسول الله ﷺ: "من هذا السّائق؟" قالوا: عامر بن الأكوع، فقال: "يرحمه

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبيّ)، لأبي عبد الله محمّد بن أحمد الأنصاريّ القرطبيّ، تحقيق: عبد الرّزّاق المهديّ، دار الكتاب العربيّ، ط٢، بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ١٣٢/١٣.

(٢) رواه البخاريّ في الأدب المفرد، برقم (٣٤٣) ونحوه برقم (٣٤٤) و (٨٨٩). ورواه الإمام أحمد في مسنده برقم (١٥٢٨).

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده رقم (١٥٦٢٧).

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده برقم (١٦٣٤٨).

(٥) انظر: الكشّاف، للزّمخشريّ، ١٥/١.

الله" فقال رجلٌ من القوم: وَجَبَتْ يا رسول الله، لولا أمتعتنا به، ..))[1].

فذلك ممّا يبيّن أنّ حمد الله تعالى، والثّناء عليه في الشّعر أمرٌ محمودٌ للشّعراء، قال ابن بطّال: ((ما كان في الشّعر والرّجز ذكر الله تعالى، وتعظيم له، ووحدانيّته، وإيثار طاعته، والاستسلام له، فهو حَسَنٌ مرغَّبٌ فيه))[2]. وذلك بما أنّ الله تعالى يحبّه ويرضاه من عباده، ولذلك استحسنه الرّسول ﷺ وأثنى به على الشّعراء، وشجّعهم عليه.

وكذلك كان رسول الله ﷺ يستمع إلى مديح الشّعراء له، ومن ذلك:

روى الحاكم في المستدرك من حديث خريم بن أوس: ((يقول: هاجرت إلى رسول الله ﷺ منصرفه من تبوك فأسلمت، فسمعتُ العبّاس بن عبد المطلب يقول: يا رسول الله إنّي أريد أن أمتدحك، فقال رسول الله ﷺ: "قل لا يفضض الله فاك" قال: فقال العبّاس:

---

(١) من حديثٍ رواه البخاريّ في صحيحه برقم (٦١٤٨). ورواه برقم (٤١٩٥). ووردت هذه الرّواية برقم (٤١٠٤) و (٤١٠٦) باختلاف في بعض التّعابير، وعلى أنّها لعبد الله بن رواحة، وأنّ النّبيّ ﷺ كان يردّدها يوم الخندق وهو ينقل التّراب مع أصحابه ﷺ. وذكر ابن كثير ذلك في تفسيره، ٥٩٠/٦. ورواها ابن هشام على أنّها لابن الأكوع؛ انظر: السّيرة النّبويّة، لابن هشام، تحقيق: مصطفى السّقّا وإبراهيم الأبياريّ وعبد الحفيظ شلبي، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط٢، القاهرة، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م، ٣٢٨/٣.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاريّ، لابن حجر العسقلانيّ، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، رئاسة إدارات البحوث العلميّة والإفتاء والدّعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية -الرياض، ٥٤٠/١٠.

مـــنْ قَبْلِهَـــا طِبْـــتَ في الظِّـــلالِ وفي ... مُـــسْتَوْدَعٍ حيـــثُ يُخْـــصَفُ الـــوَرَقُ[1]

ثُمَّ هبطـــــتَ الـــــبلادَ لا بَـــــشَرٌ ... أنـــــتَ ولا مـــــضغةٌ ولا عَلَـــــقُ[2]

بَـــلْ نطفـــةٌ تركـــبُ الـــسفينَ وقـــد ... أَلْجَـــمَ نـــسرًا وَأهلَـــهُ الغـــرقُ[3]

تُنْقَـــلُ مِـــنْ صـــالبٍ إلى رَحِـــمٍ ... إذا مـــضى عـــالَمٌ بـــدا طَبَـــقُ[4]

حتَّـــى احتـــوى بَيْتُـــكَ المُهَـــيْمِنُ مِـــنْ ... خِنْـــدِفَ عليـــاءَ تَحْتَهـــا النُّطُـــقُ[5]

وأنـــتَ لَمَّـــا وُلِـــدْتَ أَشْـــرَقَتِ الـــ ... ـــأرضُ وَضـــاءَتْ بنـــورِكَ الأُفُـــقُ

فَـــنَحْنُ في ذلـــكَ الـــضِّياءِ وفي ... النُّـــورِ وســـبُلِ الرَّشـــادِ نَخْتَـــرِقُ[6]

وروي: ((.. عن ابن شهاب أنّ الهيثم بن أبي سنان أخبره أنّه سمع أبا هريرة في قصصه يذكر النَّبيَّ ﷺ يقول: ((إنّ أخًا لكم لا يقول الرّفث)) [7] يعني ابن رواحة، قال:

---

(١) ((أي في الجنّة حيث خصف آدم وحوّاء، عليهما السّلام، عليهما من ورق الجنّة)). لسان العرب، لابن منظور (خصف).

(٢) العلق: الدم ((وقيل: الدم الغليظ، وقيل: الجامد قبل أن ييبس، وقيل: هو ما اشتدّت حمرته، والقطعة منه علقة)). لسان العرب، لابن منظور (علق). وفي القرآن الكريم "ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً" المؤمنون (١٤). وفُسِّرت العلقة بأنّها: ((الدّم الطّريّ، سُمِّيَ به لأنه أوّل العلوق)). تفسير القرآن – اختصار النّكت للماوردي، عزّ الدّين عبد العزيز بن عبد السّلام السّلميّ الدّمشقيّ الشّافعيّ، دار ابن حزم، ط١، بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٠م، ص ٣٥٤.

(٣) نسر: أحد الأصنام الّتي كان يعبدها قوم نوح عليه السلام وهي المذكورة في قول الله تعالى: " وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا" نوح (٢٣).

(٤) الصّالب: الصّلب. لسان العرب، لابن منظور (صلب). طبقُ: الطّبق؛ الأمّة بعد الأمّة، وبمعنى العالم والقرن. وقوله: إذا مضى عالَمٌ بدا طبقٌ؛ فإنّه أراد إذا مضى قرن ظهر قرن آخر، وإنّما قيل للقرن طبق لأنّهم طبق الأرض ثم ينقرضون، ويأتي طبق للأرض آخر. لسان العرب، لابن منظور (طبق).

(٥) النّطق: جمع نِطاق وهي أعراضٌ من جبال بعضها فوق بعض، أي نواحٍ وأوساط منها، شُبِّهت بالنُّطق التي يُشدّ بها أوساط الناس، ضربه مثلاً له في ارتفاعه وتوسطه في عشيرته، وجعلهم تحته بمنزلة أوساط الجبال، وأراد ببيته شرفه، والمهيمن نعته، أي حتى احتوى شرفك الشاهد على فضلك أعلى مكان من نسب خندف. لسان العرب، لابن منظور (نطق).

(٦) المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري (٤٠٥هـ)، وبذيله التلخيص، للذهبي، دار الكتاب العربي، د. ط، بيروت، د. ت، ٣٢٦/٣ – ٣٢٧.
وسير أعلام النبلاء، للذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١١، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ٠٢/٢ – ١٠٣. حيث نقل الحديث، ثم قال: ((قال الحاكم: رواته أعراب، ومثلهم لا يضعفون. قلت: ولكنّهم لا يعرفون)). ويُلاحظ اختلاف لفظ عبارة الحاكم بين (يضعون) في المستدرك و (يضعفون) في سير أعلام النبلاء للذهبي. ولعل ذلك تصحيف.

(٧) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب هجاء المشركين ٥٨٠٢ .

فينـــا رســـولُ الله يتلـــو كتابَـــهُ إذا انشقَّ معروفٌ من الفجـــر ســـاطِعُ
أرانا الهدى بعد العمـــى فقلوبُنَـــا بـــه موقِنـــاتٌ أنّ مـــا قـــالَ واقـــعُ
يبيت يجافي جنبـــه عـــن فراشـــه إذا استثقلت بالكافرين المضاجـــعُ))

يمدح ابن رواحة النّبيّ ﷺ، ويثني عليه بفضله على المؤمنين، بهديه إيّاهم إلى الإيمان بالله تعالى، وذلك بفضل بعثته. وذكر من شمائله الفاضلة كثرة العبادة، وجعل هذا المديح في معرض الفخر والاعتزاز بالإسلام ونبيّه ﷺ، وعرّض بالكافرين في هذه الصّورة (استثقلت بالكافرين المضاجع) فهي توحي بمظهرٍ ينمُّ على غفلةٍ تامّةٍ منهم عمّا خُلِقَ الإنسان من أجله: الإيمان بالله تعالى، وعبادته وحده لا شريك له.

ذلك ممّا استمع إليه النّبيّ ﷺ من شعر المديح، وهو مديح بالقيم الإسلاميّة، فاستحسنه، ممّا يدلّ على مشروعيّته -وكما تقدّم- فإنّه لدى بعض العلماء مندوبٌ إليه.

ومن المديح الّذي كان النّبيّ ﷺ يستمع إليه، ما ورد من مديح الشّعراء له وللمؤمنين في سياق ردّهم على هجاء المشركين، كما في قصيدةٍ لحسّان بن ثابت يردّ فيها على أبي سفيان[٢]، وكان هذا هجا النّبيّ ﷺ. وقد ذكر منها مسلم في صحيحه ثلاثة عشر بيتًا، حيث روى الحديث (٦٣٩٥) عن عائشة -رضي الله عنها في طلب النَّبيَّ ﷺ إلى شعرائه من الأنصار الردّ على شعراء المشركين. وهذه الأبيات ممّا تضمّن مديح النّبيّ ﷺ

= ودلائل النّبوّة ومعرفة أحوال صاحب الشّريعة، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقيّ (٣٨٤ - ٤٥٨هـ)، تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلميّة، ط١، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ٢٦٧/٥ - ٢٦٨.
والبداية والنّهاية، لابن كثير، دار المنار، ط١، القاهرة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ٢٥٧/٢.
وذكر ابن كثير أن الأبيات نسبت لحسّان بن ثابت، فأنكر ذلك؛ وقال: ((ومن النّاس من يزعم أنّها للعبّاس بن مرداس السّلميّ)). البداية والنّهاية، ٢٥٨/٢.
وروي في ديوان العبّاس بن مرداس بيتان فقط من هذه الأبيات: السادس ويليه الأول. انظر: ديوان العبّاس بن مرداس السّلميّ، تحقيق: د. يحيى الجبوري، مؤسّسة الرّسالة، ط١، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩١م، ص ١١٩.

(١) رواه البخاريّ في صحيحه برقم (٦١٥١). وفي رواية برقم (١١٥٥) يبدأ البيت الأوّل بالواو (وفينا...). وكذلك في ديوان عبد الله بن رواحة، تحقيق ودراسة في سيرته وشعره، د. وليد قصّاب، دار الضياء، ط٢، الرّياض، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص ١٦٢.

(٢) انظر: ديوان حسّان بن ثابت الأنصاريّ، شرح: عبد الرّحمن البرقوقيّ، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص ٥٤ - ٦٣.

والمؤمنين، ومنها قوله يخاطب أبا سفيان:

هجوتَ محمّـدًا بـرًّا تقيّـًا رسـولَ اللهِ شـيمتُهُ الوفـاءُ

وقوله:

وقال اللهُ: قـد أرسـلْتُ عبـدًا يقولُ الحقَّ لـيس بـه خفـاءُ
وقال اللهُ: قـد يَـسَّرْتُ جُنْـدًا همُ الأنـصارُ عرضـتُها اللقـاءُ

مدح النّبيّ ﷺ بما ذكر من شمائله، وبأنّه رسول الله، أرسله بدين الحقِّ. وكذلك مدح الأنصار، أو المؤمنين عامّةً، بصفتهم أنصار النّبيّ ﷺ، وذلك بفضيلة الإيمان واتّباعه ﷺ ونصرته، وبخلّة الشّجاعة في مجاهدة المشركين.

فمثل هذا لمديح إنّما كان يأتي به الشّعراء المؤمنون في سياق ردّهم على شعراء المشركين، استجابةً لطلب النّبيّ ﷺ، في الذّبِّ عنه ﷺ وعن الإسلام والمسلمين عامّةً، فهذا المديح مشروع، وهو بحكم المندوب إليه -كما تقدّم- والله أعلم.

وممّا كان النّبيّ ﷺ يستمع إليه أشعار حسّان في المفاخرة عنه، وهي نوعٌ من مديحه والثّناء عليه، وذلك أنّ وفود القبائل العربيّة إليه ﷺ كانوا يفاخرونه أحيانًا، على ألسنة شعرائهم، بما عدّوه من مناقبهم قبل الإسلام، فكان ﷺ يطلب إلى حسّان أن يجيب عنه، بصفته شاعره[1]. ومن ذلك قصيدة له يردُّ فيها على شاعر وفد تميم، يقول[2]:

إنّ الـذوائبَ مِـنْ فِهْـرٍ وإخـوتِهمْ قـد بَيَّنُـوا سـنَّةً للنّـاسِ تُتَّبَـعُ
يرضى بهم كلُّ مَـنْ كانـت سـريرتُه تقوى الإلـهِ وكـلَّ الخـيرِ يـصطنعُ
قـومٌ إذا حـاربوا ضـرُّوا عـدوَّهم أَوْ حاولوا النّفعَ في أشـياعهم نفعُـوا

ابتدأ يفاخر عن النّبيّ ﷺ بامتداح نسبه، فذكر (فهر) أرومة قريش، وإليه ينتسبون، ومدح الّذين آمنوا منهم، فدعاهم (الذّوائب) أي السّادة بالمعنى الدّيني، من الشّرف وعلوّ

(١) انظر: السّيرة النّبويّة، لابن هشام، ٥٦٠/٤، وما بعد. وانظر: صحيح مسلم، الأحاديث: (٦٣٨٤ و ٦٣٨٥ و ٦٣٨٦).

(٢) السيرة النّبويّة، لابن هشام، ٥٦٤/٤. والقصيدة في ديوانه شرح وتحقيق: عبد الرّحمن البرقوقي، ص ٣٠١ - ٣٠٤.

المنزلة، لسابقتهم في الإسلام، باتّباعهم النّبيّ ﷺ، فبذلك شرفوا، وليس لمجرّد نسبهم إلى فهرٍ أو قريش، وضمّ إليهم الأنصار، فدعاهم (إخوتهم) على أساس رابطة وحدة العقيدة والدين، فهذه هي الرّابطة الّتي يدعو الإسلام إليها، قال الله تعالى: "**إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**"[1]. وتتجسّد هذه الرّابطة باتّباع النّبيّ ﷺ، وقد عبّر عنها حسّان، حيث قال[2]:

أَكرمْ بقومٍ رسولُ اللهِ شـيعتُهم   إذا تفاوتـتِ الأهـواءُ والـشِّيَعُ

وبذلك عدل بمعنى النّسب من مفهومه القبليّ إلى مفهوم الانتماء الدّينيّ، أي الإيمان بالله تعالى. وبهذه الفضيلة يرفعهم فوق جميع الأحياء (الأقوام) منزلةً، يقول:

فإنّهم أفـضل الأحيـاءِ كلِّهِـمِ   إنْ جَدَّ بالنّاسِ جِدُّ القولِ أو شَمُعُوا[3]

وكذلك مفاخرة حسّان عن النّبيّ ﷺ ممّا يدلّ على مشروعيّة المديح، بما إنّها – كما سبق– نوع من مديحه والثّناء عليه، وهي في مثل هذا الموقف أيضًا استجابة لطلبه ﷺ، فطاعته واجبة.

جـ. أمرُ النّبيِّ ﷺ بعض الشّعراء بمديح الصّالحين، ومن ذلك: روي عن الزّهريّ: ((قال رسول الله ﷺ لحسّان: "هل قلت في أبي بكرٍ مثلاً؟". قال: نعم. قال: "قل وأنا أسمع". قال:

وثاني اثنينِ في الغارِ المنيفِ وقـد   طاف العدوّ بهِ إذ يصعدُ الجـبلا
وكان رِدْفَ رسولِ اللهِ قد عَلِمُوا   مِنَ الْبريَّةِ لم يعـدلْ بـهِ رَجُـلا

فضحكَ رسولُ اللهِ ﷺ حتى بَدَتْ نواجذه، وقال: "صدقت يا حسّان، هو كما قلت"))[4].

وروي أنّ النّبيّ ﷺ حين أنشده كعب بن زهير قصيدته (بانت سعاد) قال له:

---

(١) سورة الحجرات، الآية (١٠).

(٢) السّيرة النّبويّة، لابن هشام، ٥٦٥/٤.

(٣) شمعوا: هزلوا، أي وقعوا في الهزل من أمرهم، فأصل الشّمع: الطّرب واللهو واللعب، أي عكس الجدّ. انظر: لسان العرب (شمع).

(٤) المستدرك على الصحيحين، الحاكم، ج٣، ص٨٢، وطبقات الشّافعيّة الكبرى، للسّبكي، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربيّة، القاهرة، ١٩٧٦م، ٢٥٠/١ ـــ ٢٥١.

((لولا ذكرت الأنصار بخير فإنّهم لذلك أهل))[1].

فأنشأ كعب قصيدته (مَنْ سرَّه كرمُ الحياة..) في مديحهم، يقول في مطلعها[2]:

مَنْ سرَّهُ كرمُ الحيـــاةِ فــلا يــزلْ في مِقْنَبٍ مِنْ صــالحي الأنــصارِ[3]

ولا شكَّ أنّ ذلك ممّا يدلّ على مشروعيّة المديح، بما أنّه استجابة لطلب النّبيّ ﷺ، فطاعته واجبة.

د. استماع الخلفاء الرّاشدين، والصّحابة إلى مديح الشّعراء لهم، وهم في ذلك تبعٌ للنّبيّ ﷺ، فقد كانوا يستمعون إلى المديح من الشّعراء في مناسبات مختلفة، فيقبلون ما كان مديحًا بالقيم الإسلاميّة، ويوجّهون الشّعراء إلى النّهج القويم.

وممّا استمع إليه الخلفاء الرّاشدون، والصّحابة من مديح الشّعراء لهم، قصيدة لأبي محجن الثّقفي، يمدح فيها أبا بكرٍ رضي الله عنه، حيث يقول[4]:

وَسُمِّيتَ صدِّيقًا وكــلُّ مهــاجرٍ سواكَ يُسمَّى باسمه غــيرَ مُنكَــرِ
سَبَقْتَ إلى الإسلام والله شــاهدٌ وَكُنْتَ جليسًا بالعريش المــشهَّرِ
وبالغارِ سُمِّيتَ خِــلاًّ وَصــاحبًا وكُنْتَ رفيقًــا للــنّبيّ المطهَّــرِ

مدح أبا بكرٍ بسابقته في الإسلام، وأنّه أوّل من صدَّقَ النّبيّ ﷺ فلُقِّب بـــ (الصّدّيق) وعبّر أبو محجن عن قيمة هذه المأثرة، وأنّها عنوان فضائل أبي بكر، ثمّ أثنى عليه بأنّه كان مع النّبيّ ﷺ في عريشه يوم غزوة بدر[5]، وبصحبته له في هجرته، وبما كان من خبر التجائهما إلى الغار، فكفاهما الله المشركين، وأشار إلى أنّ أبا بكر هو الصّاحب المذكور في قوله تعالى: "إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ

(١) السنن الكبرى للبيهقي، رقم ٢٠٩٣١، والمستدرك على الصحيحين، الإمام الذهبي، رقم ٦٤٧٨، والسّيرة النّبويّة، لابن هشام، ٥١٥/٤.
(٢) المصدر السّابق، ٥١٤/٤.
(٣) مقنب: المقنبٌ؛ جماعة الخيل والفرسان،لسان العرب (قنب).
(٤) الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصّفديّ، دار صادر، ط٢، بيروت، ١٤١١هـ، ١٣١٧/١٧.
(٥) انظر: السّيرة النّبويّة، لابن هشام، ٦٢٦/١ - ٦٢٧.

ٱللَّهَ مَعَنَآ "[1]. وذلك تكريمٌ من الله تعالى لأبي بكر ﷺ.

فأبو محجن صدر في هذا المديح عن إدراكه لمآثر أبي بكر وفضائله، فعبّر عن قيمها الدينيّة الإسلاميّة.

ومن ذلك قصيدة للحطيئة يمدح فيها عمر بن الخطاب ﷺ، حيث يقول[2]:

إلى ملـــــكٍ عـــــادلٍ حكمُـــــهُ ... فلمّـــا وَضَـــعْنا لديـــه الرّحـــالا
صـــرى قـــولَ مَـــنْ كـــانِ مئْـــرَةً ... وَمَـــنْ كـــان يأمـــل فيّ الـــضَّلالا[3]
أمـــينُ الخليفـــة بعـــدَ الرّســـولِ ... وأوفى قـــريشٍ جميعهـــا حبـــالا

ومحلّ المديح من شخصيّة عمر -بصفته خليفة- العدل في الحكم ورعاية شؤون الأمّة.

وكذلك كان الخلفاء الرّاشدون، والصّحابة عامّةً يستمعون إلى مديح الشّعراء لهم في مناسبات مختلفة، وفيما يستمعون إليه من الشّعراء في مجالسهم، ومن ذلك أنّهم كثيرًا ما كانوا يستمعون إلى حسّان بن ثابت وهو ينشدهم من أشعاره -كعادته في عهد رسول الله ﷺ- على نحو ما ذُكر أنّه ((مرّ الزّبير بن العوّام بمجلسٍ من أصحاب رسول الله ﷺ؛ وحسّان بن ثابت ينشدهم من شعره، وهم غير نشاط لما يسمعون منه، فجلس معهم الزّبير، فقال: مالي أراكم غير آذنين لما تسمعون من شعر ابن الفريعة، فلقد كان يعرض لرسول الله ﷺ، فيحسن استماعه، وَيُجزل عليه ثوابه، ولا يشتغل عنه بشيء))[4]، فأنشد حسّان أبياتًا في مديحه، يقول في مستهلّها[5]:

أقامَ على عهـــد الـــنّبيِّ وَهَدْيـــهِ ... حواريُّهُ والقولُ بالفعل يُعْـــدَلُ[6]

---

(١) سورة التّوبة، الآية (٤٠).
(٢) ديوان الحطيئة، تحقيق: نعمان طه، مكتبة البابي الحلبيّ، القاهرة، ١٣٧٨هـ، ص ٢٥٢ ــ ٢٥٣.
(٣) صرى: صرى الشيء يصريه صريًا؛ قطعه ودفعه ومنعه، وصرى بين الخصمين: فصل بينهما. لسان العرب (صرا). والمئرة: المفسد. لسان العرب (مأر).
(٤) الأغاني، لأبي الفرج الأصفهانيّ، تحقيق: سمير جابر، دار الكتب العلميّة، ط٤، بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ١٥١/٤. وديوان حسّان بن ثابت، ص ٣٩١.
(٥) ديوان حسّان بن ثابت، ص ٣٩١. والأغاني، ١٥١/٤. والبداية والنّهاية، لابن كثير، ٣٠٧/٥.
(٦) روي أن النّبيّ ﷺ قال: ((إنّ لكلّ نبيٍّ حواريًّا وحواريَّ الزّبير)). رواه البخاريّ (٢٨٤٦) ومسلم (٦٢٢٣).

أقامَ علـــى منهاجِـــهِ وطريقِـــهِ يوالي وليَّ الحقِّ والحـــقُّ أَعْـــدَلُ
هو الفارسُ المشهورُ والبطلُ الّذي يصولُ إذا ما كان يومٌ مُحَجّلُ[1]

ذلك ممّا يدلُّ على مشروعيّةِ المديح، فيما أُثر عن الخلفاء الرّاشدين، والصّحابة ﷺ، بما استمعوا إليه من مديح الشّعراء لهم فقبلوه.

وبناءً على ما تقدّم فإنّ المديح في الشّعر مشروع، بمعنى جائزٌ مباح شرعًا، ولكنّ هذه المشروعيّة ليست مطلقة، بل مقيّدة بأن يكون المديح بالقيم الإسلاميّة، وفق ضوابط شرعيّة.

ومن حيث حكمه الشّرعي فإنّه حسب الموقف والمناسبة، فقد يكون مستحبًّا[2]، أو حسنًا مرغّبًا فيه[3]، أو مندوبًا إليه[4]، وإذا كان بأمرٍ أو طلبٍ من النّبيّ ﷺ، أو من الإمام، و وليّ الأمر بصفة عامّة فحكمه الواجب[5]. قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾[6].

وعلى أيّ حال، المديح في الشّعر كأيّ نشاط أو عمل إنساني، تُطبّق عليه الأحكام الشّرعيّة التّكليفيّة الخمسة، كما بينها الفقهاء: الإباحة، والندب، والكراهة، والواجب، والحرمة[7].

---

(١) المحجّل: هو من الخيل ما كان بياض في أسفل قوائمه، ما دون ركبه، وقد استعار هذا المعنى ليوم الحرب. انظر: لسان العرب (حجل). وديوان حسّان بن ثابت، ص ٣٩٢.

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم، للنّووي، دار القلم، بيروت، د. ت، ٣٣٧/١٧.

(٣) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاريّ، لابن حجر العسقلانيّ، ٥٤٠/١٠.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبيّ، ٣٢/١٣.

(٥) انظر: شرح الكوكب المنير المُسمّى مختصر التّحرير، لابن النّجّار، تحقيق: د. محمد الزّحيلي ونزيه حماد، مكتبة العبيكان، ط١، الرياض، ١٤١٣هـ، ٣٧٦. وانظر: روضة النّاظر وجنّة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، موفّق الدّين عبد الله بن قدامة، مكتبة المعارف، الرّياض، د. ت، ٩٠/١.

(٦) سورة النّساء، الآية (٥٩).

(٧) انظر: الموافقات في أصول الشّريعة، للشّاطبي، شرح: عبد الله دراز، وشارك في التّراجم والفهرسة؛ محمّد عبد الله دراز وعبد السّلام عبد الشّافي محمّد، دار الكتب العلميّة، د. ت، ٧٦/١ وما بعد. وانظر: شرح الكوكب المنير، ٣٤٢/١ وما بعد.

الفصل الأوّل

معايير المديح المقبول

- تمهيد : موقف الإسلام من الشّعر.
- المبحث الأوّل : المديح بالقيم الإسلاميّة.
- المبحث الثاني : عدم التّكسّب بالمديح.
- المبحث الثّالث : عدم المبالغة في المديح.
- المبحث الرّابع : مدح من يستحقّ (الصّدق).
- المبحث الخامس: عدم القطع بالمديح.

تمهيد: موقف الإسلام من الشّعر:

ظلّ للشِّعر دوره في حياة العرب بعد ظهور الإسلام، ولكن تغيّرت المفاهيم والقيم الّتي أخذ يصدر عنها الشّعراء المسلمون الأوائل، إذ تحوّلوا من الولاء للقوم والقبيلة إلى الولاء لله تعالى ولرسوله ﷺ منذ أن بُعث ﷺ برسالة الإسلام، فبدأت تتكوّن أمّةً جديدة، هي كما قال الله تعالى: "كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ"(١). فقد بدأ هؤلاء الشّعراء يصدرون عن مبادئ الشّريعة الإسلاميّة في أشعارهم، في الموضوعات والمضامين، وفقًا لمعايير نقديّة منبثقة من هذه المبادئ، وذلك في جميع الأغراض الشّعريّة، بما فيها المديح -موضوع الدّراسة- وهذه المعايير تظهر بجلاء في موقف الإسلام من الشّعر، من خلال ما ورد في الكتاب والسّنّة من أحكام بخصوص الشّعر، وما أُثر عن الصّحابة ﷺ ، على هديٍ من الكتاب والسّنّة.

وموقف الإسلام العامّ من الشّعر أن يتوافق مع مبادئه التّشريعيّة، فيما يجب أن يكون عليه العبد المؤمن، من التّقى، والورع، والاستقامة، في جميع أفعاله، من قولٍ أو عمل.

ولقد ورد الأمر بالتّقوى في القول في مواضع عديدة من القرآن الكريم، كقول الله تعالى " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا"(٢). في هذه الآية يأمر الله تعالى عباده بالتّقوى في كلّ شؤونهم، وبالقول السّديد، وهو المستقيم الّذي لا اعوجاج فيه، ولا انحراف عن الحقّ، فالقول السّديد من التّقوى وَوعد الله تعالى المتّقين بحسن الثّواب(٣).

وفي السنّة أحاديث كثيرة تحثُّ على الصّدق وحفظ اللسان، وممّا ورد في ذلك: أنّ النّبيّ ﷺ قال: ((مَنْ يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنّة))(٤). وفي

---

(١) سورة آل عمران، الآية (١١٠).
(٢) سورة الأحزاب، الآية (٧٠).
(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمّد السّلامة، ٤٨٧/٦. بتصرّف.
(٤) رواه البخاريّ، (٦٤٧٤).

حديثٍ آخر، قال ﷺ: ((مَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلْيقلْ خيرًا أو ليصمت))[1]. قال النّوويّ: ((وهذا الحديث صريح في أنّه ينبغي ألاَّ يتكلّم إلاّ إذا كان الكلام خيرًا، وهو الّذي ظهرت مصلحته، ومتى شكّ في ظهور المصلحة، فلا يتكلّم))[2]. فالإسلام يوجب على العبد المؤمن أن يتّقي الله ربّه فيما يقول، شعرًا أو غير شعر.

وأمّا الشّعر فموقف الإسلام منه واضح، فقد جاء في القرآن الكريم تصنيف الشّعراء في فئتين، أمّا الأولى فكما قال الله تعالى: " وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ "[3]. فقد تضمّنت هذه الآيات صفات فئة الشّعراء المفسدين الضّالّين، الزّائلين عن الحقّ، لما يقولون من الكذب، فهم على الباطل، وهم الأعمّ الأغلب فجاء الحكم على الشّعراء عامًّا في هذه الآيات[4]. ومثال هذه الفئة شعراء المشركين الكافرين الّذين ناصبوا الإسلام العداء فحاربوه، بل قيل المراد في هذه الآيات هم. ويدخل في هذا كلّ الشّعراء الّذين جعلوا شعرهم أداة للإفساد، والضّلال، والباطل، في أيّ عصر[5]. وأمّا الثّانية، فهي فئة الشّعراء المؤمنين، وقد استثناهم الله تعالى، فقال: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾[6]. فهذه صفات الشّعراء المؤمنين من الهدى، وتحرّي الحقّ، والصّدق، ومقاومة الظّلم، والضّلال وما إلى ذلك من الباطل. ومثال هذه الفئة شعراء الرّسول ﷺ، فإنّهم كانوا يردّون على شعراء المشركين، وينافحون عن النّبيّ ﷺ، وعن الإسلام والمسلمين بأشعارهم انتصارًا للحقّ[7]. وهذا الاستثناء يشمل جميع الشّعراء المؤمنين الّذين التزموا هذا النّهج الحقّ بهديٍ من الكتاب والسّنّة، في كلّ العصور الأدبيّة، والتّاريخيّة، بدءًا من عهد النّبيّ

---

(١) متّفق عليه، رواه البخاريّ (٦٤٧٥) ومسلم (١٧٣).

(٢) رياض الصّالحين، من حديث سيّد المرسلين، محيي الدّين يحيى بن شرف النّوويّ، تحقيق: علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري، دار ابن الجوزي، ط١، الدّمّام، ١٤٢١هـ، ص ٥٠٣.

(٣) سورة الشّعراء، الآيات (٢٢٤ - ٢٢٦).

(٤) في الأدب الإسلاميّ، د. وليد قصّاب، دار الفكر، ط١، دبيّ، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص ١٣. بتصرّف.

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١٧٣/٦- ١٧٤. وانظر: فتح القدير، للشّوكاني، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ١٢١/٤.

(٦) سورة الشّعراء، الآية (٢٢٧).

(٧) انظر: فتح القدير، الشّوكانيّ، ١٢١/٤.بتصرّف.

ﷺ[1] وإلى يوم الدّين. وكما يقول الدّكتور وليد قصّاب: ((وهكذا رسمت آيات "سورة الشّعراء" صورةً للشّعر الّذي يرضى عنه الإسلام، وصورة للشّعر الّذي يرفضه الإسلام، ويقع قائلوه تحت طائلة التّسفيه العنيف الّذي رأيناه، وهي صورة واضحة شديدة الوضوح. إنّ الشّعر الذي يقبله الإسلام ويواطئ رؤيته العقدّية صفته: الخير، والالتزام، والانضباط، والتوازن، والصدق، والبعد عن الغلوّ، والادّعاء الكاذب، يصدر عن مؤمنٍ يقرن القول بالعمل، والإيمان بالفعل))[2]. وهذه هي خصائص الأدب الإسلامي، في كلّ فنونه وضروبه.

وأمّا في السّنّة فقد رويت أحاديث كثيرة تبيّن موقف الإسلام من الشّعر، فالرّسول ﷺ كان يسمع الشّعر، ويتحدّث عنه، ويبدي رأيه، بل يقوّم ما يسمع من الشّعر، ويتمثّل به، ويتحدّث النّاس في الشّعر بحضرته، ويلتقيه الشّعراء. وممّا رُوي من أحاديث في ذلك:

روي ((.. عن جابر، قال: جالستُ النّبيّ ﷺ أكثر من مئة مرّة، فكان أصحابه يتناشدون الشّعر، ويتذاكرون من أمر الجاهليّة، وهو ساكت فربّما تبسّم معهم))[3].

وروي: ((عن عمرو بن الشّريد عن أبيه قال: أنشدت رسول الله ﷺ مئة قافية من قول أميّة بن أبي الصّلت، كلّ ذلك يقول هيه هيه. ثمّ قال: إن كاد في شعره ليسلم))[4].

وروي ((.. عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النّبيّ ﷺ: "أصدق كلمةٍ قالها الشّاعر كلمة لبيد:

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلُ))[5].

وروي: ((.. عن ابن عباس أنّه قال: جاء أعرابيٌّ إلى النّبيّ ﷺ، فجعل يتكلّم

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير٦/١٧٥ - ١٧٦.
(٢) في الأدب الإسلاميّ، د. وليد قصّاب، ص ١٥ - ١٦.
(٣) رواه التّرمذي، (٢٨٥٠).
(٤) رواه مسلم (٢٢٥٥).
(٥) رواه البخاريّ، (٣٨٤١)، ورواه مسلم (٥٨٨٩) وله رواية (٥٨٨٨) بلفظ: أشعر كلمةٍ تكلّمت بها العرب. ورواه التّرمذيّ، (٢٨٤٩).

بكلام، فقال رسول الله ﷺ: "إنّ من البيان سحرًا، وإنّ من الشعر حُكْمًا"))[1].

والسّحر في قوله ﷺ (إنّ من البيان سحرًا) صفة للبيان في تأثيره، إذ تنصرف القلوب إليه فيفعل فيها كما السّحر. وللعلماء في ذلك رأيان:

الأوّل: أنّه في مقام الذّمّ، إذ إنّه كالسّحر يصرف القلوب عن الحقّ إلى الباطل، وسبيله الكذب والتّزييف. ويؤيّد ذلك ما جاء في معنى هذه الجملة في راوية أخرى، قال صعصعة بن صوحان: ((أمّا قوله "إنّ من البيان سحرًا" فالرّجل يكون عليه الحقّ، وهو ألحن بالحجج من صاحب الحقّ، فيسحر القوم ببيانه، فيذهب بالحقّ))[2]. وبذلك يكون البيان وسيلةً للانحراف عن الحقّ والصّدق، وليس في المحاججة، والمقاضاة، والمخاصمة فحسب، بل في كلّ مجالات التّعامل بين النّاس، ومن ذلك ما يجري بينهم من المدح والذّمّ، ولا سيّما في الشّعر، فيكون اللحنِ في بيانه المُعجب كاذبًا، فهو آثم، فمثله مثل السّاحر[3]. فذلك مذموم مرفوض ومنهيٌّ عنه، فقد روي أنّ رسول الله ﷺ قال: ((مَنْ تعلّم صرف الكلام ليسبي به قلوب الرّجال، أو النّاس، لم يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلاً))[4].

والثّاني: أنّه في مقام المدح والاستحسان، من حيث إنّه يستميل القلوب إلى الرّضى، ويصرفها عن السّخط والشّحناء، على جهة الحقّ والصّدق. ويؤيّد ذلك أنّ من الشّعر حكمة[5]، وهو ما تحرّى فيه قائله الصّدق، كما جاء في رواية حديث: ((.. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "لأنْ يمتلئ جوف أحدكم قيحًا خيرٌ له من أن يمتلئ شعرًا". قال أبو علي: بلغني عن أبي عبيد أنّه قال: وجهه أن يمتلئ قلبه حتّى يشغله عن القرآن وذكر الله، فإذا كان القرآن والعلم الغالب، فليس جوف هذا عندنا ممتلئًا من الشّعر "وإنّ من البيان لسحرًا"، قال: كأنّ المعنى أن يبلغ من بيانه أن يمدح الإنسان فيصدق فيه حتى يصرف القلوب إلى قوله، ثمّ يذمّه فيصدق فيه حتى يصرف القلوب إلى قوله، فكأنّه

---

(١) رواه أبو داود، (٥٠١١).
(٢) من حديث رواه أبو داود برقم (٥٠١٢).
(٣) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، شمس الحقّ آبادي، تحقيق: عبد الرّحمن محمّد عثمان، ٥٢/١٣.
(٤) رواه أبو داود (٥٠٠٦).
(٥) عون المعبود شرح سنن أبي داود، ٣٥٢/١٣. بتصرّف.

سحر السّامعين بذلك))[1].

إذًا، فالبيان الذي وُصف بالسحر لشدّة تأثيره مُستحسنٌ مقبول ما دام في سبيل الحقّ والصّدق، ومذموم مرفوض إذا كان في سبيل الباطل والكذب. وذلك في عامّة فنون القول، الشّعر وغيره.

وأمّا (الحُكْمُ) في قوله ﷺ ((إنّ من الشّعر حُكْمًا)) فكما قال صعصعة بن صوحان: ((فهي هذه المواعظ والأمثال الّتي يتّعظ بها النّاس))[2]، أي أن لفظ (حُكْما) معناه الحكمة، وكذلك روي: ((إنّ من الشّعر حكمة))[3]، قال ابن حجر: ((أي قولاً صادقًا مطابقًا للحقّ. وقيل أصل الحكمة المنع، فالمعنى أنّ من الشّعر كلامًا نافعًا يمنع السّفه))[4]. وما كان من الشّعر كذلك فهو حسنٌ مقبول. وهذا القول في الشّعر ((يفيد أنّ منه ما ليس كذلك، لأنّ (مِنْ) تبعيضيّة))[5] فذلك مذمومٌ مرفوض.

ومما تقدّم يتّضح أن ((الإسلام لا يحارب الشّعر لذاته، كما قد يُفهم من ظاهر الألفاظ، إنّما يحارب المنهج الّذي سار عليه الشّعر والفنّ، منهج الأهواء والانفعالات الّتي لا ضابط لها))[6]، فصار أداةً للباطل، على نحو ما كان شعراء المشركين في بداية الدّعوة الإسلاميّة، قد اتّخذوه أداةً لمحاربتها، ذلك ((الشّعر الّذي يُشكّل اعتداءً على الحقيقة والعقل، يزوّر الوقائع، ويروّج للباطل والكذب ممّا يشكّل اعتداءً صارخًا على المجتمع وقيمه النّظيفة))[7]. فهذا الشّعر رفضه الإسلام، وأزرى على قائليه، وتولاّهم بالزّجر، والتّهديد، والوعيد، وعلى النّقيض من ذلك الشّعر الّذي صدر فيه الشّعراء عن عقيدة الإسلام، فجسّدوا مبادئه بالقول والعمل، والتزموا الدّعوة إلى الحقّ، وانتصروا له، فهذا

---

(١) رواه أبو داود (٥٠٠٩).
(٢) فتح الباري، لابن حجر، ١٠/٥٤٠.
(٣) رواه ابن ماجة برقم (٣٧٥٥). والتّرمذي برقم (٢٨٤٤). وموارد الظمآن إلى زوائد ابن حبّان، نور الدّين علي بن أبي بكر الهيثميّ، تحقيق: حسين سليم أسد الدّارانيّ وعبده علي الكوشك، دار الثّقافة العربيّة، بيروت، دار الفيحاء، دمشق، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ٦/٣٣٣، برقم (٢٠١٧).
(٤) فتح الباري، لابن حجر، ١٠/٥٤٠.
(٥) المصدر السّابق، ١٠/٥٤٠.
(٦) في ظلال القرآن، سيّد قطب، دار الشّروق، ط٧، بيروت، ١٣٩٨/١٩٧٨م، ٥/٢٦٢٢.
(٧) في الأدب الإسلاميّ، د. وليد قصّاب، ص ١٤.

الشّعر ارتضاه الإسلام وأثنى على قائليه[1].

وبهذا الموقف جعل الإسلام الدّعوة إلى الحقّ والإيفاء بمقتضياتها معيارًا عامًّا أساسيًّا للشّعر، في نقده وتقويمه، أي بالنّظر إلى ما يدعو إليه ويهدف إلى تحقيقه من قيم. وفي إطار هذا المعيار ثمّة معايير تقوم على أساسٍ من الضّوابط الشّرعيّة، وهي معايير تجسّد موقف الإسلام وتصوّرَه كما ينبغي أن يكون عليه الشّعر كي يكون مقبولاً، في أيّ غرضٍ من أغراضه.

وأمّا معايير المديح المقبول فهي: المديح بالقيم الإسلاميّة، وعدم التّكسّب بالمديح، وعدم المبالغة فيه، وأن يكون المديح لمن يستحقّ، فيكون المادح صادقًا، وألاّ يقطع في مديحه.

وتُعدّ هذه المعايير خصائص يُشترط استيفاؤها مجتمعةً في قصيدة المديح، وإلاّ كانت مردودة من وجهة نظر منهج الأدب الإسلاميّ، فهذه المعايير قوام قصيدة المديح، فلا تتجزّأ، ولكن تقتضي الدّراسة الفصل فيما بينها.

(١) انظر: المصدر السّابق، ص ١٥ - ١٦.

المبحث الأوّل

المديح بالقيم الإسلاميّة

مفهوم القيم:

القيم جمع، واحدها القيمة، ولها معنيان:

الأوّل: أنّ القيمة معناها ثمن الشّيء بالتّقويم، أي بتحديد قيمته، وفي الحديث: "غلا السّعر على عهد رسول الله ﷺ فقالوا: لو قوّمتَ يا رسول الله"[1]. أي: لو سعّرت لنا، كما في روايةٍ أخرى: ((قالوا: يا رسول الله قد غلا السّعر، فسعّر لنا))[2] بمعنى: حدّد لنا قيمة السّلعة. فاللفظان (الثّمن والسّعر) بمعنى واحد للقيمة[3]. فلفظ القيمة له دلالة على شيءٍ ماديٍّ ملموس هو ثمن أو سعر الشّيء، وهو مقدار أو كميّة محدّدة من النّقود أو ما ينوب عنها، فيقوّم بها الشّيء لخاصيّةٍ فيه تجعله مرغوبًا[4]. فالقيمة معناها ثمن الشّيء أو سعره مقابل خاصيّةٍ جعلته مرغوبًا فيه، وعلى ذلك فالقيمة تكمن في هذه الخاصيّة، وبها تُفسّر.

الثّاني: وللقيمة معنى محدّد إذ تُستعمل "للدّلالة على الفضائل الدينيّة، والخُلقيّة، والاجتماعيّة، الّتي تقوم عليها حياة المجتمع الإنسانيّ"[5]. وتتمثّل هذه الفضائل بسلوك الإنسان، بحيث يتوافق مع ما يرتضيه المجتمع، بما له من مفاهيم، وأعراف، وتقاليد، جعلت هذه الفضائل مبادئ يقيم حياته عليها، فهي معايير يقوّم بالقياس إليها سلوك الإنسان – الفرد في مجتمعه. ومن ثمّ فالقيمة أساس الحكم التّقويمي لسلوك الفرد في المجتمع، سلبًا أو إيجابًا في فعله قولاً أكان أم عملاً.

---

(١) من حديث رواه ابن ماجة، (٢٢٠١).

(٢) من حديث رواه ابن ماجة، (٢٢٠٠).

(٣) انظر: لسان العرب، لابن منظور، ١٢/٥٠٠ (قوم).

(٤) انظر: معجم المصطلحات العربيّة في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس، ص ٣٠١.

(٥) المعجم المفصّل في علوم اللغة، د. محمد التّونجي و راجي الأسمر، ٢/٨٤٧.

وفي النّقد الأدبيّ ثمّة معايير في نقد الأثر الأدبيّ، فنيًّا وموضوعيًّا، والمعايير تقوم على أساس القيم، أي إنّ هناك قيمًا يُقاس بها الأثر الأدبيّ لمعرفة مستواه الفنّي أو الموضوعي. فالمعايير ترتبط بالقيم، بل المعيار هو قيمة الأثر الأدبيّ في أعلى مستوىً من الجودة فيما هو مُتَعارفٌ عليه في المجتمع. ولكلِّ مجتمع قيمه، وتختلف القيم من عصر لآخر، بما يحصل في حياة المجتمعات الإنسانيّة من متغيّرات وتحوّلات.

وبناءً على ذلك فإنّ القيم الإسلاميّة هي: مجموعة الفضائل الّتي دعا إليها الإسلام في سلوك الإنسان، في كلّ مجالات الحياة الإنسانيّة، وتقوم هذه الفضائل على أسس ومبادئ من الأصول التشريعيّة الإسلاميّة، ولذلك فإنّ منهج الأدب الإسلاميّ -كما في هذه الدّراسة- يتّخذ من (القيم الإسلاميّة) معيارًا رئيسًا في نقد الشّعر وتقويمه، في أغراضه وفنونه كافةً، ومنها غرض المديح، فيدعو إلى المديح بالقيم الإسلاميّة.

الدّعوة إلى المديح بالقيم الإسلاميّة:

إنّ منهج الأدب الإسلاميّ يدعو إلى المديح بالقيم الإسلاميّة، وذلك انطلاقًا من تصوّر الإسلام للمديح المقبول، بأنّه وسيلة وأداة للدّعوة إلى الحقّ ونشر الفضيلة، ومحاربة الشّرّ والرّذيلة.

وهذه الدّعوة ليست بجديدة، بل هي من طبيعة المديح المقبول، وأبرز سماته في الأدب الإسلاميّ، منذ أن نشأ هذا الأدب في عهد النّبيّ ﷺ. ويتّضح ذلك من خلال مشروعيّة المديح، فيما يجري عليه من الأحكام الشّرعيّة التّكليفيّة، وموقف الإسلام من الشّعر بصفةٍ عامّة كما تقدّم.

ولقد تأصّل منهج المديح المقبول وفق معيار (المديح بالقيم الإسلاميّة) وضوابطه الشّرعيّة، في عصر صدر الإسلام، وقد لعب النّقّاد دورًا مهمًّا في ذلك، إضافةً إلى دور الممدوحين، حيث أخذوا يرغِّبون الشّعراء في مديحهم بالخلال والصّفات الحميدة الّتي يدعو الإسلام إليها، وفي مقدّمتهم الخلفاء ورجال الدّولة وعلية المجتمع. وذلك منذ بداية عصر صدر الإسلام.

والدّعوة إلى المديح بالقيم الإسلاميّة بطبيعتها تتضمّن رفض ما كان خلاف ذلك، كالمديح بالصّفات الماديّة المحسوسة، أو كثرة المال والغنى، وعزّة القوم والقبيلة، والنّسب بمفهومه القبليّ القديم، وما إلى ذلك، ممّا هو من عرض الدّنيا، وزخرفها، وغرورها. فقد روي: ((.. عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: ((إنّ اللهَ لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم))[1].

وروي أنّه ﷺ قال: ((يا معشر قريش لا يأتي النّاسُ بالأعمال يوم القيامة، وتأتون بالدّنيا تحملونها على رقابكم، تقولون يا محمّد يا محمّد، فأقول هكذا))[2]. قال الغزالي: ((أي أعرض عنكم. فبيّن أنّهم إن مالوا إلى الدّنيا لم ينفعهم نسب قريش))[3].

وممّن أثر عنهم الدّعوة إلى المديح بالقيم الإسلاميّة، ورفض ما كان خلاف ذلك، الخليفة الأمويّ عبد الملك بن مروان، فقد "نظر إلى الشّعر -كما نظر إليه عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، من قبل- على أساس أنّه وسيلة من وسائل تربية الأبناء وتهذيبهم، وتلك التّربية يجب أن تكون بكلّ حسنٍ وجميل ومفيد من الشّعر"[4]. ذلك لما عرف من أثر الشّعر في النّفوس، وهذه النّظرة جعلته يطلب من الشّعراء أن يمدحوه بالخلال الحميدة، فقد ذُكر أنّه قال ذات يوم لمن اجتمع عنده من الشّعراء: "تشبّهوننا بالأسد والأسد أبخر، وبالبحر والبحر أجاج، وبالجبل والجبل أوعر، ألا قلتم كما قال أيمن بن خريم بن فاتك في بني هاشم:

---

(١) رواه مسلم برقم (٦٥٤٣) وابن ماجة برقم (٤١٤٣).

(٢) إحياء علوم الدّين، أبو حامد محمّد بن محمّد الغزالي، عالم الكتب، د.ط، د. ت، عن مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، القاهرة، ١٣٤٧هـ، ٣٢٣/٣. "رواه الطّبراني من حديث عمران بن حصين، إلاّ أنه قال: يا معشر بني هاشم، وسنده ضعيف". المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، عبد الرّحيم بن الحسين العراقي، على هامش إحياء علوم الدين، ٣٢٣/٣.

(٣) إحياء علوم الدّين، للغزالي، ٣٢٣/٣.

(٤) القيم الخلقيّة في النّقد العربيّ إلى نهاية القرن الرابع الهجريّ، مطلق محمد عسيري (رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة، ١٤٠٧هـ)، ص ٢١٨.

نهـــارُكم مكابـــدةٌ وصـــومٌ ولـــيلكُم صـــلاةٌ واقتـــراءُ
أأجعلكـــم وأقوامًـــا ســـواءً وبيـــنكم وبينـــهمُ الهـــواءُ
وهم أرضٌ لأرجلكـــم وأنـــتم لأعينهم وأرؤسهم سمـــاءُ))[1]

إنّ عبد الملك بن مروان يريد أن يمدحه الشّعراء بالقيم الإسلاميّة، الّتي يدعو الإسلام إليها، والّتي يُشترط توافرها في الحاكم ليكون مقبولاً لدى الرّعيّة، وكذلك ذُكر عنه أنّه غضب ((عندما مدحه ابن قيس الرّقيّات بقصيدةٍ يقول فيها:

يأتلقُ التـــاجُ فـــوقَ مفرقـــه على جـــبينٍ كأنّـــه الـــذهبُ

فقال له: قد قلت في مصعب:

إنّما مصعب شـــهابٌ مِـــنَ اللهِ تجلّتْ عَنْ وجهـــه الظّلمـــاءُ

فأعطيتُه المدح بكشف الغمِّ وجلاءِ الظُّلم، وأعطيتني من المدح ما لا فخر فيه، وهذا اعتدال التّاج فوق جبيني الّذي هو كالذّهب في النّضارة))[2]. فلم يقبل مدح ابن قيس الرّقيّات لأنه لم يتضمّن شيئًا من القيم التي يحبّذها الإسلام. وكما يقول قدامة بن جعفر: "فوجه عتب عبد الملك إنّما هو من أجل أنّ هذا المادح عدل به عن بعض الفضائل النّفسيّة، الّتي هي: العقل، والعفّة، والعدل، والشّجاعة، إلى ما يليق بأوصاف الجسم في البهاء والزّينة، وقد كنّا قدّمنا أنّ ذلك غلط وعيب"[3].

ودخل عليه الأخطل يومًا "فقال: يا أمير المؤمنين، قد امتدحتك فاستمع منّي، فقال: إنْ كنت شبّهتَني بالصّقر والأسد فلا حاجة لي بمدحك، وإن كنت قلت كما قالت أخت بني الشّريد لأخيها صخر فهات. فقال الأخطل: وما قالت يا أمير المؤمنين؟ قال: هي الّتي تقول:

---

(١) ديوان المعاني، أبو هلال العسكريّ، ٢٦/١. وانظر: المصون في الأدب، أبو أحمد العسكريّ، ص ٦٢. وانظر: الأغاني، ٣٢٤/٢٠.

(٢) الصّناعتين، أبو هلال العسكريّ، تحقيق: علي محمّد البجاوي وَمحمد أبو الفضل إبراهيم، ص ١٠٤.

(٣) نقد الشّعر، قدامة بن جعفر، تحقيق: د. محمّد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليّات الأزهريّة، ط١، القاهرة، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م،، ص ١٨٥.

فما بلغتْ كفُّ امرىءٍ مُتنـــاوِلٍ بها المجدَ إلاّ حيثُ ما نلْتَ أطولُ
ولا بلغ المهدونَ في القَولِ مدحةً ولو أطنبوا إلاّ الّذي فيكَ أفضلُ

فقال الأخطلُ: والله لقد أحسنت القول، ولقد قلت فيك بيتين ما هما بدون قولها، قال: هات، فأنشد:

إذا متَّ ماتَ العرفُ وانقطع النَّدى منَ النّاسِ إلاّ في قليلٍ مُصـــــــرَّد
ورُدَّتْ أكفُّ الـــسّائلين وأمـــسكوا منَ الدّين والدّنيا بخلفٍ مُجَـــدّدِ"[(١)]

وفي العصر الأمويّ أيضًا، كان للخليفة التّقيّ عمر بن عبد العزيز أطيب الأثر في ترسيخ المديح بالقيم الإسلاميّة؛ فقد حمل الشّعراء على الصّدق فيه، وكان يفضّل الأشعار الّتي فيها تقوى، وزهد، وتذكير بالدّار الآخرة، فهو كما قال له جرير يومًا: "إنّكَ تحبُّ أن تُوعظ ولا تطرب"[(٢)].

وكذلك فإنّ الخليفة التّقيّ عمر بن عبد العزيز جعل "الشّعراء يستشعرون معاني كلّ الفضائل الإنسانيّة في مدحه، يرجون بذلك الوفاء بما في نفوسهم من تقديرٍ له أكثر ممّا يودّون عطاءه ونواله"[(٣)]. ولذلك اتّسم الشّعر الّذي مُدِح به بالواقعيّة والبعد عن التملّق[(٤)].

وظلّ الخلفاء على تفاوتهم في استحقاق المديح يحملون الشّعراء على مدحهم بالقيم الإسلاميّة، على نحو ما ذُكر عن الرَّشيد أنّ الشّعراء اجتمعوا ببابه يومًا، فأمر حاجبه أن يخبرهم أنّه "مَنْ اقتدر أن يمدحنا بالدِّين والدُّنيا في ألفاظٍ قليلة فلْيدخلْ"[(٥)].

كما روي أيضًا أنَّ الشّعراء اجتمعوا بباب المعتصم يومًا، فبعث إليهم أنّه يأذن بالدّخول لمن يحسن أن يقول كقول منصور النّمريّ في مديح الرّشيد:

---

(١) ديوان المعاني، لأبي هلال العسكريّ، ١/٢٧.
(٢) حلية الأولياء، أبو نعيم الأصبهانيّ، مطبعة السّعادة، ط١، القاهرة، ١٣٩٩هــ، ص ٣٢٧/٥.
(٣) اتّجاهات الشّعر العربيّ في القرن الثّاني الهجريّ، د. محمّد مصطفى هدّارة، ص ٣٩٥ – ٣٩٦.
(٤) انظر: توظيف الإسلام في قصيدة المديح في العصر الأمويّ، (رسالة ماجستير، إعداد الطّالب: أحمد جمعة خواطرة، جامعة آل البيت، عمّان، ٢٠٠٣م)، ص ١٢٤.
(٥) طبقات الشّعراء، أبو العبّاس عبد الله بن المعتز، شرح: صلاح الدين الهوّاري، دار الهلال، ط٢، بيروت، ٢٠٠٢م، ص ١٣٧ – ١٣٨.

خليفة اللهِ إنَّ الجـــودَ أوديـــةٌ أحلَّكَ اللهُ منها حيثُ تجتمـــعُ
إنْ أخلف القطرُ لم تخلفْ مخايلُه أو ضاقَ أمرٌ ذكرناه فيتَّـــسِعُ

فبادر ابن وهب، فمدحه ببيتين يقول فيهما:

ثلاثـــةٌ تُـــشْرِقُ الـــدُّنيا ببهجتـــها شمسُ الضّحى وأبو إسحق والقمـــرُ
تحكـــي أفاعيلُـــه في كـــلِّ نائبـــةٍ الغيثُ والليثُ والصمصامةُ الـــذّكرُ

فأجازه وفضله على غيره(١).

فرغبة الخلفاء أن يُمدحوا بالفضائل الّتي يدعو إليها الإسلام، جعلتهم يفاضلون بين الشّعراء. وكذلك ظلّ عامّة الممدوحين من الخلفاء وغيرهم يرغبون في أن يمدحهم الشّعراء بالفضائل، وذلك ممّا ساعد على تثبيت المعاني الإسلاميّة، وذلك بامتداح الفضائل من الصّفات النّفسيّة الخلقيّة، والأفعال النّبيلة.

وقد دعا النّقّاد القدماء إلى المديح بهذه الفضائل، والعدول عمّا كان خلافها، وهم قد صدروا في ذلك عن إدراكهم الأثرَ الخطيرَ للشّعر في حياة المجتمع، ولذلك حملوا على الشّعراء الّذين تردّدت في أشعارهم معاني الرذيلة.

والمديح من أخطر فنون الشّعر وأشدّها تأثيرًا في النّفوس، ولذلك اهتمّ النّقّاد القدماء بالدّعوة إلى المديح بالخصال النّفسيّة والخلقيّة الحميدة، وقد وقفوا عندها، فبيّنوها وفصّلوا القول فيها، على نحو ما عدّدها ابن طباطبا (٣٢٢هـــ)، وذكر أنّ العرب استعملتها في مدائحها منذ القديم، فمدحت مَنْ يتّصف بها، وبالمقابل ذمّت مَنْ يتصف بأضدادها. يقول: "ولتلك الخصال المحمودة حالاتٌ تؤكّدها وتضاعف حسنها، وتزيد في جلالة المتمسّك بها، كما أنّ لأضدادها أيضًا حالاتٍ تزيد في الحطِّ مِمَّنْ وُسِم بشيءٍ منها، ونُسب إلى استشعار مذمومها، والتمسّك بفاضحها"(٢).

ويقول قدامة بن جعفر (٣٣٧هـــ): "إنّه لّما كانت فضائل النّاس من حيث إنّهم

(١) انظر: ديوان المعاني، لأبي هلال العسكري، ٢٨/١.
(٢) عيار الشّعر، أبو الحسن محمد بن أحمد بن طباطبا العلويّ، تحقيق: د. عبد العزيز بن ناصر المانع، اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥م، ص ١٨.

ناس، لا من طريق ما هم مشتركون فيه مع سائر الحيوان، على ما عليه أهل الألباب، من الاتّفاق في ذلك، إنّما هي: العقل، والشّجاعة، والعدل، والعفّة، كان القاصد لمدح الرّجال بهذه الأربع الخصال مصيبًا، والمادح بغيرها مخطئًا"[١]. فهو يردّ جميع فضائل الصّفات النّفسيّة والخلقيّة إلى هذه الخصال الأربع، ويدعو إلى المديح بها، ويردّ ما كان خلافها، من المديح بالأمور المادّيّة المحسوسة، كحسن الهيئة والخلقة، كما سبق، وقد وضّح حازم القرطاجني (٦٨٤) مقصد قدامة فذكر أنّ الفضائل تُكتسب بمجاهدة النفس، في التّدرّب والتّأدُّب، بينما خلقة الإنسان وصورته لا دخل له فيها، فذلك من شأن الله تعالى في خلقه[٢]. فحازم القرطاجنيّ من النّقّاد الّذين دعوا إلى المديح بفضائل الصّفات النّفسيّة والخلقيّة الّتي يدعو الإسلام إليها، وقد فصّل القول في أنّه ينبغي أن يكون المديح متوافقًا مع حال وصفات الممدوحين، من الخلفاء والولاة والقادة وسراة النّاس، ممّن اتّصفوا بالصّلاح[٣]. وهو يرى أنّ للشّعر دورًا مهمًّا في حياة المجتمع والأمّة، فالمقصد من الأقاويل الشّعرية عنده "استجلاب المنافع واستدفاع المضارّ، ببسطها النّفوس إلى ما يُراد من ذلك، وقبضها عمّا يُراد بما يُخيّل لها فيه من خيرٍ أو شر"[٤]. وبذلك فإنّ دور الشّعر تربويّ، أخلاقيّ، توجيهيّ، بما له من تأثير في النّفوس، بكلّ أغراضه، وأمّا المديح فالمقصد منه الدّعوة إلى فعل الخير، وما يحصل منه يسمّيه حازم القرطاجنيّ مظفورًا به، فإذا ما حصل هذا المقصود من الخير أو المظفور به على يدي قاصد للنّفع، فإنّ حقه أن يُجازى بالذّكر الجميل فيمدح[٥].

والمديح بالفضائل في حقيقته إنّما هو مديح الفضائل نفسها، وبذلك ترغيب فيها، كما بيّن ذلك ابن رشد في تلخيص فنّ الشّعر لأرسطو، بأنّ المقصود بصناعة المديح مديح الفضائل، قال: "أعني مديح الأفعال الجميلة"[٦]. وقال: "والحدُّ المُفهِم جوهر صناعة المديح

(١) نقد الشّعر، قدامة بن جعفر، ص ٩٦.
(٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم القرطاجنيّ، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلاميّ، ط٢، بيروت، ١٩٨١م، ص ١٦٩ بتصرّف.
(٣) انظر: المصدر السّابق، ص ١٧٠ - ١٧١.
(٤) المصدر السّابق، ص ٣٣٧.
(٥) المصدر السّابق، ص ٣٣٧ بتصرّف.
(٦) تلخيص كتاب أرسطو طاليس في الشّعر، لابن رشد، ص ٧١.

هو أنّها تشبيه ومحاكاة للعمل الإراديّ الفاضل الكامل، الّذي له قوّة كليّة في الأمور الفاضلة"[1].

فالمديح بالأفعال الفاضلة محاكاة لها عند أرسطو – في نظريّة المحاكاة – أي تصوير لها، وهي تكون بإرادة فاعليها واختيارهم لها، فبها يمدحون.

وممّن كانت لهم آراء في موضوع المديح، أبو البقاء الرّنديّ (٦٨٥هـ)، وذلك في كتابه (الوافي في نظم القوافي)[2]. وقد تحدّث عن المديح "وفرَّقَ بين مدح الملك، والوزير، والقاضي، وغيرهم. وهذه القسمة أشبه بصنيع قدامة"[3] في كتاب (نقد الشّعر). ورأى من فضائل الصّفات الّتي يمدح بها "ممّا يليق بكلّ صنفٍ، ويحسن في كلّ طبقة، كالعقل، والحسن، والشّرف، وكرم النّفس، ومنها ما يخصّ قومًا دون قوم، فلا يوصف بها إلاّ مَنْ كان من أهلها، كالحسب، والأدب، والعلم، والبأس، ونحو ذلك"[4]. ومَثَّل لذلك ببعض الشّواهد في المديح، فلم يضف شيئًا جديدًا[5]، ولكنه على كلِّ حالٍ ممّن دعوا إلى المديح بالصّفات، والأفعال الفاضلة.

وبذلك فإنّ منهج الأدب الإسلاميّ يتّخذ من (وصف الممدوح بالقيم الإسلاميّة) معيارًا رئيسًا في نقد شعر المديح وتقويمه، وحقيقة هذا المعيار الدّعوة إلى أن يكون المديح حقّاً وخيراً، والهدف من ذلك أن يحقّق المديح مقصده في الدّعوة إلى الخير، ومحاربة الشر.

---

(١) المصدر السّابق، ص ٧٥.

(٢) عن: تاريخ النّقد الأدبيّ في الأندلس، د. محمد رضوان الدّاية، مؤسّسة الرّسالة، ط٢، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص ٤٥١، الحاشية (٢).

(٣) تاريخ النّقد الأدبيّ في الأندلس، د. محمد رضوان الدّاية، ص ٤٥٩.

(٤) الوافي في نظم القوافي، أبو البقاء الرّنديّ، ص ٣٥. عن: تاريخ النّقد الأدبيّ في الأندلس، ص ٤٦٠.

(٥) تاريخ النّقد الأدبيّ عند العرب: نقد الشّعر من القرن الثّاني حتّى القرن الثّامن الهجريّ، د. إحسان عباس، دار الشّروق، عمّان، ١٩٩٣م، ص ٥٤٦ بتصرّف.

المبحث الثّاني

عدم التّكسّب بالمديح

التّكسّب بالشّعر والنّفرة منه في العصر الجاهليّ:

التّكسّب في اللغة؛ مصدر تكسّبَ يتكسّبُ تكسُّبًا، بتضعيف عينه، فهو من الكَسْبِ، مصدر كَسَبَ يكسِبُ كَسْبًا. والكَسْبُ طلب الرّزق والسّعي في تحصيله، والتّكسّب كذلك، إلاّ أنّ التّكسّب يفيد معنى الاجتهاد والتّكلّف في طلب الرّزق، يُقال تكسّب، أي تكلّف الكَسْب[1].

والحديث في النّقد الأدبيّ عن (التّكسّب) يقتصر على مفهوم التّكسّب بالشّعر، من حيثُ اتّخذه الشّعراء وسيلةً لكسب الرّزق[2]. فهذا المصطلح يدلّ على ظاهرةٍ مختلفة عن المعتاد في طلب الرزق وتحصيله، من حيث الطرقُ والوسائلُ.

وظاهرة التّكسّب بالشّعر قديمة قِدَم الشِّعر نفسه[3]، وعلى الرَّغم من ذلك لم يكن التّكسُّب ليشكّل ظاهرة شائعة قبل أواخر العصر الجاهليّ. وأوّل من عُرِفَ بالتّكسّب بشعره من الشّعراء النَّابغة الذّبياني والأعشى، وهما من أصحاب المعلقات، في الطَّبقة الأولى من فحول الشّعراء وكان ذلك من أسباب سقوط مترلتهما، ومترلة المتكسِّبين بالشّعر من بعدهما، ثمَّ شاع التّكسّب بالشِّعر، وكثر المتكسّبون مع مرور الزمن، وسقوط مترلتهم ليس من النَّاحية الفنيّة، وإنّما من النّاحية الاجتماعيّة، فقد كان للشّعر والشّعراء مترلة أسمى وأرفع من التّكسّب، فالمأخذ النّقديّ كان موجّهًا للشّعراء المتكسّبين لأنّهم سلكوا بالشّعر مسلكًا لا يناسب تلك المترلةَ، الّتي أحلّتهم قبائلهم فيها، للدّور الموكل إليهم في شؤونها العامّة؛ إذ كان الشّاعر لسان حال قبيلته، والممثّل لها في المحافل والمجالس، في مختلف المناسبات، يدافع عنها بشعره، ويسجّل مآثرها ومناقبها، ويعلي من شأنها، ويهتمّ بكلّ

---

(١) انظر: لسان العرب (كسب).

(٢) انظر: الشّعر والمال، د. مبروك المناعي، ص ٣٨٤.

(٣) انظر: ظاهرة التّكسّب وأثرها في الشّعر العربيّ ونقده، د. درويش الجنديّ، ص ٤٥.

شؤونها، فلذلك كانت له تلك المترلة الرّفيعة. وذلك كان متعارفًا عليه، بمثابة عهد أو عقد بين الشّاعر والقبيلة، فكان عليه أن يمارس حياته وطلب رزقه في ظلّ قبيلته، لا أن يتجهَّز بشعره فيضرب في القبائل والبلدان يتكسّب بشعره. ولذلك سقطت مترلة الشّعراء المتكسّبين، بل قدّم العرب الخطباء على الشّعراء بسبب التّكسّب. ويتركّز المأخذ على الشّعراء المتكسّبين في أمرين: الأول: أنَّ التّكسّب بالشّعر أشبه ما يكون بالتّسوّل، فلذلك كان سببًا في سقوط مترلة الشّعراء المتكسّبين اجتماعيًا. والأمر الثاني: أنَّ هؤلاء المتكسّبين، أغلبهم جعلوا دأبهم كسب المال، فلا يهمّهم الصّدق في القول، ولا سموّ المعاني والقيم الّتي تتضمّنها أشعارهم إلاّ بقدر ما يحصلون عليه من المال، ولذلك مدحوا بالخلال الحميدة من يستحقُّ ومن لا يستحقُّ، فهم إنّما كانوا يمدحون المال في حقيقة أمرهم، فهو محرّكهم الأساس، ومعلوم ما كان من أمر الأعشى أنّه قصد النّبيّ ﷺ في مكّة أيامَ صلح الحديبية، وكان مدحه بقصيدة، فلمّا وافى مكّة اعترضته قريش، وردّته عن النّبيّ ﷺ بمئة رأس من الإبل، فما كانت غايته سوى الحصول على المال[1].

فسقوط مترلة المتكسّبين من الشّعراء تعكس نظرة المجتمع إليهم وموقفه منهم، مهما كان الواحد منهم متقدّمًا في مستواه الفنّيّ وطبقته في الشّعراء، ولا أدلّ على ذلك ممّا تقدّم من أمر النّابغة والأعشى، مع أنَّ الأوَّلَ كان حَكَمَ الشّعراء في سوق عكاظ[2]، والثّاني صنّاجة العرب[3].

ولظاهرة التّكسّب بالشّعر أسبابٌ ودوافع، منها: العوز والحاجة، فقد تضطرُّ الشّاعرَ ظروفُه للتّكسّب بشعره[4]. ولكنَّ هذا لا ينطبق على جميع الشّعراء، بل كان أغلبهم يتكسّب طمعًا ورغبةً في زيادة الثّراء، كما كان شأن النّابغة، فقد أثرى كثيرًا "حتّى كان أكله وشربه في صحاف الذّهب، والفضّة، وأوانيها من عطاء الملوك"[5]. وفي هذا ما يشير إلى أنّ الدّورَ الأكبرَ في انتشار التّكسّب كان للممدوحين من الملوك، ورؤساء

(١) انظر: العمدة، ابن رشيق، ١١٩/١ وما بعد. وانظر: البيان والتّبيين، الجاحظ، تحقيق: عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي، ط٧، القاهرة، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م ، ٢٤١/١، ٨٣/٤.

(٢) انظر: الأغاني، ٨/١١.

(٣) انظر: المصدر السّابق، ١٢٨/٩ ــ ١٢٩.

(٤) انظر: ظاهرة التّكسّب وأثرها في الشّعر العربيّ ونقده، د. درويش الجنديّ، ص ٤٥.

(٥) العمدة، ابن رشيق، ١١٩/١.

القبائل، وغيرهم من ذوي الشّأن وعلية القوم، فهؤلاء أغروا الشّعراء بالمال طمعًا في مديحهم، ليزيدوا من علوّ شأنهم ومكانتهم، بحسب قيم العرب وأعرافهم في العصر الجاهليّ. وهكذا كانت العلاقة بين المدّاحين والممدوحين، تقوم على المقايضة: المال مقابل المديح والثناء، فيلبّي كلّ طرفٍ رغبة الطّرف الآخر.

وممّا ساعد على شيوع ظاهرة التّكسّب الخشيةُ من هجاء هؤلاء الشّعراء المتكسّبين، وكان الهجاء مؤذيًا يخاف منه العرب مثل العار، فأصبح الشّاعر في ظلّ هذه الظّاهرة يُعطى المال اتّقاءً لشرّه، دون أن يكنّ له النّاس الاحترام، فهو في أحسن الأحوال أداة بيد الأثرياء والملوك، يُنطقونَه حسب رغباتهم[1] في مديحهم، وأحيانًا يقترن بهجاء أعدائهم، فيلبّي الشّاعر في هذه الحال رغبتين للممدوح في وقت واحد.

ومقابل الشّعراء المتكسّبين كانت الكثرةُ من شعراء العرب يأنفون من السّؤال بشعرهم، إلا فيما لا يزري بقدر أو مروءة، كأن يقول الشّاعر أبياتًا يُعْرِب فيها عن حاجته، في موقف أو حالة معينة، من طلب عون أو مساعدة فيما هو معتاد بين النّاس، فلا بأسَ بذلك. وثمّة أشكال من التّكسّب، ممّا لم يكن من تكسّب المحترفين، وإنّما كان يأخذ شكل مكافأة أو هبة عن طيب خاطر، ومن دون طلب أو سؤال من الشّاعر، مثلما كان من شأن زهير بن أبي سلمى مع هرم بن سنان والحارث بن عوف، اللذين أصلحا بين عبس وذبيان، فأوقفا تفانيهما في حرب داحس والغبراء، الّتي دامت بينهما أربعين عامًا، وتحمّلا الدّيّات، فكان ذلك عملاً عظيمًا يُذكر، فمدحهما به زهير في معلقته، وأكثر ما كانت مدائحه في هرم، وليس بقصد التّكسّب، ولكن تقديرًا وإكبارًا لمناقبه، وهو سيّد قوم، وكان يجزل العطاء لزهير، ويروى: "أنّ هرمًا قد حلف ألا يمدحه زهير إلا أعطاه، ولا يسأله إلا أعطاه عبدًا، أو وليدةً، أو فرسًا، فاستحيا زهير ممّا كان يقبل منه، فكان إذا رآه في ملأ قال: عموا صباحًا غير هرم، وخيرَكُم استثنيتُ"[2].

فالتعفّف من الشّعراء كان أمرًا محمودًا، بل كان هو القاعدة والتّكسّب استثناء،

(١) انظر: ظاهرة التّكسّب وأثرها في الشّعر العربيّ ونقده، د. درويش الجنديّ، ص ٤٥.
(٢) الأغاني، ١٠/٣٥٤.

فلم يكن مقبولاً لأنّه انحطاط في الهمّة ووضاعة يأنف منها العرب، فحطّوا من مترلة الشّعراء المتكسّبين.

وكما تقدّم فإنّ التّكسّب كان سببًا في الانحراف بالشّعر عن دوره الحقيقيّ في حياة المجتمع العربيِّ، فلمّا جاء الإسلام كان له موقف من الشِّعر، فلم ينكره أو يبطله، ولكنْ أخذ يوجِّهه في الاتّجاه الصّحيح ليؤدّي دوره في مقاصد الحقّ، لا أنْ يكون أداة إفساد في حياة النّاس، ولذلك كان (عدم التّكسّب) أحد معايير المديح المقبول في منهج الأدب الإسلاميّ، انطلاقًا من مبادئ الإسلام الحنيف، في موقفه من الشِّعر، وفي السَّعي لتحصيل الرّزق.

موقف الإسلام من التّكسّب بالشِّعر:

الكسب في الاصطلاح الشرعيّ يُطلق على تحصيل المال (الرّزق). والتّكسّب يطلق على التّكلّف في السّعي لتحصيله، كما في المعنى اللغوي، ولكن ذلك مقيَّد في الشّريعة الإسلاميّة، بأن يكون بالطُّرق، والوسائل، والأسباب المشروعة، وفي مقدّمتها (العمل) والمقصد أن يكون الرِّزق حلالاً. ويحثّ الإسلام على الاجتهاد في طلب الرِّزق الحلال، وقد ورد ذلك صريحًا في الكتاب والسّنّة. وممّا ورد في ذلك من الكتاب العزيز قول الله – تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[2].

وفي السّنّة أحاديث كثيرة منها:

روي عن النّبيّ ﷺ أنّه قال: "لأنْ يأخذ أحدكم حبله، ثمَّ يأتي الجبل، فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها، فيكفَّ الله بها وجهه، خيرٌ له من أن يسأل النَّاس أعطوه أو منعوه"[3]. وفي رواية أنّه ﷺ قال: "والّذي نفسي بيده! لأن يأخذ أحدكم حبله، فيحتطب

(١) سورة الملك، الآية (١٥).
(٢) سورة الجمعة، الآية (١٠).
(٣) رواه البخاريّ، (١٤١٧).

على ظهره خير من أن يأتي رجلاً فيسأله أعطاه أو منعه"[1].

وروي أنّه ﷺ قال: "ما أكل أحد طعامًا خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإنَّ نبيّ الله داود كان يأكل من عمل يده"[2].

وممّا أُثر عن الصّحابة –رضي الله عنهم- قول عمر بن الخطاب ﷺ: "لا يقعد أحدكم عن طلب الرِّزق ويقول: اللهم ارزقني، فقد علمتم أنَّ السّماء لا تمطر ذهبًا ولا فضّة"[3].

والعمل لا يُقيّد بصنعةٍ أو حرفة، وإنّما يُقيّد بأن يكون مشروعًا، من حيث الوسائل والغايات، بحيث يكون الكسب حلالاً، لتتحقّق المقاصد الشّرعيّة للعمل. فمبدأ العمل لكسب الرّزق الحلال مبدأ أساس، فهو السّبيل الشّرعيُّ لكسب المعاش، وهو الدّعامة الّتي يقوم عليها المجتمع، بجهود أفراده، في مختلف مجالات النشاط الّتي يتطلّبها المجتمعُ، ولذلك حثَّ الإسلام على العمل، للكسب المشروع، الَّذي يعود بالنّفع على الفرد وعلى المجتمع عامّة[4].

وثّمة سبل ومصادر للكسب الحلال (موارد رزق) سوى عمل الفرد بيده، كالزّكاة، والصدقات، والهبات، والمساعدات، وأمَّا المسألة فقد حدَّدت السّنّة من تحلّ لهم، كما روي عن قبيصة بن مخارق الهلاليّ، أنّ النّبيّ ﷺ قال له : "يا قبيصة! إنَّ المسألة لا تحلّ إلا لأحد ثلاثة: رجل تحمَّلَ حمَّالة فحلَّت له المسألةُ حتّى يصيبها ثمّ يمسك ، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله، فحلَّت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش – أو قال سداداً من عيش – ورجل أصابته فاقة حتّى يقول ثلاثة من ذوي الحجا من قومه : لقد أصابت فلاناً فاقة، فحلَّت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش – أو قال سداداً من عيش– فما سواهنّ من المسألة يا قبيصة! سحت يأكلها صاحبها سحتاً"[5]. وذلك في ظلّ

---

(١) رواه البخاريّ، (١٤٧٠).
(٢) رواه البخاريّ، (٢٠٧٢).
(٣) إحياء علوم الدّين، الغزاليّ، ٥٧/٢.
(٤) تاريخ الحضارة الإسلاميّة والفكر الإسلاميّ، د. أبو زيد شلبي، مكتبة وهبة، ط١، القاهرة، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص ٤٨.
(٥) رواه مسلم برقم (٢٤٠٢)، وأبو داود برقم (١٦٤٠)، والنّسائيّ برقم (٢٥٨٠) وأحمد في المسند: ٧٧/٣ .

التّضامن والتّكافل في المجتمع الإسلاميّ، فتلك السّبل أو الموارد لها موجبات من أحوال معيّنة في ظروف الأفراد المختلفة، وذلك مبيّنٌ ومقيّدٌ في أبوابه من مصادر التّشريع الإسلاميِّ.

وموقف الإسلام من التّكسّب بالشّعر، يقوم على أساسٍ من مبدأ العمل، والسّبل، والأسباب المشروعة للكسب الحلال. وبيان ذلك في موقف الرّسول ﷺ، والصّحابة في هذا الشّأن.

أ. موقف الرّسول ﷺ وأقواله عن التّكسّب بالمديح:

لقد رويت أحاديث عن النّبيّ ﷺ تبيّن موقفه من المديح والتّكسُّب به، ومن ذلك:

- روي عن أبي معمر قال: "قام رجل يثني على أمير من الأمراء، فجعل المقداد يحثي عليه التّراب، وقال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نحثي في وجوه المدّاحين التّراب" [(١)].
- وروي عن عطاء بن رباح: "أنّ رجلاً كان يمدح رجلاً عند ابن عمر، فجعل ابن عمر يحثو التراب نحو فيه، وقال: قال رسول الله ﷺ: "إذا رأيتم المدّاحين فاحثوا في وجوههم التّراب"[(٢)]. كما روي نصّ هذا الحديث عن المقداد بن عمرو، وذلك:
- في رواية عن همّام بن الحارث "أنَّ رجلاً جعل يمدح عثمان، فعمد المقداد فجثا على ركبتيه، وكان رجلاً ضخمًا، فجعل يحثو في وجهه الحصا، فقال له عثمان: ما شأنك؟ فقال: إنّ رسول الله ﷺ قال: "إذا رأيتم المدَّاحين فاحثوا في وجوههم التراب"[(٣)].

يفيد ظاهر الحديث النّهي عن المديح في الشِّعر مطلقًا، وبذلك أخذ ابن عمر رضي الله عنه والمقداد. إلا أنَّ للعلماء تأويلاً في هذا الحديث، أورده ابن حجر حيث ذكر حديث المقداد، ثمَّ قال: "وللعلماء فيه خمسة أقوال: أحدها هذا وهو حمله على ظاهره، واستعمله المقداد، راوي الحديث. والثّاني: الخيبة والحرمان كقولهم لمن رجع خائبًا: رجع وكفه مملوءة ترابًا. والثّالث: قولوا له: بفيك التّراب، والعرب تستعمل ذلك لمن تكره قوله.

---

(١) رواه مسلم، (٧٥٠٥). وابن ماجة، (٣٧٤٢) وفيه لفظ (يحثو) بدل (يحثي). وكذلك رواه التّرمذيّ (٢٣٩٤) عن أبي هريرة.

(٢) رواه البخاريّ في الأدب المفرد (٣٤١).

(٣) رواه مسلم، (٧٥٠٦). وأبو داود (٤٨٠٤). والتّرمذيّ، (٢٣٩٣).

والرّابع: أنّ ذلك يتعلّق بالممدوح، كأن يأخذ ترابًا فيبذره بين يديه، يتذكّر بذلك مصيره إليه، فلا يطغى بالمدح الّذي يسمعه. والخامس: المراد بحثو التّراب في وجه المادح إعطاؤه ما طلب، لأنّ كلّ الّذي فوق التّراب تراب. وبهذا جزم البيضاويّ، وقال: شبه الإعطاء بالحثي على سبيل التّرشيح، والمبالغة في التّقليل والاستهانة. قال الطيبيّ: ويحتمل أن يراد دفعه عنه، وقطع لسانه عن عرضه بما يرضيه، والدّافع قد يدفع خصمه بحثي التّراب على وجهه استهانة به"[1].

ومن تأويل العلماء لهذا الحديث أنّ المراد بالمدّاحين الشّعراء الّذين اتّخذوا المديح حرفةً لهم، فيمدحون النّاس في وجوههم، بما يحبّون أن يمدحوا به من دون أيّ اعتبار أو ضابط شرعيّ لأقوالهم، فيقعون في مخالفات شرعيّة خطيرة، تتمثّل بمدحهم النّاس بالباطل، فيكذبون، فذلك الّذي نهى عنه النّبيّ ﷺ في هذا الحديث[2].

فالتّكسّب بالمديح حرام، فقد روي أنّ النّبيّ ﷺ قال: "إنّ الله كره لكم ثلاثًا: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السّؤال"[3]. وروي أنّه ﷺ قال: "فما زال الرّجل يسأل حتّى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة لحم"[4]. وثمّة أحاديث كثيرة في ذمّ سؤال النّاس عامّة. هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية في التّكسّب بالشّعر إيذاء للنّاس، ذلك أنّ الشّعراء المتكسّبين غالبًا ما يعتمدون على الكذب، والمبالغات، وقول الزّور، والباطل حينما يمدحون، فيصفون الممدوح بصفاتٍ قد لا يكون له منها حظّ، وقد يكون فاسقًا، على نقيض ما يمدحونه به.

وقد يعمد بعض الشّعراء المتكسّبين إلى الهجاء إذا لم يُعطوا، وهذا ممّا يدفع

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاريّ، أحمد بن علي بن حجر العسقلانيّ، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز، رئاسة إدارة البحوث العلميّة، والإفتاء، والدّعوة والإرشاد، المملكة العربيّة السعوديّة، ٤٧٨/١٠.

(٢) انظر: شرح صحيح البخاريّ، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطّال، ضبط نصّه وعلّق عليه: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرّشد، ط١، الرّياض، ٢٠٠٠م، ٢٥٤/٩. وانظر: شرح السّنّة، الإمام البغويّ، تحقيق: زهير الشّاويش، وَشعيب الأرناؤوط، رئاسة إدارات البحوث العلميّة والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربيّة السّعوديّة، والمكتب الإسلاميّ، ١٥٠/١٣ ــ ١٥١. وانظر: شرح سنن ابن ماجة، للقزوينيّ المعروف بالسّندي، ٤٠٧/٢.

(٣) رواه البخاريّ (١٤٧٧).

(٤) رواه البخاريّ (١٤٧٤).

لإعطائهم خشية الهجاء. وهم حينما يهجون يقعون في أعراض النّاس، ويذمّونهم تعديًّا، وذلك فسق وظلم، محرَّم في الشّريعة الإسلاميّة، روي أنّ النّبيّ ﷺ قال: "إنّ من شرار النّاس الّذين يُكرَمون اتّقاء ألسنتهم"(١).

وعلى ذلك فإنّ إعطاء الشّعراء المتكسّبين غير مشروع، أي أنّه محرّم؛ لأنّ فيه تشجيعًا لهم على الكسل، وانحطاط الهمّة، وانعدام المروءة، لما يكونون عليه من السّلوك المذموم المنهيّ عنه شرعًا، وفي الوقت نفسه إضاعة للمال وهذا منهيّ عنه كما تقدَّم في حديث: "إنَّ اللهَ كره لكم ثلاثًا"، ولكنْ إذا لم يجد المرء سبيلاً أو وسيلة لدفع أذى الشَّاعر المتكسّب إلاّ بإعطائه، فإنّه يعذر بناء على ما تقدَّم، فيما تأوّله العلماء في حديث المقداد، وروى البيهقيّ: "أخبرنا أبو محمَّد عبدُ الله بن يوسفَ: أنبأ أبو سعيد بن الأعرابيّ: أنبأ الحسن بن محمّد الزعفرانيّ: ثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن عكرمة، أنّ شاعرًا أتى النّبيّ ﷺ، فقال النّبيّ ﷺ: يا بلالُ اقطع عنّي لسانه، فأعطاه أربعين درهمًا وحلّةً. قال: قطعتَ واللهِ لساني، قطعتَ والله لساني"(٢).

وروي: ".. عن محمَّد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "كلّ معروف صدقة، وما أنفق الرّجل على نفسه وأهله كُتبت له صدقة، وما وقى به الرّجل عرضه كُتبت له صدقة، وما أنفق من نفقةٍ فعلى الله خلفها إلاّ ما كان في بنيان أو معصية"، قلت لمحمّد بن المنكدر ما يقي به عرضه؟ قال: يعطي الشّاعر وذا اللسان"(٣). وفي رواية أخرى: "فذكره بنحوه مرفوعًا إلاّ أنّه قال: قال محمّد: فقلنا لجابر: ما أراد ما وقى به المرء عرضه؟ قال: يعني الشّاعر وذا اللسان"(٤).

ذلك هو موقف الرّسول ﷺ من التّكسّب بالشّعر، عندما يتّخذه الشّاعر حرفةً ويجعله دأبه، دون أن يكون لديه أي اعتبار أو مقصد غير كسب المال، فيخلع في سبيله العذار من كلّ المعايير والضّوابط الشّرعيّة، فيصحّ فيه قول الرّسول ﷺ: "لأن يمتلئ جوف

---

(١) رواه أبو داود (٤٧٩٣).

(٢) السّنن الكبرى، البيهقيّ، ٢٤١/١٠،كتاب الشّهادات، باب: ما جاء في إعطاء الشّاعر، وقال البيهقيّ: "هذا منقطع (وروي) عن محمّد بن مسلم عن عمر موصولاً بذكر ابن عبّاس وليس بمحفوظ".

(٣) المصدر السابق، ٢٤٢/١٠.

(٤) المصدر السابق، ٢٤٢/١٠.

أحدكم قيحًا خير له من أن يمتلئ شعرًا"[1].

ويختلف عن ذلك موقف الرّسول ﷺ من الشّعراء الّذين لم يتكسّبوا بشعرهم على هذه الصورة، فأباح إجازتهم وصلاتهم، على سبيل الهبة والمكافأة، عندما لا تكون مشروطة أو مقصودة من قِبل الشّاعر، ولا من قِبل الممدوح، وإنّما تكون تلقائيّة وعفويّة، وثّمة صور من ذلك في عهد النّبيّ ﷺ، وقد كانت تأخذ صفةً رمزيّة معنويّة، جريًا على عادة العرب في إعطاء الشّاعر، والخلع عليه، من ثوب أو عباءة أو بردة، وكذلك مكافأة الشّاعر لابدّ أن يكون لها مناسبة بوجه شرعيّ، وما كان منها على سبيل التألّف.

فالرّسول ﷺ لم يمنع إعطاء الشّعراء، ما لم يكن الشّاعر متعمّدًا التكسّب، مكثرًا في السّؤال ملحفًا. وممّا كان من ذلك ما جاء في خبر إسلام كعب بن زهير، وكان قبل إسلامه هجا النّبيّ ﷺ، فأهدر دمه، وبعد ذلك جاء إلى النّبيّ ﷺ، فاعتذر منه وطلب العفو، معلنًا إسلامه[2]، وأنشده قصيدته (بانت سعاد)[3] ومطلعها:

بَانَتْ سُعادُ فقلبِي اليومَ متبولُ مُتَيَّمٌ إثْرَها لَمْ يُفْـدَ مكبـولُ

وكان غرضه الرّئيس في القصيدة الاعتذار وطلب العفو من النّبيّ ﷺ، حيث يقول[4]:

نُبِّئْتُ أنّ رسولَ اللهَ أوعـدني والعفو عندَ رسولِ اللهِ مَـأْمُولُ
مَهْلاً هداكَ الذي أعطاكَ نافلةَ القرآنِ فيها مواعيظٌ وتفـصيلُ
لا تأخذَنّي بأقوالِ الوشاةِ ولَمْ أُذْنِبْ ولو كَثُرَتْ فيَّ الأقاويـلُ

ووصل ذلك بمديح النّبيّ ﷺ، ومنه قوله[5]:

إنَّ الرسولَ لنورٌ يُستضاءُ بـهِ مُهنّدٌ من سيوفِ اللهِ مـسلولُ

فلمّا أنشد كعبٌ قصيدته خلع عليه النّبيّ ﷺ بردة كانت

(١) رواه أبو داود (٥٠٠٩). والتّرمذيّ (٢٨٥١) وفي رواية له (٢٨٥٢): قيحًا يريه.
(٢) انظر: السّيرة النّبويّة، لابن هشام، ٥٠١/٢ – ٥٠٣. وانظر: السّنن الكبرى، البيهقيّ، ٢٤٣/١٠ –٢٤٤.
(٣) المصدر السّابق، ٥٠٣/٢. وشرح ديوان كعب بن زهير، ص ١٩ ــ ٢٣.
(٤) السّيرة النّبويّة، ابن هشام، ٥١٠/٢ – ٥١١.
(٥) المصدر السّابق، ٥١٢/٢.

عليه[1]، ولذلك عرفت القصيدة بالبردة. وتلك كانت تكرمة لكعب، لم يسبق إليها، وكان ذلك من النّبيّ ﷺ جريًا على عادة العرب، في كسوة الشّاعر من ثوب، أو عباءة، أو بردة، وكان لذلك قيمة معنويّة كبيرة عندهم، بالنّسبة للشّاعر، إذ تعبِّر عن تكريم الممدوح له، وإعجابه، وفي ذلك تقدير كبير له.

وفي هذا الصّنيع من النّبيّ ﷺ دليل على جواز مكافأة الشّعراء، فإذا كانت العرب تجيز الشّعراء وتعطيهم على المديح، وتتّقي هجاءهم، فالأجدر أن يُعطى الشّاعر ويُكافأ إذا مدح بدافع ذاتيّ، دون سؤال أو طلب لكسب، كما في مثل حالة كعب بن زهير. ثم إنّه كان صادقًا في قصيدته، فهي مديح للنّبيِّ ﷺ، وقد ضمّنها معاني شريفة، وعبّر عنها تعبيرًا فنيًّا بليغًا، وما كان هدفه التّكسّب. وفي مثل هذا الموقف كان النّبيّ ﷺ يعطي الشّعراء، ولكن ليس ذلك ثمنًا للمديح أو ابتياعًا للحمد، وإنّما يقدّم ما يقدّمه لهم على سبيل الهبة، والإهداء، والتّكريم، ويمكن القول إنّه من قبيل العرفان بالجميل[2].

وممّا ينبغي ذكره أنّ الشّعراء المسلمين في عهد النّبيّ ﷺ لم يكونوا من المتكسّبين بشعرهم، ولا سيّما الشّعراء الأوائل منهم، وإنّما جعلوا أشعارهم في شؤون الدّعوة إلى الإسلام، على نحو ما مرّ في المبحث السّابق. وكان شأنهم شأن عامّة المسلمين، في العمل وطلب الرّزق، والجهاد في سبيل الله، وكان شعرهم جهادًا باللسان، وكان يصيبهم من الغنائم ما يصيب سائر المسلمين.

وممّا روي من إعطاء النّبيّ ﷺ للشّعراء ما كان يوم غزوة حنين، فقد روى مسلم في (باب: إعطاء المؤلّفة قلوبُهم على الإسلام وتصبّر من قوي إيمانه): عن رافع بن خديج، قال: "أعطى رسول الله ﷺ أبا سفيان بن حرب، وصفوان بن أميّة، وعيينة بن حصن، والأقرع بن حابس، كلّ إنسان منهم، مائة من الإبل، وأعطى عبّاس بن مرداس دون

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي، رقم ٢٠٩٣١، والمستدرك على الصحيحين للإمام الذهبي رقم ٦٤٧٨، الإصابة، لابن حجر العسقلانيّ، ٥٩٤/٥. وانظر الكامل في التّاريخ، لابن الأثير، ٢٧٦/٢. وانظر: البداية والنّهاية، لابن كثير، ٣٣٢/٤.

(٢) انظر: تاريخ الأدب العربيّ والتّكسّب الشّعريّ، مصطفى زيدان، المطبعة السّلفيّة، د. ط، القاهرة، ١٣٤٨هـ، ص ٣٢.

ذلك، فقال عباس بن مرداس[1]:

أتجعل نَهبي ونَهْـبَ العُبَيْـد ... بَيْنَ عُيَيْنَـةَ والأقـرَعِ؟
فما كان حصنٌ ولا حـابسٌ ... يفوقانِ مِـرْدَاسَ في المَجْمَـعِ
وما كنتُ دون امرئٍ منـهما ... وَمَنْ يُخْفضِ اليـومَ لا يُرفَـع

قال: فأتّم له رسول الله ﷺ مائة"[2].

إنّ عبّاس بن مرداس أُعطي كغيره، حسب توزيع النّبيّ ﷺ لغنائم الحرب، ولم يعطه بصفته شاعرًا، وإنّما كأحد المسلمين، وكان من المحاربين، إلا أنّه لم يرض، فعبّر عن عدم رضاه في شعر، منه هذه الأبيات. ولكن ليس من موقف الشاعر، بل من موقف الفارس وسيد القوم الذي لم يقصر في الحرب، فرأى أنّه يستحق أكثر ممّا أعطاه النّبيّ ﷺ، فصعب عليه أن يكون عطاؤه –بصفته سيّد قوم– دون نظرائه، وخاصّة عيينة بن حصن، والأقرع بن حابس. ولم يصدّه النّبيّ ﷺ، بل أتمّ له في العطاء إلى المئة من الإبل، فأرضاه.

والشّعرُ الّذي قاله عبّاس بن مرداس في هذه المناسبة إنّما كان على سبيل العتاب[3]، كما أنّه كان من المؤلّفة قلوبهم، وقد أجزل لهم النّبيّ ﷺ في العطاء. فليس ذلك من التّكسّب بالشّعر في شيء. وممّا يدلّ على ذلك ما جاء في تخريج الحديث أنّ "زيادة (اقطعوا عنّي لسانهُ) لم تذكر في الكتب المشهورة"[4].

ب. موقف الصّحابة والخلفاء الرّاشدين من التّكسّب بالمديح:

لقد كان موقف الخلفاء الرّاشدين، والصّحابة عامّة من التكسّب بالمديح تبعًا لموقف النّبيّ ﷺ، فظلَّ التّكسّب بالشّعر مرفوضًا، يأنف منه الشّعراء المسلمون بشكل عامّ، وما كان منه لا يشكّل ظاهرة. وكذلك الهجاء لعدم إعطاء الشّاعر مرفوض، وقد يعاقب

(١) وردت هذه الأبيات في مقطوعة له تقع في سبعة أبيات، رويت في: السّيرة النّبويّة، لابن هشام، ٢/٤٩٣ – ٤٩٤، وديوانه، ص ١١١ – ١١٢، وتختلف رواية هذه الأبيات فيهما عن هذه الرّواية.
(٢) رواه مسلم، (٢٤٤٣).
(٣) انظر: السّيرة النّبويّة، لابن هشام، ٢/٤٩٣.
(٤) المغني، لابن الحسين العراقيّ، على هامش إحياء علوم الدين، ٣/١١٠.

الشّاعر عليه، فالسّيّئ من القول محظور سواء أكان شعرًا أم غير شعر. وهذه إحدى أهمّ وسائل المتكسّبين قد أبطلها الخلفاء الرّاشدون، وذلك ممّا يضيّق على المتكسّبين، كما ذكر من خبر الحطيئة في خلافة عمر ﷺ، فقد مدح بني أنف النّاقة، وهجا الزّبرقان بن بدر وقومه، فعاقبه عمر، وأخذ عليه عهدًا، ألّا يهجو النّاس، وألّا يخاير بينهم في المديح، وروي أنّ الحطيئة أجاب عمر، فقال: "إنّي إذا لم أهجهم لا يعطونني، فقال عمر: "اذهب فبئس الكسب كسبك"[1]. وكان الحطيئة شاعرًا مكثرًا للسّؤال، متكسّبا بشعره، مدّاحًا وهجّاءً، يخاف النّاس هجاءه.

وقد عبَّر عن ضيقه بالمنع من الهجاء، فقال يخاطب عمر ﷺ[2]:

وأَخَذْتَ أطرافَ الكلامِ فَلَمْ تدعْ ... شتمًا يضرُّ ولا مديحًا ينفعُ

وحميتَني عِرْضَ اللئيمِ فَلَمْ يَخَفْ ... ذمِّي وأصبحَ آمنًا لا يجزعُ

وذلك ممّا يدلّ على رفض الخلفاء الرّاشدين للتّكسّب بالمديح، وإذا كان قد ظلّ عادة سارية فإنّهم حظروا على الشّعراء الوقوع في أعراض النّاس وإيذائهم.

ورفض التكسّب بالمديح يشمل المادح والممدوح، فقد روي أنّ الحطيئة وفد على أبي موسى الأشعريّ وكان واليًا على العراق في خلافة عمر، فمدحه، فوصله أبو موسى، فلمّا بلغ ذلك عمر لام أبا موسى، فأجابه بأنّه فعل ذلك حماية لعرضه من هجاء الحطيئة، فاستحسن عمر فعله[3]. ولا يعني ذلك أنّه استحسن أو جوّز تخويف الشّعراء للنّاس بالهجاء ليعطوهم، فلومه لأبي موسى رفضٌ لفعل الشّاعر (التّكسّب بالشّعر) ورفض لفعل الممدوح حينما يعطي مالاً للشّاعر حبًّا بالمديح، بهدف التّظاهر والتّفاخر، ففي ذلك تشجيع للمتكسّبين يرفضه الإسلام، وإنّما يُعذر الممدوح في مثل موقف أبي موسى، إن لم يجد سبيلاً لدفع أذى هجاء الشّاعر المتكسّب. وممّا روي من ذلك أيضًا أنّ الفرزدق لقي الحسين بن علي "فأمر له الحسين بأربع مائة دينار. فقيل: يا أبا عبد الله أعطيت شاعرًا

(١) انظر: محاضرات الأدباء ومحاورات البلغاء، الرّاغب الأصفهانيّ، اختصره إبراهيم زيدان، دار الجيل، ط٢، بيروت، ١٠٦هـ/١٩٨٦م، ص ٣٩.

(٢) الأغاني، ١٨١/٢.

(٣) انظر: المصدر السّابق، ١٦٩/٢.

مبتهرًا أربع مائة دينار؟ فقال: إنَّ من خير مالك ما وقيت به عرضك"[1].

إنّ موقف الخلفاء الرّاشدين، والصّحابة من التّكسّب بالمديح يجسّد نظرة الإسلام إلى الشّعر ومنه غرض المديح، في أن يكون وسيلة لإشاعة الفضيلة، لا أن يكون وسيلة إفساد وإضرار في حياة المجتمع المسلم، فهم لم يمنعوا إعطاء الشّعراء ومكافآتهم على المديح، حينما يتجنّب الشعراء فيه المخالفات الشّرعيّة، ولا يجعلون كسب المال دأبهم وهدفهم الأساس، فيكون إعطاؤهم عفويًّا وعن طيب خاطر، لا خشية الهجاء، وإنّما على سبيل ردّ الجميل والعرفان، والتّشجيع على إشاعة المعاني والقيم الإسلاميّة، على جهة الصّدق والحقّ، ممّا هو من الوجوه الشّرعيّة في إعطاء الشّعراء، على نحو ما كان من الخلفاء الرّاشدين أنفسهم، ومن ذلك أنّهم كانوا يكرّمون حسّان بن ثابت، ويفرضون له في العطاء، فظل شأنُه عندهم مثلما كان لدى رسول الله ﷺ، فحسّان شاعره وصاحب السّهم المحلّي بين الشّعـــراء، في الدّفاع عنه ﷺ وعن الإسلام والمسلمين[2].

وممّا أُثر من إعطاء الخلفاء الرّاشدين للشّعراء، أنّه: "وقف أعرابيّ على عمر رضي الله عنه فقال:

يا عمرَ الخير جُزِيـــتَ الجنَّـــهْ اكْـــسُ بُنيّـــاتي وأُمَّهُنَّـــهْ
أُقســـــــمُ بالله لَتَفْعَلَنَّـــــــهْ

قال: فإنْ لَمْ أفعل يكون ماذا؟ قال:

إذًا أبا حفـــــــــــصٍ لأَمْضَيَنَّـــــــهْ

قال: فإنْ مضيتَ يكون ماذا؟ قال:

يكونُ عـــن حـــالي لَتُـــسْأَلَنّه يوم تكون الأُعطيـــاتُ منَّـــهْ
بـــالواقفِ المـــسؤولِ يُنْتَهَنَّـــهْ إمّا إلى نـــارٍ وإمَّـــا إلى جَنَّـــهْ

قال: فبكى عمر حتى اخضلّت لحيته، وقال لغلامه: يا غلام أعطه قميصي هذا لذلك اليوم، لا لشعره، ثمّ قال: أما والله لا أملك غيره"[3].

---

(١) مكارم الأخلاق، ابن أبي الدّنيا، ص١١٠.
(٢) انظر: تاريخ الأدب العربي – العصر الإسلاميّ، د. شوقي ضيف، ص ٧٨ – ٧٩.
(٣) سيرة عمر، لابن الجوزيّ، مكتبة الخانجي، ط١، القاهرة، ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م، ص ١٨٩ – ١٩٠.

لقد كان الأعرابيّ في موقفه مع عمر سائلاً محتاجًا، فأعرب عن حاجته بهذا الرّجز، ودعا لعمر ﷺ بالجنّة. وهذا السّلوك ممّا كان يستحسنه عمر فقد أُثر عنه أنّه قال: "من خير صناعات العرب الأبيات يقدّمها الرّجل بين يدي حاجته، يسترزل بها الكريم، ويستعطف بها اللئيم"[1]. فليس قول الأعرابيّ من مديح المتكسّبين، وإنّما قال شعرًا، فبلغ به حاجته في نفس عمر، فرقّ له، فأعطاه، وكما قال ﷺ "لا لشعره"، بل لما تمليه عليه المسؤوليّة، ولا ينكر دور الشّعر في هذا الموقف، في التّعبير عن واقع حال صاحبه، بما كان له من تأثير في نفس عمر ﷺ. وهذه المسألة يمكن أن تُعدّ من التّكسّب المقبول، نظرًا لحال السّائل المحتاج فعلاً.

ومثل ذلك ما روي أنّ أعرابيًّا جاء إلى عليّ بن أبي طالب، يشكو الفقر، فأعطاه حلّةً، فأنشأ الأعرابيّ يقول[2]:

كَسَوْتَنِي حُلَّةً تبلَى محاسِنُها ... فسوفَ أكسوكَ مِنْ حُسْنِ الثّنا حُلَلا

إنّ الثّناء لَيُحيي ذكرَ صاحبِهِ ... كالغيثِ يُحْيِي نداهُ السّهلَ والجَبَلا

لا تَزْهَدِ الدَّهْرَ فِي عُرْفٍ بَدَأْتَ بِهِ ... فكلُّ عَبْدٍ سيُجْزَى بالذي فَعَلا

فأعطاه عليّ ﷺ خمسين دينارًا، وقال له: "أمّا الحلّة فلمسألتك، وأمّا الدّنانير فلأدبك"[3].

وكذلك مسألة الأعرابيّ هذه يمكن أن تُعدّ من التّكسّب المقبول، فهو إنّما جاء يسأل بدافع الحاجة، وقال هذه الأبيات بعد أن أعطاه عليّ حلّة، وفي كلام عليّ ما يشير إلى ضرورة التّأدّب في السّؤال وعدم الإلحاح فيه.

وهذا العطاء من عليّ كان بدافع إيمانيّ، إذ يتوافق مع ما ورد في الكتاب والسّنّة من الأمر بإعطاء السّائل المحتاج. وبين ثناء الأعرابيّ على علي وإعطائه الخمسين دينارًا تبادل الشّكر والاعتراف بالفضل لصاحب الفضل والصّنيع الجميل. وهذه الأبيات من المديح بالقيم الإسلاميّة.

---

(١) البيان والتّبيين، الجاحظ، ٣٢٠/٢. وروي في بعض المصادر: "نعم ما تعلّمته العرب الأبيات من الشّعر يقدّمها الرّجل أمام حاجته"، العمدة، لابن رشيق، ١٢١/١.

(٢) العمدة، لابن رشيق، ٢٥/١.

(٣) المصدر السّابق، ٢٦/١.

ومن إعطاء الصّحابة للشّعراء أنّ النّابغة الجعديّ دخل المسجد الحرام على عبد الله بن الزّبير، وكان دعا لنفسه بالخلافة في الحجاز، في أواخر خلافة يزيد بن معاوية، فأنشده[1]:

حَكَيْتَ لنا الصّدّيق لمّا وَلِيَتنا ... وعثمانَ والفاروقَ فارتاح مُعدمُ
أتاك أبو ليلى يجوبُ به الدجا ... دُجَا الليلِ جوّابُ الفلاة عَثَمْثَمُ[2]
لِتَجْبُرَ منه جانبًا زعزعَتْ به ... صرُوفُ الليالي والزّمانُ المُصمِّمُ

إنّه ابتدأ بالمديح، ثمَّ تحوّل يشكو سوء حاله، لما أصابه من الفقر، فأكرمه ابن الزّبير، وخفّف عنه، وأعطاه من دار النّعم ما يكفيه[3].

علمًا أنّ غالبية الشّعراء كانوا يأنفون من التّكسُّب بالشّعر، على نحو ما ذكر عن ابن ميّادة، أنّه نظم شعرًا يمدح فيه الخليفة أبا جعفر المنصور، وقد عزم على الرّحلة إليه، وأتاه راعي إبله بلبنٍ فشرب، ثمّ قال : سبحان الله، أأفد على أمير المؤمنين وهذه الشّربة تكفيني؟ فعدل عن قصده ، فلم يفد عليه[4].

وبعض الشّعراء أنفوا عن المديح بصفة عامّة، من أمثال جميل بن معمر، وعمر بن أبي ربيعة، والعبّاس بن الأحنف، وغيرهم. وكان بعض الولاة والخلفاء يصلون أمثال هؤلاء الشّعراء استحساناً لأشعارهم، كما كان الخليفة الرّشيد يصل العبّاس بن الأحنف وغيره على حسن التّغزُّل، ولطف المقاصد في التّشبيب[5].

فالإسلام لم يمنع إعطاء الشّعراء، ولكن على ألّا يكون المديح حرفة يتكسّب بها الشّاعر، وأنْ يُعطى ويُكافأ على وجهٍ شرعيّ، له موجب، لا أن يكون العطاء ثمنًا للمديح.

وممّا تقدّم يمكن استنتاج أهم ما يتعلّق بقضيّة (التكسّب بالشّعر) بحسب التّصوّر الإسلاميّ:

---

(١) الأغاني، ٣٢/٥.
(٢) عثمثم: الجمل القويّ الشّديد، لسان العرب، لابن منظور، ٣٨٥/١٢ (عثم).
(٣) انظر: الأغاني، ٣٣/٥.
(٤) العمدة، لابن رشيق ، ١ / ١٢٢ – ١٢٣ . بتصرّف .
(٥) المصدر السّابق ، ١٢٣/١ – ١٢٥ .

١. إنّ اتّخاذ الشّعر وسيلة لكسب الرّزق أمرٌ لا تقرّه الشّريعة الإسلاميّة، فتحرّمه، لأنّه كسب حرام.

٢. التّكسّب بالشّعر انحطاط في همّة الشّاعر المتكسّب، وسلوك لا يقرّه الشّرع، فلا يرتضيه ذوو الأخلاق الحميدة، لأنّ سبيل المتكسّب للوصول إلى هدفه سبيل خاطئة لأنّه يمارس المبالغات، والكذب، والتّزوير، ومن ثمّ فإنّه لا يتورّع من قول الباطل.

٣. من الآثار الضّارّة للتّكسّب بالشّعر في المجتمع أنّ الشّاعر قد يمدح شخصًا، أو قومًا، ويهجو خصومهم، أو يخاير بين ممدوحيه وغيرهم، وذلك سببٌ قويّ لإثارة العداوات والفتن، وذلك من كبائر الإثم، في الشّريعة الإسلاميّة.

٤. وفيما يخصّ الممدوحين، فإنّ إعطاءَهم المال للشّعراء المتكسّبين تشجيع لظاهرة مذمومة، ومخالفة شرعيّة، لإهداره في غير وجه حق، وسلوك مرفوض من الّذين يحبّون أن يمدحوا في الدّنيا، فيخامر نفوسهم العجب، والتّظاهر، والتّفاخر، وفي ذلك مظاهر من الكبر، وكلٌّ أولئك في شريعة الإسلام محظور.

٥. يعذر الّذي لا يجد سبيلاً لدفع أذى هجاء شاعر متكسِّب، فيعطيه حفاظًا على عرضه.

٦. وبناء على ما كان في عهد رسول الله ﷺ، وعهد الخلفاء الرّاشدين، فإنّ الشّاعر يُعطى على سبيل الهبة، وردّ الجميل، ما كان صادقًا غير متعمّد للكسب أو محترف، ولا سؤول ملحف، ولا بأس من إعطائه إذا كان ذا حاجة فعلاً، وألجأته ظروفه لأن يطلب العون والمساعدة. وبشكل عامّ يكون إعطاء الشّعراء مقبولاً من باب تشجيعهم ورعايتهم اجتماعيًّا؛ لأهميّة دورهم في حياة المجتمع الإسلاميّ، بسبب تأثيرهم من النّاحية الأخلاقيّة، ودعوتهم للتّمسّك بالقيم الإسلاميّة، ومن النّاحية الفنّيّة الأدبيّة، لكون الشّعر في أيّة لغة حيّة هو روحها وعامل تطوّرها. وبالنّتيجة فإنّ الشّعر صورة للمجتمع اجتماعيًّا وأدبيًّا، ويمكن توجيه إعطاء الشّعراء بما ينمّي عندهم الدّوافع الإيجابيّة، في الاتّجاهات الصّحيحة، الّتي تكون مقبولة في ضوء منهج الأدب الإسلاميّ.

٧. إنّ للتّكسّب مخاطر عديدة، فبالإضافة إلى ما ذُكر آنفًا فإنّ له آثارًا سلبيّة من حيث إنّ الشّاعر المتكسّب يسخِّر طاقته الفنّيّة، وتجاربه الشّعريّة في غرض المديح وغرض الهجاء، فيمدح ويذمّ فحسب، ويهمل الأغراض والفنون الشّعريّة الأخرى. فقد ذُكر أنّ جريرًا قال في ذلك: "لو لا ما شغلني من أمر هؤلاء لشبّبتُ تشبيبًا تَحِنُّ منه العجوز لشبابها حنين الناقة إلى سقبها"(١). وبمثل ذلك صرَّحَ الحطيئة في حديث عن الشّعر والشّعراء بينه وبين ابن عبّاس -رضي الله عنهما- ، قال: "والله يا ابن عمّ رسول الله ﷺ لولا الطّمع والجشع لكنت أشعر الماضين، فأمّا الباقون فلا تشكّ أنّني أشعرهم وأصردهم(٢)، سهمًا إذا رميت"(٣). وإذا كان الحطيئة من النّاحية الفنّيّة كما قال عن نفسه، فإنّه أذهب قيمة أغلب شعره، لأنّه كان في التّكسّب، ومن النّاحية الاجتماعيّة كان النّاس يخشون هجاءه، فلا خير في ذلك كلّه، وقد قيل: "شرّ النّاس من أكرمه النّاس اتّقاء لسانه"(٤). والحطيئة كان ممّن سقطت مترلته لأنّه "كثّر السّؤال بالشّعر، وانحطاط الهمّة فيه، والإلحاف، حتّى مُقِت، وذلّ أهله، وهلمّ جرّا، إلى أن حرم السائل وعدم المسؤول"(٥).

٨. إنّ (عدم التكسّب بالشّعر) من أهمّ معايير المديح المقبول في المنهج الإسلاميّ في الأدب، فالشّاعر المتكسّب يفتقد هذا المعيار في شعره، ويفتقد المعايير الأخرى كلّها، لأنّه في سبيل المال لا يهمّه أن يكون الممدوح مستحقًّا للمدح أم لا، ولا تهمّه القيم، والصّفات الّتي يمدح بها الممدوح إلّا من جهة إرضائه، ودغدغة مشاعره ليزيد له في العطاء، وهو مستعدٌّ لأن يجزم بأنّ ممدوحه فوق جميع النّاس، وبذلك فإنّ افتقاد هذا المعيار في شعر شاعر متكسبٍّ يعني أنّه قد يفقد جميع معايير المديح المقبول، في منهج الأدب الإسلاميّ.

---

(١) العقد الفريد، لابن عبد ربه، تحقيق : محمد سعيد العريان، دار الفكر، د.ط، بيروت، د.ت ٢٢/٧، وخزانة الأدب، ٧٦/١.

(٢) أصردهم: أطعنهم في الرّمي، لسان العرب، لابن منظور، ٢٤٩/٣ (صرد). وهو من الأضداد.

(٣) الأغاني، ١٨٦/٢.

(٤) محاضرات الأدباء ومحاورات البلغاء، الرّاغب الأصفهانيّ، اختصره: إبراهيم زيدان، ص ٣٩.

(٥) العمدة، لابن رشيق، ١٢١/١.

المبحث الثّالث

عدم المبالغة في المديح

المبالغة لغةً، مصدر بالَغَ يبالغُ ، وبالغ في الأمر، أي : لم يقصّر فيه، فالمبالغة أن يبلغ المرء في الأمر جهده[١].

وفي الاصطلاح البلاغيّ، المبالغة : " أن يُدَّعى لوصف بلوغه في الشّدّة أو الضعف حدّاً مستحيلا أو مستبعداً لئلّا يظنّ أنّه غير متناه في الشّدّة، أو الضّعف"[٢].

فهي في حقيقتها : " نوع من التّزيُّد في وصف الشّيء، حتّى يبلغ أقصى غاياته، وأبعد نهاياته. والمبالغة درجات تبدأ من المعقول الممكن إلى المستحيل أو المستبعد، ولذلك اختلف النّاس فيها، ما بين مستحسن ومستقبح"[٣].

أمّا كونها تزيُّد، فهذه حقيقتها، في المدح والذّمّ، والوصف عمومًا، فهي زيادة على المعنى المطابق لواقع الحال، يقول قدامة بن جعفر : "وهي أن يذكر الشّاعر حالاً من الأحوال في شعرٍ، لو وقف عليها لأجزأه ذلك في الغرض الّذي قصده، فلا يقف حتّى يزيد في معنى ما ذكره من تلك الحال ما يكون أبلغ في ما قصد"[٤].

ويقول أبو هلال العسكريّ : "والمبالغة أن تبلغ بالمعنى أقصى غاياته ، وأبعد نهاياته، ولا تقتصر في العبارة عنه على أدنى منازله، وأقرب مراتبه"[٥]. ويقول : "ومن المبالغة نوع آخر، وهو أن يذكر المتكلّم حالاً، لو وقف عليها أجزأته في غرضه منها، فيجاوز ذلك

---

(١) لسان العرب، لابن منظور، (بلغ).

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزوينيّ، تحقيق : د. محمّد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، ط٣، بيروت ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ٦٠/٦ وبقيّة الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ، عبد المتعال الصّعيدي، مكتبة الآداب ، القاهرة،/ ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ٤٠/٤ .

(٣) البلاغة العربيّة - البيان والبديع، د. وليد قصّاب، دار القلم، ط١، دبي ن ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ص ٣٢٩.

(٤) نقد الشّعر، قدامة بن جعفر ، ص١٤٦.

(٥) الصّناعتين ، لأبي هلال العسكريّ، ص ٣٦٥.

حتّى يزيد في المعنى زيادة تؤكّده، ويلحق به لاحقة تؤيّده"[١].

ويقول الباقلانيّ : "والمبالغة تأكيد معنى القول" [٢].

وبذلك فإنّ المبالغة زيادة في المعنى، بحيث يصل فيها المتكلّم إلى أقصى غاياته، والغاية من ذلك بلاغة التّعبير عن المعنى المراد، وتأكيده، وتأييده بما يقوّيه ويثبّته.

وقد اختلف البلاغيّون والنّقّاد القدماء في المبالغة، فكما يقول ابن رشيق: "منهم من يؤثرها ويقول بتفضيلها، ويراها الغاية القصوى في الجودة"[٣]، "ومنهم من يعيبها وينكرها، ويراها عيبًا وهجنة في الكلام، قال بعض الحذّاق بنقد الشّعر : المبالغة ربما أحالت المعنى، أو لبّسته على السّامع" [٤] فهي بذلك عندهم خلاف الإبانة والإفصاح عن المعنى المطلوب "وإنّما يقصدها من ليس بمتمكّن من محاسن الكلام"[٥]. ويبيّن ابن رشيق أنّ هذا ينطبق على ما كان فيه بعد في المبالغة، "وليس كلّ مبالغة كذلك"[٦]. أي أنّ منها ما كان من محاسن الكلام، بل هي من المحسّنات البديعيّة المعنويّة، ما لم يبعد فيها الشعراء أو المتكلمون عمومًا إلى حدّ المستحيل.

وقد أجمل صاحب الطّراز آراء القدماء في المبالغة في ثلاثة مذاهب :

١- المذهب الأوّل : وهو مذهب من يعيبونها وينكرونها "وحجّتهم .. أنّ خير الكلام ما خرج مخرج الحقّ، وجاء على منهاج الصّدق من غير إفراط ولا تفريط، والمبالغة لا تخلو من ذلك ، كما جاء في أشعار المتأخّرين من الإغراق والغلوّ" [٧]. وعندهم أنّما يلجأ إليها من عجز عن الأساليب المعهودة.

٢- والمذهب الثّاني : خلاف المذهب الأول ، وهو "أنّ المبالغة من أجلِّ المقاصد في

---

(١) المصدر السّابق، ص٣٦٥ - ٣٦٦.

(٢) إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلّانيّ ، تحقيق : د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، ط١، بيروت ، ١٤١١هـ - ١٩٩١م ، ص ١٤٢ .

(٣) العمدة، لابن رشيق، ٦٥٨/٢ .

(٤) المصدر السّابق ، ٢/ ٦٥٨.

(٥) المصدر السّابق ، ٦٦٠/٢ .

(٦) المصدر السّابق ، ٢/ ٦٦٠ .

(٧) الطراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلويّ اليمنيّ، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤٠٢هـ- ١٩٣م ، ١١٧/٣ - ١١٨.

الفصاحة ، وأعظمها في البراعة، ومن أجلها نشأت المحاسن في المعاني الشّعريّة، وحجّتهم على هذا أنّ خير الشّعر أكذبه، وأفضل الكلام ما بولغ فيه" [١].

٣- والمذهب الثّالث : وهو وسط بين المذهبين، لا يرفضها مطلقًا، ولا يقبلها مطلقًا، وذلك أنّ "المبالغة فنّ من فنون الكلام، ونوع من محاسنه، ولا شكّ أنّ للكلام بها فضل بهاء، وجودة رونق وصفاء .. لكنْ ليس على جهة الإطلاق ، فإنّ الصّدق فضله لا يجحد، وحسنه لا ينكر، فمهما كانت المبالغة جارية على جهة الاعتدال بالصّدق ، فهي حسنة جميلة، ومهما كانت جارية على جهة الغلوّ والإغراق فهي مذمومة" [٢].

وهذا المذهب الأخير هو المعتمد في تقويم المبالغة، في منهج الأدب الإسلاميّ، فلا تُقبل مطلقًا، ولا تُرفض مطلقًا، وإنّما لها مقاييس تبيّن كونها مقبولة أم مرفوضة، فهي درجات بين الممكن والمستحيل، "بحسب درجة الصّفة فيها"[٣]، ويتمثّل ذلك في تقسيمها إلى ثلاثة أنواع كما في الإيضاح، فهي: "تنحصر في : التّبليغ، و الإغراق، والغلوّ" [٤].

١- التّبليغ : وهو وصف الشّيء بصفة زائدة عن الحدّ المطابق لواقع حال الموصوف، إلى مرتبة أو درجة عليا، وغاية بعيدة، ولكنّها غير ممتنعة عقلاً ولا عادة، أي: إنّ مثلها يمكن أن يحدث في الواقع[٥].

٢- الإغراق : "وهو أبعد درجة من التّبليغ ، فهو تزيّد في الصّفة وإغراق فيها، حتّى أنّ مثلها لا يُتخيّل في عالم الواقع، أو في أعراف النّاس وعاداتهم ، وإن كان العقل لا يمنع من وقوعها، فهي لم تصل إلى حدّ الاستحالة العقليّة" [٦]. فهي ممتنعة عادة، ممكنة عقلاً[٧].

٣- الغلوّ : "وهو أقصى درجات المبالغة، ومعناه : " أن يُدَّعى لموصوف صفة يستحيل

---

(١) المصدر السّابق ، ١١٨/٣.
(٢) المصدر السّابق ، ١١٨/٣ - ١١٩.
(٣) البلاغة العربيّة - البيان والبديع، د. وليد قصّاب، ص ٣٢٩ .
(٤) الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزوينيّ ، ٦٠/٦ .
(٥) البلاغة العربيّة - البيان والبديع، د. وليد قصّاب ، ص ٣٢٩ . بتصرّف .
(٦) المصدر السّابق ، ص ٣٢٩ - ٣٣٠ .
(٧) انظر : الإيضاح في علوم البلاغة ، للخطيب القزوينيّ ، ٦/ ٦٢.

وجودها فيه عقلاً وعادة ، لأنّها صفة زائدة، يرفض تصوّرها العقل ، كما لا يمكن حدوثها في الواقع والعادة" [1].

وممّا تقدّم فإنّ التّبليغ والإغراق في المبالغة مقبولان، والغلوّ مرفوض.

ولكن ذكر البلاغيون طرقًا لتقريب الغلوّ وجعله مقبولاً، وذلك باستعمال بعض الألفاظ ، مثل : كاد، و أوشك ، و لو ، و لولا، ونحوها، وحسن التّخييل، والتّصوير وطرافته، وما كان على سبيل الدّعابة والهزل[2].

وبالنّتيجة فالمبالغة قسمان رئيسان : مقبولة ، وغير مقبولة .

وأمّا المبالغة المقبولة ، فهي ما كانت بحدود التّبليغ و الإغراق ، فهي من المعقول الممكن، وهي من المحسّنات المعنويّة في شعر المديح، وفي الوصف عامّة، وهي في شعر المديح تجري في صور من التّفخيم والتّضخيم في صفات الممدوح، بقصد إبرازها وإثباتها له. وكونها تزيّدًا في المعاني لا يعني أنّها من الكذب، فإنّما هي الصّنعة الشّعريّة، حيث تقوم على الاتّساع والتخييل ، واختراع الصّور والمعاني، فلا يطالب الشّاعر بالتزام حدود المنطق والواقع[3].وقد عبّر البحتريّ عن ذلك ، حيث قال [4]:

كلّفتمونـــا حـــدودَ مـــنطقِكُم في الشّعر، يكفي عن صدقه كذبُهْ

فهو كما يقول عبد القاهر الجرجاني: "أراد كلّفتمونا أن نجري مقاييس الشّعر على حدود المنطق، ونأخذ نفوسنا فيه بالقول المحقق، حتّى لا ندّعي إلا ما يقوم عليه من العقل برهان يقطع به ، ويلجىء إلى موجبه. ولا شكّ أنّه إلى هذا النّحو قصد، وإيّاه عمد، إذ يبعد أن يريد بالكذب إعطاء الممدوح حظًّا من الفضل والسّؤدد ليس له ، ويبلغه بالصّفة حظًّا ليس هو أهله، وأن يجاوز به من الإكثار محله، لأنّ هذا الكذب لا يبين بالحجج

---

(١) البلاغة العربيّة – البيان والبديع ، د. وليد قصاب ، ص ٣٣٠ .

(٢) انظر : الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزوينيّ، ٦/ ٦٣ – ٦٤. وانظر : البلاغة العربيّة – البيان والبديع، د. وليد قصّاب، ص ٣٣٠ – ٣٣٢.

(٣) انظر : أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجانيّ، تحقيق : محمود محمّد شاطر، مطبعة المدنيّ، القاهرة/ دار المدنيّ ، جدّة ، ط١، ١٤١٢هـ – ١٩٩١م ، ص ٢٧٢ .

(٤) المصدر السّابق، ص ٢٧٠ .

المنطقيّة، والقوانين العقليّة ، وإنّما يُكذَّب فيه القائل بالرّجوع إلى حال المذكور واختباره فيما وصف به" [1].

وأمّا المبالغة غير المقبولة فهي ما كانت من الغلوّ، فهي من المستحيل المستبعد وقوعه، أي أنّها كذب ، وهذا هو سبب رفضها. فلم يعدّها البلاغيّون من المحسّنات المعنويّة بما أنّها مرفوضة أصلاً[2].

ويتّخذ منهج الأدب الإسلاميّ من (عدم المبالغة في المديح) معيارًا للمديح المقبول، والمقصود بذلك عدم المبالغة المرفوضة، وهي المجاوزة للحدِّ المعقول الممكن، وتجري في صور من الغلوّ وما إليه من الإفراط والتّفريط، والإطراء والإحالة ، ونحو ذلك فهي في حقيقتها كذب، فيُردّ المديح بسببها.

فهذا المعيار أحد الضّوابط الشّرعيّة في المديح المقبول ، بألّا يقع الشّاعر المادح في شيء من هذه المبالغة المرفوضة، فذلك منهيّ عنه في الإسلام، ومن ذلك ما ورد في السّنّة من أحاديث: روي عن مطرف قال : "قال أبي : انطلقتُ في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ، فقلنا : أنت سيّدنا. فقال : "السّيّد الله" قلنا : وأفضلنا فضلاً، وأعظمنا طولاً. فقال : "قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستجرّينكم الشّيطان" [3].

وروي عن أنس رضي الله عنه : "أنّ ناسًا قالوا: يا رسول الله ! يا خيرنا وابن خيرنا، وسيّدنا وابن سيّدنا، فقال : "يا أيّها النّاس! قولوا بقولكم ولا يستهويّنكم الشّيطان، أنا محمّد، عبد الله ورسوله، ما أحبّ أن ترفعوني فوق مترلتي الّتي أنزلني الله عزّ وجلّ" [4].

وروي أنّ النّبيّ ﷺ قال: "لا تطروني كما أطري عيسى بن مريم، وقولوا: عبدالله ورسوله" [5].

---

(١) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجانيّ، ص ٢٧٠ - ٢٧١ .
(٢) انظر : الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزوينيّ ، ٦٠/٦ . الحاشية (١).
(٣) رواه أبو داود ، برقم (٤٨٠٦).
(٤) السلسلة الصحيحة للألباني، ج٤، ١٠١.
(٥) رواه البخاريّ ، برقم (٦٨٣٠).

وروى عن خالد بن ذكوان قال: "قالت الرّبيع بنت معوذ بن عفراء : جاء النّبيّ ﷺ يدخل حين بُني علي، فجلس على فراشي، كمجلسك منّي فجعلت جويريات لنا يضربن بالدّفّ، ويندبن من قتل من آبائي يوم بدر، إذ قالت إحداهن:

وفينا نبيّ يعلم ما في غد

فقال : "دعي هذا وقولي بالّذي كنت تقولين"(١).

فالجارية أرادت أن تمدح النّبيّ ﷺ، فتغنّت بهذا الشّعر، فجاوزت الحدّ فيه ، فالنّبيّ ﷺ لا يعلم الغيب، إنّما هو كما قال في الحديث السّابق (عبدالله ورسوله)؛ ولذلك نهى الجارية عمّا قالت في مديحه ﷺ، ومن هاهنا كان النّهي عن المبالغة المجاوزة للحدّ ضابطًا شرعيًّا في المديح المقبول.

وعلى ذلك كان الصّحابة -رضي الله عنهم- وصلحاء الأمة، على نحو ما روي عن سالم "أنَّ شاعراً مدح بلال بن عبدالله ، فقال : بلال بن عبدالله خير بلال

فقال ابن عمر : كذبت، لا ، بل : بلال رسول الله خير بلال"(٢).

لقد بالغ الشّاعر كثيراً، إذ وصف ممدوحه بأنّه خير من تسمّى بهذا الاسم، وهذا كذب بيِّن ، وتجاوز ممقوت من النّاحية الشّرعيّة، فبادر ابن عمر بالرّدِّ عليه ، فكذَّبه، بأنّ خير من تسمّى بلالاً هو (بلال رسول الله) ويقصد (بلال بن رباح مؤذن رسول الله ﷺ).

ومثل ذلك ما أثر عن عمر بن عبد العزيز – قبل تولّيه الخلافة في العهد الأمويّ – أنّ رؤبة بن العجاج "دخل على الخليفة سليمان بن عبد الملك، وكان جلس للصّحابة، فأنشده :

خرجت بين قُمير وشمسٍ بين ابن مروانَ وابنِ عبدِ شمسِ

يا خيرَ نفسٍ خرجت من نفسِ

فقال عمر بن عبد العزيز : كذبتَ ، ذلك رسول اللهﷺ " (٣).

---

(١) البخاريّ ، برقم (٥١٤٧) و (٤٠٠١).

(٢) رواه ابن ماجه، برقم (١٥٢).

(٣) الأشراف، لابن أبي الدنيا، ص ٧٥ . الخبر : ٣٨ .

ومحلُّ اعتراض عمرَ بن عبد العزيز على رؤبة الشّطر الأخير من هذا الرّجز، فكذّبه في ذلك، لما فيه من التزيّد والمجازفة والإطراء، فذلك كذب محرَّم في الإسلام، فلم يكن الممدوح بهذه الصّفة، ورأى عمر بن عبد العزيز بثاقب بصيرته أنَّ هذا الوصف لرسول اللهﷺ ، فلا يجوز أن يوصف أو يمدح به غيرهﷺ فإذا كانت المبالغات الشّعريّة مقبولة على أنّها من طبيعة فن القول الشعريّ ، فلا يعني ذلك أن يخرج الشّاعر أو المادح عموماً إلى الكذب. وبذلك كان موقف عمر بن عبد العزيز مع رؤبة كموقف ابن عمر رضي الله عنهما مع الشّاعر الّذي وصف بلال بن عبد الله بأنّه خير بلال .

وكذلك المبالغة المجاوزة للحدّ مرفوضة في النّقد الأدبي، فيردّ المديح بسببها، وممّا ورد في ذلك : أنّ أرسطو "قد ذكر الإفراط .. في خطابته ، فذهب إلى أنّه لا يحسن استعمال اللفظ المفرط في الصّفة، حتّى لا يدخل في حيِّز الكذب" [(١)].

ويقول صاحب الوساطة : "فأمّا الإفراط فمذهب عامّ في المحدثين، وموجود كثير في الأوائل، والنّاس فيه مختلفون، فمستحسن قابل، ومستقبح رادٌّ، وله رسوم متى وقف عندها، ولم يتجاوز الوصف حدّها جمع بين القصد والاستيفاء ، وسلم من النّقص والاعتداء، فإذا تجاوزها اتّسعت له الغاية ، وأدّته إلى الإحالة، وإنّما الإحالة نتيجة الإفراط، وشعبة من الإغراق، والباب واحد، ولكن له درج ومراتب" [(٢)].

فهو يعدّ الإفراط والإغراق من الغلوّ، وليس المقصود بالإغراق هنا كما في المبالغة المقبولة، بل ما يدخل حيّز الغلوّ ، وكذلك قال الحاتميّ : "وجدت العلماء بالشّعر يعيبون على الشّاعر أبيات الغلوّ والإغراق، ويختلفون في استحسانها واستهجانها، ويعجب بعض منهم بها، وذلك على حسب ما يوافق طباعه واختياره، ويرى أنّها من إبداع الشّاعر الّذي يوجب الفضيلة له، فيقولون : "أحسن الشّعر أكذبه" وإنّ الغلوّ إنّما يراد به المبالغة والإفراط"[(٣)].

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة ، للخطيب القزوينيّ ، ٦/ ٠٦٤ الحاشية.

(٢) الوساطة بين المتنبّي وخصومه ، على بن عبدالعزيز الجرجانيّ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجّاوي، دار القلم ، بيروت ، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م ، ص ٤٢٠.

(٣) العمدة ، لابن رشيق ، ٢/ ٦٧٣ - ٣٧٤ .

ويقول ابن رشيق في (باب الغلوّ) : "ومن أسمائه أيضًا الإغراق والإفراط، ومن النّاس من يرى أنّ فضيلة الشّاعر إنّما هي في معرفته بوجوه الإغراق والغلوّ، ولا أرى ذلك إلا محالاً، لمخالفته الحقيقة، وخروجه عن الواجب والمتعارف عليه، وقد قال الحذّاق: خير الكلام الحقائق، فإن لم تكن فما قاربها وناسبها" [(١)].

وكذلك قال أبو هلال العسكريّ في (الغلوّ) : "ومن عيوب هذا الباب أن يخرج فيه إلى المحال"[(٢)].

ويقول ابن سنان الخفاجيّ : "وأمّا المبالغة في المعنى والغلوّ، فإنّ النّاس مختلفون في حمد الغلوّ وَذمّه، فمنهم من يختاره ، ويقول : أحسن الشّعر أكذبه، ويستدلّ بقول النّابغة وقد قيل له: من أشعر النّاس ؟ فقال : من استجيد كذبه، وأضحك رديئه، وهذا هو مذهب اليونانيّين في شعرهم، ومنهم من يكره الغلوّ والمبالغة الّتي تخرج إلى الكذب، ويختار ما قارب الحقيقة، ودانى الصحة" [(٣)]. ويقول : "والّذي أذهب إليه المذهب الأوّل في حمد المبالغة والغلوّ، لأنّ الشّعر مبنيٌّ على الجواز والتّسمّح، لكن أرى أن يستعمل في ذلك "كاد" وما يجري في معناها، ليكون الكلام أقرب إلى حيّز الصّحّة"[(٤)]. وخلاصة ذلك ألّا تدخل المبالغة حيّز الكذب .

وكذلك ذكر ابن رشيق مذهب القائلين بأنّ أحسن الشّعر أكذبه، واحتجاجهم بقول النّابغة – آنفاً – ثمّ قال : "وقد طعن قوم على هذا المذهب بمنافاته الحقيقة، وأنّه لا يصحّ عند التّأمُّل والفكرة" [(٥)].

ويقول حازم القرطاجنّي: "فإنّ العلماء بصناعة البلاغة متّفقون على أنّ ما أدّى إلى الإحالة قبيح، وقد خالف في هذا جماعة، ممّن لا تحقيق عنده في هذه الصّناعة ولا بصيرة له بها. فاستحسنوا من المبالغة ما خرج عن حدّ الحقيقة إلى حيِّز الاستحالة، واحتجّوا بمطالبة

---

(١) المصدر السّابق ، ٦٧٢/٢ .

(٢) الصناعتين ، لأبي هلال العسكريّ، ص ٣٦٣ .

(٣) سرُّ الفصاحة ، أبو محمّد عبدالله بن محمّد بن سعيد بن سنان الخفاجيّ الحلبيّ، تحقيق : د. النّبويّ عبد الواحد شعلان، دار قباء ، القاهرة، ٢٠٠٣م ، ص٤٠٥ .

(٤) المصدر السّابق ، ص ٤٠٦ .

(٥) العمدة لابن رشيق ، ٦٧٤/٢.

النّابغة حسّان بن ثابت بالمبالغة في أوصافه حين أنشده قوله [1]:

لنا الجفنات الغرُّ يلمعن بالضُّحى وأسيافنا يقطُرْنَ من نجدةٍ دمًـــا

فقال له : "قلَّلتَ جفانك وسيوفك، ولو قلت : الجفان والسّيوف لكان أبلغ" . والبصراء بصناعة البلاغة العارفون بما يجب فيها يقولون : إنّما طالب النّابغة حسانًا بمبالغة حقيقيّة، وهي تكثير الجفان والسّيوف، فاستدرك عليه التقصير عمّا يمكن فيما وصف ، و لم يطالبه بتجاوز غاية الممكن والخروج إلى ما يستحيل" [2].

ويقول حازم أيضًا : "وقد يستساغ الوصف بما يؤدّي إلى الإحالة حيث يقصد التّهكّم بالشّيء، أو الزّراية عليه والإضحاك به" [3].

فذلك مما يقرِّب الغلوّ من الحقيقة ، ويحترز به عن حدّ التّجاوز إلى المستحيل ، فذلك كذب، يرفضه منهج الأدب الإسلاميّ ، في المديح وفي غيره من الأغراض الشّعريّة وسائر الكلام.

وكما يقول الدّكتور وليد قصّاب : "تبقى المبالغة مقبولة ضمن حدود معيّنة، ما لم تصادم العقل، أو يكون فيها اعتداء على قيم دينيّة، أو خلقيّة"[4] فإنّ ذلك يجعلها مرفوضة في منهج الأدب الإسلاميّ، فيُرَدّ المديح في الشّعر بسببها.

---

(١) ديوان حسّان بن ثابت ، ص٤٢٤ .
(٢) منهاج الأدباء وسراج البلغاء، حازم القرطاجنّي ، ص ١٣٣-١٣٤ .
(٣) المصدر السّابق ، ص ١٣٤ .
(٤) البلاغة العربية – البيان والبديع، د. وليد قصّاب ، ص ٣٣٢ .

المبحث الرّابع

مدح مَنْ يستحقُّ (الصِّدقُ)

المدح في الإسلام غير محظور كما عرفت، لا في الشِّعر ولا في غيره من الكلام، ولكن له ضوابط شرعيّة، وأهمّها أن يكون الممدوح مستحقًّا للمدح، باتّصافه فعلاً بما يُمدح به، بما يعلم المادح من أحواله، دون زيادة أو مبالغة، أو قطع وجزم فيما يقول، وبذلك يكون صادقًا في مدحه.

وذلك شرط أساس للمدح في إطار الضّوابط الشرعيّة، ولكنّه ليس مطلقًا تحت هذا الشّرط، بل مقيّدًا بضوابط تتعلّق بأحوال كلٍّ من المادح والممدوح.

فالمدح جائزٌ في الإسلام بصفةٍ عامّة، لمن يستحقّه وفق ضوابط شرعيّة لها مقاصد. وأمّا النّهي عن المدح في الشّعر، في الحديث المرويّ عن المقداد ﷺ: "إذا رأيتم المدّاحين فاحثوا في وجوههم التّراب"[1]. فقد ذكر ابن بطّال - وكذلك نقل عنه ابن حجر - أنّ العلماء تأوّلوا فيه أنّ: "المراد به المدّاحون النّاسَ في وجوههم بالباطل، وبما ليس فيهم. ولذلك قال عمر بن الخطّاب: المدح هو الذّبح. ولم يرد به من مدح رجلاً بما فيه، فقد مُدِحَ النّبيّ ﷺ في الشّعر والخطب والمخاطبة، ولم يحثُ في وجه المدّاحين التّراب"[2]. وكما أنّه ﷺ مدح غيره وأثنى عليه، ولا أدلَّ على ذلك ممّا تضمّنته أبواب فضائل الصّحابة ومناقبهم، وغيرها، في كتب السّنّة. كما سيتبيّن من موقف النّبيّ ﷺ، وموقف الصّحابة، وصلحاء الأمّة، من مدح مَنْ يستحقُّ.

١. موقف النّبيّ ﷺ من مدح مَنْ يستحقُّ:

ومنه مدح النّبيّ ﷺ لأصحابه ﷺ، وممّا روي من ذلك:

روي عن عبد الله بن عمر، قال: قال رسول لله ﷺ: "مَنْ جرّ ثوبه لم ينظر الله إليه

---

(١) رواه مسلم (٧٥٠٦). وأبو داود (٤٨٠٤). والتّرمذيّ (٢٣٩٣). والبخاريّ في الأدب المفرد (٣٤١).

(٢) شرح صحيح البخاريّ، لابن بطّال، ٥٣/٩. وانظر: فتح الباري، لابن حجر، ٤٧٧/١٠.

يوم القيامة". فقال أبو بكر: إنّ أحد شقَّي ثوبي يسترخي إلاّ أن أتعاهد ذلك منه، فقال رسول ﷺ: "إنّكَ لستَ تصنع ذلك خيلاءً"[١].

وفي (باب من أثنى على أخيه بما يعلم)[٢] روى البخاريُّ: "أنّ رسول الله ﷺ حين ذكر في الإزار ما ذكر قال أبو بكر: يا رسول الله، إنّ إزاري يسقط من أحد شقّيه، قال: "إنّكَ لستَ منهم"[٣].

وقال ابن حجر في شرح الحديث: "وهذا من جملة المدح، لكنّه لّما كان صدقًا محضًا، وكان الممدوح يُؤْمَنُ معه الإعجاب والكبر مُدح به، ولا يدخل ذلك في المنع. ومن جملة ذلك الأحاديث المتقدّمة في مناقب الصّحابة، ووصف كلّ واحدٍ منهم بما وُصِف به من الأوصاف الجميلة"[٤].

وأمّا مدح النّبيّ ﷺ فهو كثير، في الشّعر وغيره، ومنه:

روى مسلم: "قال البراء: كنَّا، والله، إذا احمرّ البأس نتّقي به، وإنّ الشّجاع مِنّا لَلَّذي يحاذي به، يعني النّبيّ ﷺ))[٥]. وفي حديثٍ رواه البخاريُّ: "عن ابن عبّاس، قال: كان رسول الله ﷺ أجود النّاس، وكان أجود ما يكون في رمضانَ حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كلّ ليلةٍ من رمضانَ، فيدارسُه القرآنَ، فرسول الله أجودُ من الرِّيح المرسلة"[٦].

في هذين الحديثين وصف للنّبيّ ﷺ بالشّجاعة والجود، وهذا مدح له ﷺ، بما هو أهلٌ له حقًّا، فما قال البراء وابن عبّاس إلاّ الحقّ والصّدق، فكلاهما ذكر بأمانةٍ وعن تثبّتٍ ما هو معهود من النّبيّ ﷺ.

ومُدِح النّبيّ ﷺ تمثّلاً بالشّعر، وممّا روي من ذلك: "قالت عائشة -رضي الله

---

(١) رواه البخاريّ، (٣٦٦٥).
(٢) هذا الباب في صحيح البخاريّ، برقم (٥٥) من كتاب الأدب.
(٣) رواه البخاريّ (٦٠٦٢).
(٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاريّ، لابن حجر، ٤٧٩/١٠.
(٥) رواه مسلم (٤٦١٦).
(٦) رواه البخاريّ (٦).

عنها-: كان رسول الله ﷺ يخصف نعله، وكنت جالسةً أغزل، فنظرت إليه فجعل جبينه يعرق، وجعل عرقه يتولَّد نورًا، قالت: فبُهتُّ، فنظر إليَّ فقال: ما لكِ بُهِتِّ؟ فقلت يا رسول الله! نظرتُ إليك فجعل جبينُكَ يعرق وجعل عرقك يتولّد نورًا، ولو رآك أبو كبير الهذليّ لعلم أنّكَ أحقّ بشعره، قال: وما يقول يا عائشة أبو كبير الهذليّ؟ قلت: يقول هذين البيتين[1]:

ومُبَرَّأً مِنْ كلِّ غُبَّـــرِ حيـــضةٍ وفسادِ مُرْضِعَةٍ وداءٍ مُعْضِلِ[2]
وإذا نظرتَ إلى أسِرّةِ وجهـــه برقَتْ كبرقِ العارضِ المُتَهَلِّـــلِ

قالت: فوضع ﷺ ما كان بيده، وقام إليّ وقبّل بين عينيّ، وقال: جزاكِ الله خيرًا يا عائشة، ما سُرِرْتِ مِنّي كما سُرِرْتُ منكِ"[3].

لقد رأت عائشة -رضي الله عنها- أنّ النّبيّ ﷺ أحقّ أن يُمدح ببيتي أبي كبيرٍ الهذليّ فهو المستحقُّ لهما عن جدارة، فتمثّلت بهما، لما عرفته وعاينته يقينًا من صفات وشمائل النّبيّ ﷺ، دون مبالغةٍ أو مجاوزة في الإطراء والمدح، بدليل أنّ النّبيّ ﷺ قبل منها ذلك فأثنى عليها.

فهذا الحديث دليل جواز المدح بالوجه لمن يستحقُّ، وفيه جانبٌ مهمٌّ في نقد المديح في الشِّعر وتقويمه، أن يكون الممدوح مستحقًّا، فيُمدح دون مبالغة أو غلوّ، أي أن يلتزم الشّاعر المادح الصّدق والواقعيّة.

وكذلك مدح الشّعراء من أوائل المسلمين النّبيّ ﷺ، في حضرته، وفي غيابه،

---

(١) من قصيدة له في ديوان الهذليّين، شرح أبي سعيد السّكّريّ، دار الكتب، القاهرة، ١٣٦٩هـ ٢/٩٢. وشرح ديوان الحماسة، أبو زكريا يحيى بن علي التّبريزيّ الشّهير بالخطيب، عالم الكتب، ط١، بيروت، د.ت . ١/٤٣.

(٢) روي (ومبرّئ) بالجر. و (وغبّر الحيض وغيره، بقاياه). شرح الحماسة، المصدر السّابق، ١/٤٣. وغبّر كل شيءٍ؛ بقاياه). لسان العرب، ٥/٣ (غبر). وحَيضة: بفتح الحاء، المرّة من دفع الحيض ونوبه. وبكسر الحاء: الحيض نفسه. لسان العرب، ٧/١٤٢ (حيض).

(٣) إحياء علوم الدين، للغزاليّ، ٣/١٠٩ ــ ١١٠. و (رواه البيهقيّ في دلائل النّبوّة). المغني، لابن الحسين العراقي، على هامش الإحياء، ٣/١١٠.

وكذلك مدحوا الصّحابة، وغيرهم من المسلمين بما يرون ويوقنون من فضائلهم. وكان ذلك من المديح المقبول لمن يستحقُّ، بدليل ما استحسنه النّبيّ ﷺ، وأجاز عليه، بل أثنى على إجادة الشّعراء فيه.

ومن ذلك مديح حسّان بن ثابت للأنصار، بفضيلة الجهاد نصرةً لدين الله تعالى، حيث يقول[1]:

سمّاهُمُ اللهُ أنـــصارًا لنـــصرِهِمُ ... دينَ الهُدى وعوانُ الحربِ تَسْتَعِرُ[2]

وجاهدوا في سبيلِ اللهِ واعترفوا ... للنَّائبات فما خاموا وما ضجرُوا[3]

٢. مواقف الصَّحابة وصلحاء الأمّة من مدح مَنْ يستحقُّ:

وكذلك كان موقف الخلفاء الرّاشدين، والصّحابة، وصلحاء الأمّة في الدّعوة إلى إيقاع المديح على مَنْ يستحقُّ تبعًا لموقف النّبيّ ﷺ، فلم يقبلوا من المدح إلاّ ما كان أهلاً له، أي أنْ يكون الشّاعر صادقًا في مديحه، وردّوا ما كان خلاف ذلك، وأخذوا على أيدي الشّعراء الّذين وقعوا في مخالفات شرعيّة، وذلك واضح فيما أُثر عنهم من مواقف وآراءٍ نقديّة فيما يخص الشّعر ونقده، ومنه غرض المديح.

وقد كان في مقدمة من أثر عنهم نقد للشّعر عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد كان من أنقد أهل زمانه، وأنفذهم في معرفته[4]. وكان نقده يستند إلى مقاييسَ تنبثق من الضّوابط الشّرعيّة، فنجده مثلاً يصف زهيرًا من الشّعراء الجاهليّين بأنّه أشعر الشّعراء؛ وذلك لأنه "كان لا يُعاظل بين الكلام، ولا يتّبع وحشيّه، ولا يمدح الرجل إلاّ بما فيه"[5]. فهذا التّقويم النّقديُّ في جانبين: فنّيّ بأنّه لا يعقّد الكلام، ولا يغرب فيه، وموضوعيّ (لا يمدح الرجل

---

(١) السّيرة النّبويّة، لابن هشام، ٢٥٦/٣.

(٢) العوان: صفة للأنثى، بين البكر والمسنّة استعارها للحرب في شدّتها، لسان العرب (عون).

(٣) ما خاموا: ما قصّروا ولا انكسروا جبنًا. من خيم يخيم بمعنى جبن. لسان العرب (خيم).

(٤) انظر: العمدة، لابن رشيق، ١٣٦/١. وانظر: الدّين والأخلاق في الشّعر من النّظرة الإسلاميّة والرؤية الاجتماعيّة، د. محمد سعيد فشوان، ص ١٠٤.

(٥) طبقات فحول الشّعراء، لابن سلام، تحقيق: محمود محمد شاكر، ٦٣/١. وانظر: جمهرة أشعار العرب، لأبي زيد القرشيّ، ص ٦٨ – ٦٩. وانظر العمدة، لابن رشيق، ١٥٠/١.

إلاّ بما فيه) وهذا ممّا يتّصل بصلب الموضوع في هذا المبحث (مدح من يستحقُّ) وهو يقوم على الصّدق في القول، فقد "استحسن عمر الصّدق لذاته، ولما فيه من مكارم الأخلاق"[1]، وأثنى على زهير وفضله بموجبه، إذ إنّ زهيرًا صادق لا يمدح الرجل إلاَّ بصفةٍ فيه، فيستحقُّ المديح بها.

إلاّ أنّه بعد عهد الخلافة الرّاشدة، وفي العصر الأمويِّ، تغيّرت مناهج الشّعراء وأصبح الشّعرُ سلعةً تُباع وتُشترى، وخرج بعض الشّعراء عن مقاصد الضّوابط الشّرعيّة في توجيه غرض المديح في الشّعر، فكان كما يقول الدّكتور وليد قصاب: "انتشر المديح بشعًا حادًّا، وتفنّن الشُّعراء فيه، واكتملت تجاربهم بما ثقفوا من المعارف، والعلوم الوافدة، وصار إتقانه معراجًا إلى السّلطة، ثمّ الجاه والثّروة"[2].

وفي ذلك فساد وإثم كبير، فمدح مَنْ لا يستحقُّ، كذب يؤدِّي إلى سخط الله -عزّ وجلَّ- لأنّه تزوير للحقائق، وقلب للأمور، فما كان حال هذا الصّنف من الشّعراء - وخاصّةً مع أهل الحكم والسّلطان- إلاّ كما قال عبد الله بن مسعود ﷺ: "إنّ الرّجل ليدخل على السّلطان ومعه دينه، فيخرج وما معه دينه. قيل: وكيف ذلك؟ قال: يرضيه بما يسخط الله -عزَّ وجلَّ-"[3].

وهكذا فسد الشّعر بكلّ أغراضه الأخرى، فكان الأمر بحاجة إلى سلطان راشد يزعُ الله فيه ما لا يَزَعُ بالقرآن، فمثّل هذا الدّور في العصر الأمويّ الفقيه الورع أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز[4]. وكان بصيرًا بالشّعر ولديه قدرة كبيرة في نقده[5].

وعندما آلت الخلافة إليه كبح من جماح الشّعراء وقصَّر من شططهم في القول، فقد أبى

---

(١) العمدة، لابن رشيق، ١/١٥١.

(٢) موقف عمر بن عبد العزيز من الشّعر والشّعراء، د. وليد قصاب، (مجلّة كلّيّة الدّراسات الإسلاميّة والعربيّة، الإمارات العربيّة المتّحدة، العدد الثالث، ١٤١١هـ، ص ١٧٣ ــ ٢٠٠)، ص ١٧٤.

(٣) أدب الدنيا والدين، لأبي الحسن علي بن محمّد بن حبيب البصريّ الماورديّ، تحقيق: مصطفى السّقّا، مطبعة مصطفى البابي الحلبيّ، ط٤، القاهرة، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ص ٢٧٢.

(٤) موقف عمر بن عبد العزيز من الشّعر والشّعراء، د. وليد قصاب، ص ١٧٤. بتصرّف.

(٥) انظر: المصدر السابق، ص ١٧٥.

عليهم التزلُّفَ إليه، فلم يحصلوا منه على ما ليس لهم فيه حقّ[1]، فإذا حضر لديه شاعر وأراد مدحه بادره بالأمر والتّحذير بألاّ يقول إلاّ حقًا. وذلك شرطه في الإذن لشاعر يريد أن يمدحه (لا تقل إلا حقًّا) قالها لجرير وكثيّر عزّة والأحوص... وغيرهم من الشّعراء[2]، وذلك ممّا حملهم على الصّدق في المديح، كقول كثيّر عزّة في مديحه[3]:

تكلّمتَ بالحقِّ المــبينِ وإنّمــا تبينُ آياتُ الهدى بالتَّكلُّمِ

وقوله:

وصدقتَ بالفعل المقــالَ مــع أتيتَ فأمسى راضيًا كلُّ مسلمِ

ذلك هو جوهر القضيّة في موضوع (مدح من يستحقُّ) أن يلتزم الشّاعر الحقَّ، فيصدق في قوله، فيكون فنّه الشّعريُّ في ظلّ الضّوابطِ الشّرعيّة، فالمهمّ في شعر المديح: "أن يلتزم والجُهُ الصّدق في القول، والصّدور عن عاطفةٍ وشعورٍ حقيقيين صادقين، وألاّ يمدح المرء إلا بما فيه من الصّفات، ومحاسن الأخلاق، ومعالي الفعال، مع البعد عن المبالغة الممقوتة، وأسلوب التهويش، والتّضخيم، والتّهويل"[4].

وكذلك كان شأن شعر المديح في خلافة عمر بن عبد العزيز، في العصر الأمويّ، فقد جدّ في ردّ الشّعراء إلى جادّة الصّواب، مستلهمًا هدي النّبيّ ﷺ، وسيرة الخلفاء الرّاشدين، والصّحابة في ذلك. ولكن بعد عهد خلافته عاود الشّعراء المتكسّبون ديدنهم، فعملوا على إرضاء الممدوحين، طمعًا في الحظوة وكسب المال، دون أن يأخذوا بشيءٍ من الضّوابط الشّرعيّة، فأصبح المقياس النّقديُّ للشّعر هو مدى التّأثير في الممدوح، وهزّ مشاعره. وشجّعهم على ذلك بعض الممدوحين، فقد صاروا يطلبون من الشّعراء أن يمدحوهم بما يحبّون، من الصّفات والأخلاق الفاضلة. ومن ثمّ بدأت تقع المخالفات الشّرعيّة من الشّاعر المادح، ومن الشّخص الممدوح.

---

(١) انظر: ظاهرة التّكسّب وأثرها في الشّعر العربيّ ونقده، د. درويش الجنديّ، ص ٢٢ ــ ٢٣.

(٢) انظر: شرح شواهد المغني، للسّيوطي، ١٩٦/١، وانظر: الشّعر والشّعراء، لابن قتيبة، ٥٠٤/١ وما بعد.

(٣) الشّعر والشّعراء، أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، ط٣، القاهرة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ٥٠٦/١.

(٤) الشّعر في رحاب النّبوّة، مصطفى عيد الصياصنة، نادي الباحة الأدبي، ط١، الباحة، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص ١٠٣.

وعلى ضوء ما تقدّم فإنّ (مدح من يستحقُّ) جائز، وحكمه الشّرعيُّ مندوب مستحبٌّ، وقد يكون واجبًا، إذا كان بطلب من الحاكم أو وليّ الأمر، لقصد شرعيّ، كما طلب النّبيّ ﷺ من كعب بن زهير أن يمدح الأنصار، ففعل. والله أعلم.

والهدف من (مدح من يستحقُّ) في منهج الأدب الإسلاميّ أن يقوم المديح على الصّدق، فيصدق الشّاعر المادح، فيجعل مدحه بحدود ما يعلم من حال ممدوحه، فلا يزيد على ما يعلم بالمجازفة والإطراء، فذلك افتراء وكذب محرّم في الشّريعة الإسلاميّة، في الكتاب والسّنّة. وليس من ذلك مبالغات الشّعراء فيما جرت به العادة، فالمبالغة من صفة الشّعر، فلا يعتقد الشّاعر صورة ما يصف به ممدوحه على أنّه حقيقة، وإنّما ذلك أسلوب لإظهاره صفةً في الممدوح[1]. وإذا كان معيار (مدح من يستحقُّ) يقوم على صدق المادح واستحقاق الممدوح، فإنّ له ضوابط شرعيّة، تتلخص في الآتي:

أ. أن تكون نيّة الشّاعر المادح إظهار الفضيلة فيما يتّصف به الممدوح، على وجهٍ شرعيّ، فلا يكون مدحه بدافع أو غايةٍ سوى ذلك.

ب. أن يُؤمن على الممدوح الإعجاب، والفتنة، واغتراره بنفسه، بسبب ما يسمع من الإطراء، فيقع المادح والممدوح في المحظور، بل في الهلكة، وتلك هي علّة النّهي عن الإطراء. فإذا كان المادح تأكّد من أنّ ممدوحه "لا يُخاف عليه ذلك؛ لكمال تقواه، ورسوخ عقله، ومعرفته فلا نهي في مدحه في وجهه"[2]. فكما أُثر عن سفيان بن عيينة قوله: "ليس يضرّ المدح مَنْ عرف نفسه"[3].

ج. ألاّ يعرض المادح بهجاء، أو ذمٍّ، أو تعريضٍ بأحدٍ أو قومٍ من المسلمين.

فإذا كان (مدح من يستحقُّ) وفق هذه الضّوابط الشّرعيّة فلا نهي عنه، سواء،

---

(١) إحياء علوم الدين، للغزاليّ، ١٠٩/٣. بتصرّف.

(٢) شرح صحيح مسلم، للنّوويّ، ٣٣٦/١٧ ــ ١٣٣٧.

(٣) الصّمت وحفظ اللسان، لابن أبي الدّنيا، ص ٢٧٩.

أكان مدحًا في الوجه أم في غياب الممدوح، في الشّعر أم في غيره، فكما قال النّووي: "اعلم أنّ مدح الإنسان، والثّناء عليه بجميل صفاته، قد يكون في وجه الممدوح، وقد يكون بغير حضوره، ويُستحبُّ في هذا المدح الّذي لا كذب فيه"[1]. فمعيار مدح مَنْ يستحق إنّما يقوم على الصّدق في القول.

قضيّة الصّدق في المديح:

الصّدق في المديح يعني تجنّب محاذيره كافّة التي ترجع في حقيقتها إلى الكذب، كما تبيّن ذلك في آراء جمهور النّقّاد، والعلماء الأوائل، فقد بيّنوا خطورته، وعبّروا عن رفضهم الصّريح للكذب في الشّعر عامّة، وكان هذا الاتّجاه النّقديّ يقوم على أساس التّصور الإسلاميّ لشعر المديح.

إلاّ إنّ ثمّة اتّجاهًا آخر في النّقد القديم قد عني بالكلام على مناسبة المديح للممدوح، فاهتمَّ بعض النّقّاد بذلك، فأخذوا يوجّهون الشّعراء إلى أهمّيّة التّمييز بين الممدوحين، فما ينبغي -مثلاً- أن يُمدح ملك بصفات مَنْ هو دونه، كما لا يجوز العكس. وكان هذا مجاراة للممدوحين، من الحكّام وذوي السّلطان[2]. ومن ثمّ انصبَّ اهتمام بعض النّقّاد على التّجويد في التّعبير عن المعاني، أي (الجماليّة في الشّعر) فحسب. ولم يعد الصّدق في المضمون، أو الصّدق الموضوعي لديهم ضروريًّا أو ملزمًا. يقول قدامة بن جعفر: "وعلى الشّاعر إذا شرع في أيّ معنى -كان- من الرّفعة، والضّعة، والرّفث، والنّزاهة، والبذخ، والقناعة، والمدح، وغير ذلك من المعاني الحميدة، أو الذّميمة أن يتوخّى البلوغ في التّجويد في ذلك إلى الغاية المطلوبة"[3]. فذلك هو الهدف، أمّا الصّدق فالشّاعر غير مطالب به، بل إنّ هؤلاء النّقّاد قد أخذوا بمقولة (أحسن الشّعر أكذبه) وقد تأثروا في ذلك ببعض قدماء اليونان، ونسبوا هذه المقولة إلى أرسطو خطأً[4]. وعلى ذلك فالتّجويد

---

(١) الأذكار المنتخبة من كلام سيّد الأبرار، للنّوويّ، مطبعة البابي الحلبيّ، ط٤، القاهرة، ١٣٧٥هـ، ص ٢٤٤ ــ ٢٤٥.

(٢) انظر: نقد الشّعر، لابن قدامة جعفر، ص ١٠٦ وما بعد. والعمدة، ٧٩٦/٢ ــ ٧٩٧. والنّقد الأدبيّ الحديث، د. محمد غنيمي هلال، ص ٧١.

(٣) نقد الشّعر، قدامة بن جعفر، ص ٦٥ ــ ٦٦.

(٤) النّقد الأدبيّ الحديث، د. محمد غنيمي هلال، ص ٢٢٠، بتصرّف.

في رأيهم هو (الغلوّ) في الشّعر إلى حدّ الكذب. يقول قدامة "قد بلغني عن بعضهم أنّه قال: أحسن الشعر أكذبه، وكذا ترى فلاسفة اليونانييّن في الشّعر على مذهب لغتهم"[١].

وهناك نقّاد توافق اتجاههم مع مذهب الفنّ للفنّ، في قضيّة الصّدق في الشّعر، دون أن يقصدوا ذلك، فهذا أبو بكر الصّولي، في معرض دفاعه عن أبي تمام، يقول: "وما ظننتُ أنّ كفرًا ينقص من شعرٍ، ولا أنّ إيمانًا يزيد فيه"[٢]. وكذلك فعل القاضي عبد العزيز الجرجانيّ في دفاعه عن المتنبّي، فهو لا يرى في سوء الاعتقاد، ولا في مخالفة الدّين عيبًا أو مأخذًا على الشّاعر[٣]. وعلى حدّ قول أبي هلال العسكريّ: "وإن زخر شعره بقول الزور، وقذف المحصنات"[٤].

فأمثال هؤلاء النّقّاد ومن كان على مذهبهم بدوا أقرب إلى مذهب الفنّ للفنّ، حتى أنّ ناقداً معاصراً مثل الدّكتور محمد غنيمي هلال قال : "وقد قرّر هؤلاء النّقّاد بذلك بأنّ الشّعر عارٍ من الغايات النّفعية، فلا يطالب الشّاعر بهدفٍ خاصٍّ، فالشّعر قد يقع موقع الضّرر" [٥]، "وكما لم يطالب هؤلاء النّقّاد الشّاعر بصدقٍ ولا هدف، لم يطالبوه كذلك بشيءٍ مما يفرضه الدّين" [٦].

ولكن ليس الأمر كذلك، فهؤلاء النّقّاد لم يقصدوا إلى ذلك ، وإنّما أرادوا أنّ فساد العقيدة أو الكذب في الشّعر ليس مدعاةً لإنكار مكانة الشّاعر الفنيّة، من حيث مقدرته وبراعته في فنّ الشّعر، أي من حيثُ الصّنعة الشّعريّة، وكان ذلك منهم في الدّفاع عن بعض أعلام الشّعراء، كأبي تمام والمتنبّي في حمأة المعارك النّقديّة، فهم ليسوا دعاةً إلى إفساد العقيدة والانحلال الخلقيّ في الشّعر، بل على العكس من ذلك تماماً، وأشير هنا إلى ما أوردته من أقوالهم، وآرائهم في رفض المبالغة المجاوزة للحدّ في شعر المديح.

ولكن لا يُنكر أنّه كان لاتجاههم هذا أثر خطير، من حيث توافق مع مذهب الفنّ

---

(١) نقد الشّعر، قدامة بن جعفر، ص ٩٤.
(٢) أنظر : أخبار أبي تمام، لأبي بكر الصّوليّ، ص ١٧٢.
(٣) انظر: الوساطة، القاضي عبد العزيز الجرجانيّ، ص ٦٤.
(٤) انظر : الصّناعتين، أبو هلال العسكريّ، ص ١٠٣.
(٥) النّقد الأدبيّ الحديث، د. محمد غنيمي هلال، ص٢١٥ .
(٦) المصدر السابق، ص٢١٥ .

للفنّ -وإن بظاهر أقوالهم- فذلك أمر مرفوض في التّصوّر الإسلاميّ، إذ هو توجيه يجعل الشّعر أداةً لإفساد المجتمع وتخريبه، ويظهر أثر ذلك في غرض المديح بجلاء، فهذا المذهب النّقديُّ بطبيعته يدفع الشّعراء إلى ارتكاب المزيد من الكذب وهو جماع المخالفات الشّرعيّة، وخاصّة في ظلّ ظاهرة التّكسّب بالشّعر. "وقد جاراهم أكثر[1] النّقّاد، فأخذوا يعلّمونهم وسائل نيل الحظوة عند ممدوحيهم، يقصدون إلى تلقينهم وسائل الإبداع والإغراب، لا إرشادهم إلى مدح الفضائل"[2]. وفي ذلك أيضًا مجاراةٌ لبعض الممدوحين، وبخاصّة الّذين أخذوا يدفعون الشّعراء إلى المبالغة والكذب في مديحهم.

فلا قيمة إذًا لتلك الأشعار الّتي قامت على الكذب والتّزوير في المديح، فكما يقول الدّكتور نجيب الكيلاني: "وإذا كان الفنّ عاريًا من الصدق فقد تهدّمت دعامةٌ كبرى من دعائمه، فتنهار كلّ مقوماته، ويفقد أغلى قيمةٍ يعتزُّ بها أيّ فنٍّ من الفنون، ويصبح تعبيرًا زائفًا عن النّفس والحياة، وتزويرًا لواقعٍ عاشته، أو تعيشه البشريّة"[3].

لقد كان مذهب (الفنّ للفنّ) بالغ الخطورة في حياة المجتمع المسلم، إذ فصل هؤلاء النّقّاد بين الشّعر والدّين، وبالنّتيجة ألغوا دوره الّذي أراده له الإسلام، فكان مذهبهم -بطبيعته- مضادًّا للدّعوة الإسلاميّة، وإن لم يقصدوا ذلك[4].

وعلى النّقيض من اتّجاه (الفنّ للفنّ) كان هناك اتّجاه الالتزام الدّيني في نقد الشّعر وتقويمه، في كلّ أغراضه. وهذا الاتّجاه يشمل غالبيّة الأدباء والنّقّاد، ويقوم على أسس وقواعد من المعايير والضّوابط الشّرعيّة كما هو معلوم. وقد استمرّ هذا الاتّجاه في كلّ العصور، في نقد الشّعر وتقويمه. ويتمثّل هذا الاتّجاه في مواقف نقدية تقوم على أساس علاقة الشّعر بالدّين، أي وفق الضّوابط الشّرعيّة، فنجد من النّقّاد القدماء من اهتمّ بالصّدق في الشّعر، واتّخذه معيارًا رئيسًا، ومن هؤلاء النّقّاد ابن طباطبا (٣٢٢هـ) في كتابه (عيار الشّعر)، وأوّل ما يلقانا بذلك في معرض نقده أشعار المولّدين في عصره، حيث يقول: "فإنّ من كان قبلنا في الجاهليّة الجهلاء، وفي صدر الإسلام من الشّعراء،

---

(١) بل ينطبق هذا على بعض النّقّاد، لا على أكثرهم. الباحثة.

(٢) النّقد الأدبيّ الحديث، د. محمد غنيمي هلال، ص٢١٢.

(٣) الإسلاميّة والمذاهب الأدبيّة، د. نجيب الكيلاني، ص ١٣.

(٤) انظر: مقدّمة لنظريّة الأدب الإسلاميّ، د. عبد الباسط بدر، ص ١١٥.

كانوا يؤسّسون أشعارهم في المعاني الّتي ركّبوها على القصد للصّدق فيها مديحًا وهجاءً، وافتخارًا ووصفًا، وترغيبًا وترهيبًا، إلاّ ما قد احتُمِلَ الكذبُ فيه في حُكم الشّعر من الإغراق في الوصف، والإفراط في التّشبيه. وكان مجرى ما يوردونه منه مجرى القصص الحقّ، والمخاطبات بالصدق فيُحابون بما يُثابون، أو يُثابون بما يُحابون"[1]. وعلى أيّة حال فهو يرى أنّ أشعار القدماء تقوم على الصّدق، ومأخذه على شعراء عصره أنّهم اتّجهوا إلى تحسين القول وزخرفته، أي اهتمّوا بجمال الشّكل على حساب المضمون، والأخطر من ذلك أنّ هذا النّهج صار مُستحسنًا، ولذلك يوجّه نقده إلى الشّعر ومنهج نقده، فيقول: "والشّعراء في عصرنا إنّما يُثابون على ما يُستحسن من لطيف ما يوردونه من أشعارهم، وبديع ما يُعربونه من معانيهم، وبليغ ما ينظمونه من ألفاظهم، ومضحك ما يوردونه من نوادرهم، وأنيق ما ينسجونه من وشي قولهم دون حقائق ما يشتمل عليه من المدح، والهجاء، وسائر الفنون الّتي يصرِّفون القول فيها"[2].

ونجد هؤلاء العلماء، والأدباء، والنّقاد الّذين مثّلوا اتّجاه الالتزام، يستنكرون على أصحاب مذهب الفنّ للفنّ فصلهم الشّعر عن الدّين في أعمالهم الأدبيّة والنّقديّة، موضّحين خطورة هذا المذهب في حياة المجتمع المسلم. ومن هؤلاء -على سبيل المثال لا الحصر- أبو بكر الباقلّاني (٣٣٨- ٤٠٣هـ) في كتابه (إعجاز القرآن) فقد حمل فيه على التّفحّش في الشّعر، والكذب، والتّهتّك فيه، ممّا ينافي الأخلاق الكريمة، وذلك في نقده لبعض مغامرات امرئ القيس في شعره، من الشّعراء الجاهليين، وكذلك في نقد المحدثين من شعراء عصره[3].

ومن النّقّاد في هذا الاتجاه أبو منصور الثّعالبي (٣٥٠- ٤٢٩هـ) صاحب كتاب (يتيمة الدّهر) فقد عقد فيه فصلاً عن المتنبّي، فأبان عن محاسنه، كما أبان عن عيوبه.

ومن أكبر عيوب المتنبّي (ضعف العقيدة) ولا يخفى ذلك في كثيرٍ من أشعاره، ولا

---

(١) عيار الشّعر، لابن طباطبا، تحقيق: د. عبد العزيز ناصر المانع، ص ١٣.

(٢) المصدر السّابق، ص ١٣.

(٣) انظر: إعجاز القرآن للباقلّاني، ص ١٦٧ ــ ١٦٨، ٢٠٨ - ٢١٠ .

سيّما في المديح[1]، وإذا كان القاضي عبد العزيز الجرجانيّ دافع عنه، زاعمًا "أنّ الدّيانة ليست عارًا على الشّعراء، ولا سوء الاعتقاد سببًا لتأخّر الشّاعر"[2] فالثّعالبي يردّ على هذه المقولة، حيث يقول: "ولكنْ للإسلام حقّه من الإجلال الّذي لا يسوّغ الإخلال به قولاً، وفعلاً، ونظمًا، ونثرًا، ومن استهان بأمره ولم يضع ذكره وذكر ما يتعلّق به في موضع استحقاقه فقد باء بغضبٍ من الله -تعالى- وتعرّض لمقته في وقته"[3]. فمهما أبدع الشّاعر فلا قيمة لشعره إن لم يتقيّد بالضّوابط الشّرعيّة، وكما يقول الشّيخ عبد القاهر الجرجانيّ (ت ٤٧١هـ أو ٤٧٤هـ): "أبعد ما يكون الشّاعر من التّوفيق إذا دعته شهوة الإغراب إلى أن يستعير للهزل والعبث من الجدّ"[4] والجدّ يعني: الدّين"[5].

ومن أعلام النّقّاد في الأندلس ابن بسّام الشّنتريني (-٥٤٢هـ) صاحب كتاب (الذّخيرة)، ومن أبرز سمات منهجه النّقديّ أنّه كان "يمقت الشّعر حين يبتعد عن الصّدق الواقعيّ"[6]. وتجلّى ذلك في موقفه من الشّعراء الأندلسيّين الّذين مدحوا ملوك الطّوائف، في الوقت الّذي كانوا يؤدّون فيه الجـــزية والإتاوات للرّوم، وهم صاغرون.

ومن النّقّاد الأندلسيّين أيضًا حازم القرطاجنّي (٦٠٨- ٦٨٤هـ) صاحب كتاب (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) وقد ترك أثرًا متميّزًا في الحركة النّقديّة، فقد ردّ مقولات الفاصلين بين الدّين والشّعر، كمقولتهم: إنّ أحسن الشّعر أكذبه[7]، حيث قال: "الشّبهة الدّاخلة في ذلك على قوم، حيث ظنُّوا أنّ الأقاويل الشّعريّة لا تكون إلاّ كاذبة، وهذا قول فاسد قد ردّه أبو علي ابن سينا في غير موضع من كتبه"[8]، وأكّد على ضرورة الصّدق في الشّعر، حيث قال: "فقد تبيّن أنّ أفضل المواد المعنويّة في الشّعر ما صدق وكان مشتهراً،

---

(١) يتيمة الدّهر، أبو منصور الثّعالبيّ، تحقيق: محمّد محيي الدّين عبد الحميد، المكتبة التّجاريّة، ط٢، القاهرة، ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م، ١/١٧١ ــ ١٧٢ بتصرّف.

(٢) المصدر السّابق، ١/١٨١.

(٣) المصدر السّابق، ١/١٨١.

(٤) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجانيّ، تحقيق: محمود محمد شاكر، ص ٢٣٣.

(٥) تاريخ النّقد الأدبيّ عند العرب، د. إحسان عبّاس، ص ٤٤٥.

(٦) المصدر السّابق، ص ٥١٣.

(٧) انظر: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجنّيّ، تحقيق: محمّد الحبيب بن الخوجة، دار الكتب الشّرقيّة، تونس، ١٩٦٦م، ص ٧٠ وما بعد.

(٨) المصدر السّابق، ٨١.

وأحسن الألفاظ ما عذب، و لم يُبتذل في الاستعمال"[1].

فهؤلاء النّقّاد وأضرابهم جسّدوا اتّجاه الالتزام الدّينيّ (الإسلاميّ) في نقد الشّعر، باستنادهم إلى مقاييس نقديّة تنبثق من الضّوابط الشّرعيّة، وفي مقدّمتها صدق المضمون أو (الصّدق الموضوعيّ). ولذلك يردّ المديح الّذي لا يلتزم فيه الشّعراء الصّدق، مهما بلغ من الجمال الفنّيّ، إذ لا قيمة لجمال الشّعر إن لم يعدله الصّدق في المضمون، بهدف الفضيلة، وتتمثّل بجلب المنفعة ودفع المضرّة.

وبالنّتيجة فإنّ هذا الاتّجاه يستهدف درء محاذير المديح؛ لما لها من الآثار السلبيّة على المادح، والممدوح، والمجتمع ، كما سيتبيّن في فصلٍ قادم إن شاء الله –تعالى-.

(١) المصدر السّابق، ص ٨٢.

المبحث الخامس

عدم القطع بالمدح

القطع بالمديح معناه أنّ المادح يعتقد اعتقادًا جازمًا أنّ ما يقوله في الممدوح حقيقةٌ مؤكّدة، فيبتُّ بصحّته، وثبوته. وذلك ادّعاءٌ باطلٌ ومردود، فإذا كان ممكنًا للإنسان أن يعلم ما أمكنه من ظواهر الأمور، فليس ممكنًا له أن يعلم بواطنها وأسرارها، والمديح هو ذكر صفات (معنويّة مجرّدة حسنة) في الإنسان، يصفه بها غيره، ولها معادلها الملموس في أفعاله من الأقوال والأعمال، فعندما يمدح شخصٌ شخصًا آخر بصفةٍ من الصّفات الخلقيّة الحسنة، فإنّما يجب أن يفعل ذلك بناءً على ما يعلم، ممّا يظهر له من أفعال ممدوحه، ولكنّه في حقيقة الأمر لا يعلم شيئًا من خفايا أحواله وأسراره، فذلك شأن بين العبد وربّه.

فوصف الإنسان بأفعاله الظّاهرة ممكن، ولكن ما وراءها غير ممكن، فذلك من الغيب ولا يعلم الغيبَ إلاّ اللهُ -سبحانه وتعالى-. فما ينبغي القطع بالمديح على ما يظهر من أحوال الممدوح؛ لأنّ القطع بالمديح حكم على ثبوت صفةٍ في الممدوح، وبذلك يصبح المديح تزكية، وهذا أمر منهيّ عنه قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ ﴾[1]. فلا يجوز لأحدٍ من النّاس أن يزكّي أحدًا.

وأمّا وصف النّبيّ ﷺ لأصحابه بمحاسن الصّفات، وتبشير بعضهم بالجنّة، فذلك شأن خاصٌّ للنّبيّ ﷺ من شؤون الوحي الإلهيّ، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾[2]. فإذا كان المديح جائزًا بضوابط شرعيّة من الصّدق في القول على أساس التّثبّت من أمر الممدوح، فإنّما يقوم ذلك على ظاهر الأمور من أحواله، بحدود الظّنّ، وهنا يأتي معيار (عدم القطع بالمديح) متكاملاً مع الضّوابط الشّرعيّة السّابقة

---

(١) سورة النّجم، الآية (٣٢).

(٢) سورة النّجم، الآيتان (٣- ٤).

في مدح مَنْ يستحقُّ، وله أدلّته الشّرعيّة في الكتاب والسّنّة.

١. نهي القرآن عن القطع في المديح:

القطع بالمديح أمرٌ منهيٌّ عنه في الإسلام، لأنّه تزكية إنسان لآخر من غير علمٍ يقينيّ، ومن أدلّة النّهي في القرآن الكريم قول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ﴾[١].

(الّذين يزكّون أنفسهم) في الآية هم (اليهود والنّصارى) قد زكّوا أنفسهم فزعموا أنّهم أبناء الله وأحبّاؤه[٢]، وأنّه لا يدخل الجنّة إلاّ من كان هودًا أو نصارى[٣]. وزكّى اليهود أنفسهم بأن لا ذنوب لهم، ولهم في ذلك مزاعم باطلة[٤]. وقد نزلت الآيات بتكذيبهم: وقيل: زكّى رجالٌ من اليهود أنفسهم عند رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية. ((ويدخل فيها كلّ من زكّى نفسه ووصفها بزكاء العمل، وزيادة الطّاعة، والتّقوى والزّلفى عند الله))[٥]. ففي الآية إنكار لتزكية الإنسان نفسه، وقوله تعالى: ﴿ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ﴾[٦]. ((إعلام بأنّ تزكية الله هي الّتي يعتدّ بها لا تزكية غيره، لأنّه هو العالم بمن هو أهل للتّزكية. ومعنى (يزكّي من يشاء) يزكّي المرتضين من عباده الّذين عرف منهم الزّكاء فوصفهم به))[٧].

وبذلك فإنّ تزكية الإنسان لنفسه أو لغيره أمر منكر ومرفوض، وفيها إثم كبير كما في الآية التالية ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ ﴾[٨] الّتي وردت في أعقاب الآية السّابقة من سورة النساء:

فالتّزكية افتراءٌ وكذب وإثمٌ مبين، ولذلك نهى الله عزّ وجلّ عنها، فقال سبحانه:

---

(١) سورة النّساء، الآية (٤٩).
(٢) انظر في ذلك المعنى: سورة المائدة ، الآية(١٨).
(٣) انظر في ذلك المعنى: سورة البقرة، الآية(١١١) .
(٤) انظر: تفسير القرآن، عزّ الدّين عبد العزيز بن عبد السّلام السّلمي الدّمشقيّ الشّافعيّ (اختصارات النّكت للماوردي، دار ابن حزم، ط١، بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ص ١٠٧.
(٥) الكشّاف للزّمخشريّ، تحقيق: يوسف الحمّادي، ٤٥٣/١.
(٦) سورة النّساء، الآية (٤٩).
(٧) الكشّاف للزّمخشريّ، ٤٥٣/١.
(٨) سورة النّساء، الآية (٥٠).

﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ ﴾[1]. وجاء في تفسير هذه الآية: ((لا تمادحوا، أو لا تعملوا بالمعاصي وتقولون نعمل بالطّاعة، أو إذا عملت خيرًا فلا تقل عملتُ: كذا أو كذا))[2].

وكذلك جاء في تفسير: ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ ﴾: ((فلا تنسبوها إلى زكاء العمل، وزيادة الخير وعمل الطّاعات، أو إلى الزّكاء والطّهارة من المعاصي، ولا تثنوا عليها واهضموها، فقد علم الله الزّكيّ منكم والتّقيّ أولاً وآخرًا قبل أن يخرجكم من صلب آدم، وقبل أن تخرجوا من بطون أمّهاتكم. وقيل: كان ناس يعملون أعمالاً حسنة ثم يقولون: صلاتنا وحجّنا، فنزلت. وهذا إذا كان على سبيل الإعجاب أو الرياء، فأمّا من اعتقد أنّ ما عمله من العمل الصّالح من الله، وبتوفيقه، وتأييده، ولم يقصد به التّمدّح لم يكن من المزكّين أنفسهم؛ لأنّ المسرّة بالطّاعة طاعة، وذكرها شكر))[3].

فإذا كان لا يجوز للمرء أن يمتدح نفسه فيزكّيها، فمن المؤكّد أنّه لا يجوز له أن يقطع بمدح غيره، لأنَّ الجزم بالمديح شهادة قطعيّة، أي تزكية، وذلك منهيٌّ عنه، فلا يجوز لأحدٍ أن يزكّي على الله أحدًا.

٢. نهي السّنّة عن القطع في المديح:

النّهي عن القطع بالمديح أحد ضوابط المديح الجائز، وممّا ورد في السّنّة في ذلك:

روي ((عن ابن أبي بكرة عن أبيه: أنَّ رجلاً ذُكر عند النّبيّ ﷺ فأثنى عليه رجل خيرًا، فقال النّبيّ ﷺ: "ويحك قطعت عنق صاحبك -يقوله مرارًا- إن كان أحدكم مادحًا لا محالة فليقل: أحسب كذا وكذا، إن كان يرى أنّه كذلك، والله حسيبه، ولا يُزَكّى على

---

(١) سورة النّجم، الآية (٣٢).
(٢) تفسير القرآن، عزّ الدّين عبد العزيز بن عبد السّلام، ص ٥٥٩.
(٣) الكشّاف، للزّمخشريّ، ٣٠٣/٤ - ٣٠٤.

الله أحدٌ، قال وهيب عن خالد، "ويلك"))[1].

واضح في الحديث أنَّ النّبيّ ﷺ بادر بالرّدّ على المادح بلفظ (ويحك) أو (ويلك) وهذا إعلام بأنّ المادح وقع في أمرٍ محذور (خطأ) وهو أمر خطير، يتّضح في قوله ﷺ: (قطعت عنق صاحبك). وتكرار هذا القول مرارًا ممّا يدلّ على فداحة الأمر. وقطع العنق في هذا الحديث كما في الحديث السّابق مجاز، والمعنى: أهلكت صاحبك، كأنّكَ قتلته، وهذا الهلاك في الدّين بسبب الإطراء، لما قد يظنّ الممدوح نفسه كما قد وصفه المادح، فيقع في الهلاك أو الهلكة في دينه، من العجب والاغترار بنفسه، فيحبط عمله.

ولذلك أرشد النّبيّ ﷺ إلى عدم القطع بالمديح، والإطراء فيه، فيجب على المادح أن يقول: (أحسب، أو أحسبه، أو أحسب فلانًا كذا وكذا) طبقًا لما يرى منه، على جهة الظّنّ، فلا يقول بأنّه يتيقّن ذلك أو يعتقده في الممدوح، ولذلك نهى النّبيّ ﷺ عنه فقال: (لا يُزَكّى على الله أحد) وفي بعض روايات الحديث أن يقول المادح: (ولا أزكّي على الله أحدًا)[2].

وبذلك يتّضح أنّ القطع بالمديح منهيّ عنه في السّنّة، لأنّه تزكيةٌ للممدوح فمعناه، أنّ المادح يعلم ظاهر حال الممدوح وباطنه، وذلك محال، لأنّه من الغيب، فلا يعلمه إلاّ الله عزّ وجلّ، فعلّة النّهي عن القطع بالمديح أنّ فيه ادعاء علم الغيب.

٣. نهي الصّحابة عن القطع في المديح:

لقد أُثر عن الصّحابة ﷺ نهي المادح عن (القطع بالمديح) لما فقهوا من كتاب الله وسنّة نبيه ﷺ، وممّا أُثر عن بعضهم في ذلك، أنّه: ((قال رجلٌ لعمرَ: إنّ فلانًا رجل صدق، فقال: هل سافرت معه أو ائتمنته؟ قال: لا، فقال: إذًا لا تمدحه، فلا علم لك به،

---

(١) رواه البخاريّ، برقم (٦٠٦١) وبرقم (٢٦٦٢) بلفظ (ويلك) و (من كان منكم مادحًا أخاه لا محالة فليقل: أحسب فلانًا، والله حسيبه، ولا أزكّي على الله أحدًا، أحسبه كذا وكذا، إن كان يعلم ذلك منه). رواه مسلم برقم (٧٥٠١) و (٧٥٠٢) مع اختلاف في بعض اللفظ.

(٢) انظر: عمدة القاري، للعيني، ١٣٣/٢١. وانظر: فتح الباري، لابن حجر، ٤٧٧/١٠. وانظر: شرح صحيح مسلم، للنّووي، ٣٣٧/١٧ ــ ٣٣٨. وانظر: شرح السنّة، الحسين بن مسعود البغويّ، تحقيق: زهير الشاويش وشعيب الأرناؤوط، رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والإرشاد، السّعوديّة، المكتب الإسلاميّ،، ١٤٩/١٣ ــ ١٥٠.

لعلّك رأيته يرفع رأسه ويخفضه في المسجد))[1]. وفي رواية أخرى لهذا الأثر، ((سمع عمر بن الخطاب ﷺ رجلاً يثني على رجلٍ، فقال: أسافرت معه؟ قال: لا، قال: أخالطته؟ قال: لا، قال: والله الذي لا إله غيره ما تعرفه))[2].

كما أُثر عنه إنّه قال: ((المدح هو الذّبح))[3]. وهذا أخذٌ بما جاء في السّنّة، كما في حديث: ((إياكم والتّمادح، فإنّه الذّبح))[4].

وذلك ممّا يفيد بوضوح أنّه يتوجّب على المادح أن يصدر في مديحه عن معرفةٍ بحال الممدوح، ممّا يظهر منه، وبشروط المديح المقبول، مع عدم القطع بالمديح، بألاّ يجعل كلامه في المديح على إطلاقه، بل أن يقيّده، بأنّه يقول حسب ما يرى من ظاهر حال الممدوح، فيكون مدحه وصفًا للظاهر، والله أعلم بالباطن. وإلاّ كان المدح ذبحًا، أي وقوعًا في الهلكة، كما تقدّم في معنى الذّبح وقطع العنق. فليس ثمّة أحد معصوم من الخطأ، حاشا الأنبياء -عليهم الصّلاة والسّلام-. فقد أثر عن ابن عبّاس -رضي الله عنهما- أنّه قال: "ما أحدٌ أزكّيه إلاّ النّبيّ ﷺ"[5]. وفي هذا المعنى قال حسّان بن ثابت، يخاطب النّبيﷺ[6]:

ولا أزكّي على الرّحمنِ ذا بشرٍ لكنَّ علمَكَ عندَ الواحدِ العالي

هكذا يقول لمخاطبه: ((لا يمدحه ولا يزكّيه، ومن هو؟ إنّه رسول اللهﷺ))[7].

فعدم القطع في المديح هو من علامات صدق المادح كذلك، إذا اعتمد على الظنّ، ولم يحقّق فيدّعي علم الغيب. فإذا ما أُعجب امرؤٌ بحسن عمل غيره، وأراد أن يمدحه فيجب ألاّ يكون المديح تزكية، أي: ألاّ يقطع بالمديح. أُثر عن أمّ المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- أنّها قالت: ((إذا أعجبك حسن عمل امرئٍ، فقل: اعملوا فسيرى الله عملكم

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشّعراء والبلغاء، للرّاغب الأصفهانيّ، ص ١٥٣.
(٢) الصّمت وحفظ اللسان، لابن أبي الدّنيا، ص ٢٧٩.
(٣) فتح الباري، لابن حجر، ٤٧٧/١٠.
(٤) رواه ابن ماجة (٣٧٤٣).
(٥) المصنّف، أبو بكر عبد الرّزّاق بن همام الصّنعانيّ تحقيق: حبيب الرّحمن الأعظمي، ط١، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م، ٢٧٣/١١.
(٦) ديوان حسّان بن ثابت، تحقيق : وليد عرفات، دار صادر، بيروت، ٤٣٧/١ .
(٧) الشّعر الحديث في المملكة العربيّة السّعوديّة خلال نصف قرن (١٣٤٥هـ - ١٣٩٥هـ)، د. عبدالله الحامد، نادي المدينة المنورة الأدبيّ، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ص٤٤٨ .

ورسوله والمؤمنون، ولا يستخفنّك أحد))[1]. بمعنى ألا يغترّ المادح فيجزم بأنّ عمل الممدوح مبرّأ أو خالص من كلّ شائبة.

وبناءً على ما تقدّم فإنّ القطع بالمديح منهيّ عنه في الكتاب والسّنّة، وفيما أُثر عن الصّحابة ﷺ، لأنّه بمعنى التّزكية، فالّذي يقطع بالمديح يحكم على أمرٍ من شأن الممدوح هو من علم الغيب الّذي اختصّ به الله سبحانه وتعالى: ((فالله وحده يعلم السّرائر والضّمائر، وهو أدرى بدخائل النّفوس، وخفاياها. فمن كان مادحًا فلا يتجاوز مقدار ما خوّله الله من علم فيقطع في قوله ويجزم في إطرائه، بل عليه أن يورد ما يورده من سجايا الممدوح على سبيل الظّنّ والتّخمين، فكلّ عمل ابن آدم مرتبط بالنّيّة، وهي من اختصاص الله وحده))[2].

ويتبيّن من ذلك؛ أنّه مثلما تقع على الشّاعر المادح مسؤوليّة الصّدق في قوله، كذلك تقع على الممدوح مسؤوليّة تحرّي الصّدق في قول المادح. فالمادح والممدوح طرفان في قصيدة المديح.

---

(١) شرح السّنّة، للبغويّ، ١٣/١٥٠.

(٢) النّظرة النّبويّة في نقد الشّعر: نحو تأسيس منهج إسلاميّ في الأدب، د. وليد قصّاب، مكتبة علوم القرآن، ط٣، ١٤١٧هـ -١٩٩٧م ص ٥٣.

الفصل الثّاني

مزايا المديح المقبول

- المبحث الأوّل : إشاعة القيم الخيّرة.
- المبحث الثّاني : الاعتراف بفضل الصالحـــــين.
- المبحث الثّالث : تشجيع الصالحين وتثبيتهم.

رأينا في الفصل السّابق أنّ للمديح المقبول معايير، يُشترط استيفاؤها، وهذه المعايير شرعيّة، تمثّل الالتزام بالضّوابط الإسلاميّة، وفي ضوء هذه المعايير يُنظر في المديح في الشّعر على أنّه نشاط (فعليّ قوليّ) محسوبٌ على صاحبه، فيُثاب عليه إن أحسن، ويأثم إن أساء فيه فيُعاقب. وإذا التزم المديح الضّوابط الشّرعيّة كان وسيلةً وأداةً صالحة لنشر القيم الإسلاميّة، وإشاعة المثل الخيّرة، وما يتّصل بها من الاعتراف بفضل الصّالحين وتشجيعهم، بقصد تثبيتهم عليها. وهذه هي مزايا المديح المقبول، فهو فنٌّ له هدفٌ، وبناءً على هذا الهدف كان المديح المقبول مندوبًا إليه، مستحسنًا، وقد يكون واجبًا، كما سبق ذكر ذلك في غير هذا الموضع.

ويظهر –ابتداءً– أنّ مزايا المديح المقبول ترتبط بالمعايير، ارتباط الأسباب والمقدّمات بالنّتائج، على ما سيتبيّن.

المبحث الأوّل

إشاعة القيم الخيّرة

للشّعر في نظر الإسلام دور أساسيّ مهم، من حيث التّوجيه والتّهذيب وذلك بالدّعوة إلى فضائل الأفعال ومحاسن الأخلاق. فقد روي أنّ النّبيّ ﷺ قال: ((إنّ من البيان سحرًا، وإنّ من الشّعر حكُمًا))[١]. وفي رواية: ((إنّ من البيان سحرًا))[٢]. وفي رواية أخرى: ((إنّ من الشّعر حكمة))[٣].

والشّعر في نظر الإسلام -من حيث طبيعته- هو كما قال النّبيّ ﷺ: ((الشّعر بمنزلة الكلام، حسنه كحسن الكلام، وقبيحه كقبيح الكلام))[٤] والإسلام يأمر بالأخذ بالحسن وينهى عن القبيح، وروي أنّ عائشة -رضي الله عنها- قالت: ((الشّعر منه حسن، ومنه قبيح، خذ بالحسن ودع القبيح))[٥]. ومن هنا تأتي أهميّة تعلّم الشّعر ونقده، للتّمييز بين الحسن منه والقبيح، كما أُثر عن عمر رضي الله عنه، أنّه قال: ((تعلّموا الشّعر فإنّ فيه محاسن تُبتغى، ومساوئ تُتّقى))[٦]. وجماع محاسنه (مكارم الأخلاق) وقد أُثر عن أبي بكر رضي الله عنه، أنّه قال: ((علّموا أولادكم الشّعر، فإنّه يعلّمهم مكارم الأخلاق))[٧]. وقال عمر رضي الله عنه: ((تحفّظوا الأشعار، وطالعوا الأخبار، فإنّ الشّعر يدعو إلى مكارم الأخلاق، ويعلّم محاسن الأعمال، ويبعث على جليل الفعال، ويفتّق الفطنة، ويشحذ القريحة، ويحدو ابتغاء المناقب وادّخار المكارم، وينهى عن الأخلاق الدنيئة، ويزجر عن مواقعة الرِّيَب، ويحضّ على معالي الرُّتَب))[٨].

وقال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ((يجب على الرّجل تأديب ولده، والشّعر أعلى

---

(١) رواه أبو داود (٥٠١١).
(٢) رواه أبو داود (٥٠١٢).
(٣) رواه البخاريّ في الأدب المفرد، (٨٨٦).
(٤) رواه البخاريّ في الأدب المفرد، (٨٨٧).
(٥) رواه البخاريّ في الأدب المفرد، (٨٨٨).
(٦) زهر الآداب وثمر الألباب، الحصريّ، تحقيق: علي محمد البجاوي، ٢٣/١.
(٧) نضرة الإغريض في نصرة القريض، المظفّر بن الفضل العلويّ، تحقيق: د. نهى عارف الحسن، مجمع اللغة العربيّة، دمشق، ١٣٦٦هـ/١٩٧٦م، ص ٣٧٥.
(٨) المصدر السّابق، ص ٣٥٧.

مراتب الأدب))[1]، ((وقال عبد الملك بن مروان لمـــؤدّب ولده في وصيّته إيّاه: وعلّمهم الشعر يمجدوا ويَنْجُدوا))[2]. وأوصى هارون الرّشيد الكسائيَّ مؤدّب ولديه الأمين والمأمون بأن يعلّمهما الشّعر، فقال: ((وروِّهما الشّعر، فإنّه أوفى أدبٍ يحضّ على معالي الرُّتَب))[3]. والأقوال المأثورة في فضل الشّعر وأهمّيته أكثر من أن تحصى[4].

وانطلاقًا من ذلك أشار السّلف من العلماء والفقهاء والأدباء ((إلى الوظيفة الخلقيّة للشّعر، وما يختزنه من الحكمة والموعظة والمعرفة، ممّا يجعله مادة تثقيف وتأديب لا يستغني عنها متعلّم))[5]. ومن ذلك أن مسكويه يرى في تأديب النّاشئة أن ((يطالب.. الطفل بحفظ محاسن الأخبار والأشعار، الّتي تجري مجرى ما تعوّده بالأدب، حتى يتأكّد عنده بروايتها وحفظها والمذاكرة بها))[6].

ويقول ابن طباطبا في الأثر النّفسيّ للشّعر: ((فإذا ورد عليك الشّعر اللطيف المعنى، الحلو اللفظ، التّامّ البيان، المعتدل الوزن مازج الروح ولاءم الفهم، وكان أنفذ من نفث السّحر، وأخفى دبيبًا من الرّقى، وأشدّ إطرابًا من الغناء، فسلّ السّخائم، وحلّل العقد، وسخّى البخيل، وشجّع الجبان، وكان كالخمر في لطيف دبيبه وإلهائه، وهزّه وإثارته))[7].

ويرى حازم القرطاجنيّ أن للشّعر دورًا مهمًّا في حياة المجتمع والأمّة، من حيث يكون مقصده ((استجلاب المنافع واستدفاع المضارّ))[8]. وبذلك فإنّ دور الشّعر في المنظور الإسلاميّ تربويّ خلقيّ توجيهيّ، بما له من تأثيرٍ في النّفوس؛ وتوجيهها إلى فضائل

---

(١) العمدة، لابن رشيق، تحقيق: د. النّبويّ عبد الواحد شعلان، ٢٤/١.

(٢) نقد النّثر، قدامة بن جعفر، تحقيق: طه حسين وعبد الحميد العبّادي، المطبعة الأميريّة ببولاق، القاهرة، ١٩٤١م، ص ٨٩.

(٣) نضرة الإغريض، للمظفّر بن الفضل العلويّ، ص ٣٥٧.

(٤) وقد جمع الدكتور وليد قصّاب كثيراً من هذه الأقوال في كتابه: النّقد العربيّ القديم " نصوص في الاتّجاه الإسلاميّ والخلقيّ "، دار الفكر، ط١، دمشق، ١٤٢٦هـــ - ٢٠٠٥م وكذلك في بحثه: وظيفة الشّعر في النّقد القديم.

(٥) وظيفة الشّعر في النّقد القديم، د. وليد قصاب، ص ٩.

(٦) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، أبو علي أحمد بن محمّد بن يعقوب الرّازي المعروف بـــ (مسكويه)، تحقيق: د. نوّاف الجرّاح، دار الفكر، بيروت، د. ت، ص ٦١.

(٧) عيار الشّعر، لابن طباطبا، ص ٢٣.

(٨) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجنّي، ص ٣٣٧.

الأعمال ومحاسن الأخلاق. يقول ابن حزم (٤٥٦هـ): ((أحبّ الشّعر الدّاعي إلى الأخلاق، الحاثّ على المكارم، المشتمل على الحِكَم والخير، كشعر حسّان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة، وكشعر صالح بن عبد القدّوس، فإنّها نعم العون على تنبيه النّفس))[١].

إنّ الشّعر عند النّقاد القدماء، كما يقول الدّكتور وليد قصّاب: ((للتّربية والتّهذيب، والإصلاح والتّوجيه، وهو للثّقافة والتّعليم، وهو مستودع المعرفة، وديوان الفكر والتّاريخ والتّراث، وهو ذو طاقةٍ نفسيّة هائلة لتنمية النّوازع الخيّرة، وإطلاق العواطف النّبيلة، وتوجيه النّفس إلى أنواعٍ من السّلوك العمليّ))[٢]، ((فهو ليس فنًّا، ولا متعة مجرّدة للمتعة، إنّه حقًّا فنٌّ ممتع لذيذ، ولكنّ هذه المتعة وهذه اللذيّة تطويان في ثناياهما -عند أغلب النّقاد العرب- غايات خلقيّة نفعيّة كثيرة، وهما تستثمران في تنمية النّوازع الكريمة))[٣].

وهذه الوظيفة يؤدّيها الشّعر بكلّ أغراضه، ولاسيّما المديح، فهو من أكثر الأغراض الشّعرية تأثيرًا في النّفوس، ولذلك ندب الإسلام إلى مديح أهل الخير والفضل، لما لذلك من أثر في إشاعة القيم الخيّرة بامتداحها في السّلوك الإنسانيّ، ومن تجسيد للفضائل والأخلاق الّتي يدعو الإسلام إليها. ولذلك كان المديح المقبول أهمّ أدوات الدّعوة الإسلاميّة في تحقيق أهدافها، في نشر الفضائل والقيم الخيّرة، وقد أدّى شعر المديح الإسلاميّ هذا الدّور في عصر صدر الإسلام أحسن أداء، فهو ((أحد الأساليب المعتبرة لنشر الأفكار، والمبادئ، والقيم، والخصال الحميدة، بإشاعة تمجيدها متجسّدةً في صورة إنسانٍ رفيعٍ سامٍ، يحقّقها في سلوكه، وخلقه، وواقع حياته))[٤]. ودور هذا الفنّ الشّعريّ يقوم بتمثّل الشّاعر لهذه القيم في سلوك الأفراد، وامتداحها بأسلوبٍ فنّيّ، بالكلمة المعبّرة التّعبير الجميل، المؤثّر في النّفوس، فيحفّز الآخرين، ويستثيرهم إلى التحلّي بالفضائل، بدافعٍ

---

(١) رسائل ابن حزم الأندلسيّ، تحقيق: د. إحسان عبّاس، المؤسّسة العربيّة، ط١، بيروت، ١٩٨٣م، ٦٧/٤.

(٢) وظيفة الشّعر في النّقد القديم، د. وليد قصّاب، ص ٢٣.

(٣) المصدر السّابق، ص ٢٣.

(٤) الشّعر في رحاب النّبوّة، مصطفى عيد الصّياصنة، نادي الباحة الأدبيّ، ط١، الباحة، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص١٠٢.

إيمانيّ، لتكون واقعًا ملموسًا في سلوك الأفراد[1].

فالمديح المقبول دعوة إلى القيم الخيّرة، ولكن بأسلوب فنّيٍّ يختلف عن الأسلوب التّقريري في النّثر، فالشّاعر: ((حين يمدح أحدًا من النّاس بصفات تُعدّ مُثلاً عليا إنّما يريد أن يرسم منهجًا نسير عليه ونتحلّى بتلك الصّفات))[2]. وكذلك أدّى المديح الإسلاميّ دوره في إشاعة القيم الفاضلة، فقد ترسّخت هذه القيم، فكانت معايير تقويميّة في واقع حياة المجتمع الإسلاميّ، فبالقياس إليها يُقوّم سلوك الفرد، في كلّ مجالات نشاطه، وليس في شعر المديح فحسب. وقد تأصّل منهج المديح المقبول في عصر صدر الإسلام، وكان ذلك واضحًا في تمثّل الشّعراء للقيم الخيّرة، في أفعال أهل الخير والصّلاح وأخلاقهم. فقد ((أُعجب الشّاعر العربيّ بالخلق الحميد، والرّأي السّديد، والشّجاعة الفائقة، والكرم الواسع، كما أعجب بها غيره من شعراء الأمم القديمة والحديثة.. لذلك أثنى على الرّجال المتفوّقين والشّجعان المشهورين، والقوّاد والعظماء، والرّؤساء المسوّدين، وامتدح المثل العليا الّتي رآها عندهم))[3]. فالشّاعر العربيّ يدرك القيم الدينيّة الإسلاميّة لهذه المثل، فتراه يصوغها صياغة فنيّة، رائعة، أخّاذة، تحمل على الإعجاب بها، والتّمثّل بها في الفعل والسلوك[4]. وقد عبّر أبو تمّام عن ذلك، حيث قال[5]:

ولولا خلالٌ سنّها الشّعرُ ما درى   بغاةُ النّدى من أين تُـؤتى المكـارمُ

وفي مقدّمة القيم الخيّرة حمد الله، والثّناء عليه سبحانه وتعالى، وقد عبّر شعراء صدر الإسلام عن ذلك، في مثل قول النّابغة الجعديّ[6]:

الحمـدُ للهِ لا شـريكَ لـهُ   مَنْ لم يقلْها فنَفْسَهُ ظَلَمَا

---

(١) انظر: مذهب العرب في معاني شعر المديح، د. عبد الله بن صالح العريني (مجلّة: جامعة الإمام، ع: ٤٢، ١٤٢٤هـ)، ص ٤٤٨.

(٢) المديح في بلاط سيف الدولة الحمدانيّ، د. محمد شحادة عليّان، دار المعرفة الجامعيّة، د. ط، الإسكندريّة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص ١٤١.

(٣) المديح، د. سامي الدّهّان، دار المعارف بمصر، ط٢، القاهرة، ص ١٤.

(٤) مذهب العرب في معاني شعر المديح، د. عبد الله بن صالح العرينيّ، ص ٤٤٨ .

(٥) ديوان أبي تمّام، ١٨٣/٣.

(٦) الشّعر والشّعراء، لابن قتيبة، ٢٩٤/١.

فذلك سنام الأعمال الفاضلة، حينما يصدر الشّاعر فيه عن إيمان وقر في صدره، فله قيمة دينيّة إيمانيّة، فهو مظهر من مظاهر عبوديّة العبد لربه، وفي الوقت نفسه تذكير للمتلقّين بفضل الله تعالى، ودعوة لهم إلى فضيلة حمد الله والثّناء عليه سبحانه وتعالى. وبذلك يؤدّي المديح المقبول دورًا مهمًّا وأساسيًّا في الدّعوة إلى التّمسّك بعقيدة التّوحيد. ولذلك أثنى النّبيّ ﷺ على بعض الشّعراء، بما تضمّنت أشعارهم من هذا الغرض، كما روي: ((عن أبي هريرة، قال: قال النّبيّ ﷺ:((أصدق كلمة قالها الشّاعر كلمة لبيد:

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطلُ)) [1]

وذلك لما كان في شعره من المعاني الدّينيّة، الّتي يقبلها الإسلام.

كما أثنى النّبيّ ﷺ على الشّعراء بما تمثّلوا من القيم الخيّرة فامتدحوها.

وكذلك يؤدّي المديح المقبول دوره في إشاعة القيم الخيّرة بمدح النّبيّ ﷺ والانتصار للدين، بإظهار فضائله ﷺ، وتصديقه، وبمدح المؤمنين؛ اعترافًا بفضائلهم، وتثبيتًا لهم. فلهذا المديح قيمة دينيّة.

ومن المديح المقبول في نشر القيم الخيّرة ما كان في المديح الحماسيّ في مثل قصيدة للعبّاس بن مرداس بمناسبة يوم غزوة حنين، استهلّها يخاطب النّبيّ ﷺ، يقول[2]:

يا خاتمَ النُّبآءِ إنّــكَ مرســلٌ بالحقّ كلّ هدى السبيل هداكا

إن الإله بــنى عليــك محبّــةً من خلقــه ومحمّــدًا سمّاكــا

وبعد هذا الثّناء على النّبيّ ﷺ، وذكر فضل بعثته؛ تحوّل إلى مديح قومه بني سُلَيم، يثني عليهم بفضيلة الجهاد في سبيل الله، وبلغة الخطاب الشّعريّ يتوجّه إلى النّبيّ ﷺ، يقول:

ما يرتجون من القريب قرابــةً إلاّ لطاعــة ربّهــم وهواكــا

فالمديح الحماسيّ كان سلاحًا فعّالاً في مواجهة الكفّار والمشركين في الوقائع الحربيّة، إذ يعلي من شأن المسلمين، بتصوير بطولاتهم وبسالتهم في الحرب، ويعبّر عن

---

(١) رواه البخاريّ، برقم (٣٨٤١) ومسلم (٥٨٨٩). وفي رواية (٥٨٨٨) بلفظ: ((أشعر كلمةٍ تكلّمت بها العرب))، رواه التّرمذيّ، (٢٨٤٩).

(٢) السّيرة النّبويّة، لابن هشام، ٤٦١/٤. وفي ديوانه، ص ١٢٢ - ١٢٣.

قوّتهم، بل هو مظهر من مظاهر هذه القوّة، وإظهار لفضيلة الجهاد، فيبعث الحماسة في نفوس المسلمين ويحبّب الجهاد إليهم، وبذلك كان المديح المقبول من أهمّ وسائل مجاهدة الكفّار والمشركين، وبذلك يؤدّي دورًا مهمًّا في إشاعة القيم الخيّرة، خاصةً وأنّه يجسّد الاستجابة الفعليّة لأمر النّبيّ ﷺ في مجاهدة الكفار والمشركين، فقد روي أنّه ﷺ قال: ((جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم))[1].

وإذا كان أغلب مديح المتكسّبين للخلفاء والولاة (الحكّام عامّة) من مديح مَنْ لا يستحقّ فإنّ موقف الشّعراء في ذلك -من وجهة نظر النّقّاد- أنّهم يرسمون الصّورة المثاليّة الّتي ينبغي أن يكون عليها الحاكم في سلوكه وسيرته في شؤون الحكم، متوافقًا مع أحكام الشّريعة، وذلك ما تأمله الأمّة الإسلاميّة في كلّ ولاة أمورها وشؤونها[2].

وبذلك كان المديح المقبول لسان حال الدّعوة الإسلاميّة، وأداتها في بناء المجتمع الإسلاميّ، وأوّل ما يتمثّل ذلك بإشاعة القيم الخيّرة، وهذه أهمّ مزاياه وأبرزها. وكان ذلك التزامًا عقديًّا من شعراء عصر صدر الإسلام، ومَنْ نهج هذا النّهج من الشّعراء المسلمين في العصور التّالية. ومن ثمّ فإنّ هذه الميزة في المديح المقبول ترتبط ارتباطًا وثيقًا بمعاييره، وخاصّةً معيار (المديح بالقيم الإسلاميّة) من حيث إنّه المعيار الرئيس للمديح المقبول، وحكم المديح المقبول كما تقدّم مندوب إليه، وقد يكون واجبًا، فهو مطلوب شرعًا ممّن يمتلك القدرة على أدائه، فهو دعوة إلى الفضائل الّتي دعا الإسلام إليها في الأخلاق، والسّلوك الخلقيّ.

---

(١) رواه أبو داود (٢٥٠٤). والنّسائيّ (٣٠٩٨)، وفي روايته (أيديكم) بدل (أنفسكم).

(٢) انظر: فصول في الشّعر ونقده، د. شوقي ضيف، دار المعارف، ط٢، القاهرة، ص ١٣.

المبحث الثّاني

الاعتراف بفضل الصّالحين

من الاعتراف بفضل الصّالحين مديحهم والثّناء عليهم بالذّكر الجميل، بالحديث عن فضائلهم من الصّفات، والأفعال الخيّرة، فهم مُستحقّون للمديح على وجه الحقّ والصّدق. وعلى ذلك فالاعتراف بفضل الصّالحين ميزةٌ أساسيّة من مزايا المديح المقبول، وهو غاية من غاياته، وثمرة من ثمراته الإيجابيّة.

والاعتراف بفضل الصّالحين أمرٌ يقرّه الإسلام، بل يدعو إليه، في الكتاب والسّنّة وفيما أُثر عن الصّحابة.

أمّا في الكتاب فقد أثنى الله تعالى على فئاتٍ من عباده بفضائل من الصّفات الخلقيّة والأعمال الصّالحة، وجميعها ترجع إلى فضيلةٍ واحدة، هي (الإيمان بالله تعالى).

ومن ثناء الله تعالى على بعض عباده ما ورد بصيغة الأمر، ومن ذلك في ذكر الأنبياء –عليهم الصّلاة والسّلام– كما في الآيات التالية: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ ﴾ [1]، ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥١﴾ ﴾ [2]، ﴿ وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ ﴾ [3]. ففي مثل هذه الآيات يأمر الله –عزّ وجلّ– نبيّه ﷺ أن يذكر ما أوحى إليه من أخبار الأنبياء السّابقين مع أقوامهم، فيقصّه على النّاس في دعوته إيّاهم إلى الإسلام[4]، ففي ذلك عظةٌ وعبرة، وذكرٌ في الكتاب لفضائلهم، وذلك ثناء من الله –تعالى– عليهم، وذكر فضائلهم يعني إظهارها، والمقصد القدوة الحسنة، كما ورد بعد سياقٍ من قصص الأنبياء في سورة الأنعام قوله –تعالى– لنبيّه ﷺ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ

---

(١) سورة مريم، الآية (٤١).

(٢) سورة مريم، الآية (٥١).

(٣) سورة الأحقاف، الآية (٢١).

(٤) انظر: الكشّاف، الزّمخشريّ، ١٠٦/٣. وانظر: تفسير ابن كثير، ج ٥٣٤/٥.

أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[1].

وممّا ينبغي ملاحظته أنّ معنى (الاعتراف) لا يدخل في مفهوم ثناء الله –تعالى– على الصّالحين من عباده، بل ذلك إظهار لفضائلهم، تكريمًا منه –سبحانه وتعالى– وفي ذلك دعوةٌ إلى الفضيلة، اقتداءً بالصّالحين. وإنّما الاعتراف من فعل العبد، بذكره فضل الله عليه، فيشكره ويحمده على أنعمه، وقد أمر بذلك، كقوله عزّ وجلّ: ﴿ إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ ﴾[3]، فذلك أمر واجب.

وكذلك يجب الاعتراف بفضل الصّالحين، فيما بين العباد، بذكر العبد فضائل غيره، على سبيل المدح والثناء، وبذلك إظهارٌ للفضيلة، فيتحقّق هدف نشرها. فضلاً عن وجوب اعتراف العبد بفضل غيره، ومن ذلك الاعتراف بفضل الوالدين، قال الله تعالى: ﴿ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾[4]. فالاعتراف بفضل الصّالحين، أداء لحقّ واجب، وردّ على المعروف أو الإحسان بمثله، بل بأفضل منه أيًّا كان من فعل أو قول، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ ﴾[5]، فكما قال تعالى: ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾[6].

وكذلك توجب السّنّة الاعتراف بفضل الصّالحين، ودليل ذلك ذكر النّبيّ ﷺ فضائل أصحابه، ومناقبهم، وكان ذلك دليل جواز المديح المقبول المستوفي للشروط والضّوابط الشّرعيّة، فيجب الاعتراف بالفضل لصاحبه، من الأعمال القوليّة أو الفعليّة الّتي تعود بالنّفع والخير على المجتمع عامّةً، أو على جماعةٍ أو فردٍ بعينه.

والاعتراف يجري بذكر الفضل لصاحبه بالمدح، والثّناء عليه، وشكره، فضلاً عن

---

(١) سورة الأنعام، الآية (٩٠).
(٢) سورة المائدة، الآية (١١٠).
(٣) سورة آل عمران، الآية (١٠٣).
(٤) سورة لقمان، الآية (١٤).
(٥) سورة النّساء، الآية (٨٦).
(٦) سورة الرّحمن، الآية (٦٠).

مكافأته والرّدّ على صنيعه من المعروف بمثله. فقد روي أنّ النّبيّ ﷺ قال: "من صنع إليه معروف فلْيجزه، فإن لم يجد ما يجزيه، فلْيثن عليه، فإنّه إذا أثنى عليه فقد شكره، وإن كتمه فقد كفره، ومن تحلّى بما لم يعطِ فكأنّما لبس ثوبي زور"[١]. وروي أنّه ﷺ قال: ((مَنْ استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سأل بالله فأعطوه، ومَنْ أتى إليكم بمعروفٍ فكافئوه، فإن لم تجدوا فادعوا له حتّى يعلم أنْ قد كافأتموه))[٢].

وروي: ((.. عن أبي ذرٍّ قال: قيل لرسول الله ﷺ: أرأيتَ الرجل يعملُ العمل من الخير، ويحمده النّاس عليه؟ قال: "تلك عاجلُ بُشرى المؤمن"))[٣].

وروي: ((عن عائشة -رضي الله تعالى- عنها، أنّها قالت: أمرنا رسول الله ﷺ أن نترل النّاس منازلهم))[٤].

وفي رواية لأبي داود: ((فقالت: قال رسول الله ﷺ: "أنزلوا النّاس منازلهم))[٥].

وروي: ((عن عبد الله بن عمر، قال: قال رسول لله ﷺ: "مَنْ جرّ ثوبه لم ينظر الله إليه يوم القيامة". فقال أبو بكر: إنّ أحد شقي ثوبي يسترخي إلاّ أن أتعاهد ذلك منه، فقال رسول ﷺ: "إنّكَ لستَ تصنع ذلك خيلاءً))[٦]. وفي رواية: ((إنّك لست منهم))[٧].

وعلى اختلاف اللفظ بين الروايتين فالمعنى واحد. وقال العينيّ في شرح الحديث: ((وهذا فيه مدحٌ لأبي بكر ﷺ، بما يعلمه منه، وفيه من الفقه أنّه يجوز الثّناء على النّاس بما فيهم، على وجه الإعلام بصفاتهم ليعرف لهم سابقتهم وتقدّمهم في الفضل، فيُترلوا منازلهم ويُقدّموا على من لا يساويهم، ويُقتدى بهم في الخير))[٨]. ثمّ أشار إلى ما جاء في السنّة عن

---

(١) رواه البخاريّ في الأدب المفرد (٢١٥).
(٢) رواه البخاريّ في الأدب المفرد (٢١٦).
(٣) رواه مسلم (٦٧٢١).
(٤) رواه مسلم في مقدّمة صحيحه.
(٥) رواه أبو داود (٤٨٤٢). قال أبو داود: (وحديث يحيى مختصر) وقال: (ميمون لم يدرك عائشة).
(٦) رواه البخاريّ، (٣٦٦٥).
(٧) رواه البخاري، (٦٠٦٢).
(٨) عمدة القاري شرح صحيح البخاريّ، للعينيّ، ١٣٤/٢٢.

النّبيّ ﷺ، في ذكر فضائل ومناقب الصّحابة ﷺ.

وممّا أُثر عن الصّحابة ﷺ من الاعتراف بفضل الصّالحين ((عن الشّعبيّ، قال: رأى أبو بكر عليًّا، فقال: مَنْ سرّه أنْ ينظر إلى أعظم النّاس مترلةً من رسول الله ﷺ وأقربه قرابةً، وأفضله وآله، وأعظمه غناءً عن نبيّه، فلْينظر إلى هذا. فبلغ ذلك عليًّا قول أبي بكر، فقال: أما إنّه إنْ قال ذاك، إنّه لأوّاه، وإنّه لأرحم الأمّة، وإنّه لصاحب رسول الله ﷺ في الغار، وإنّه لأعظم النّاس غناءً عن نبيِّه عليه السلام في ذات يده))[1].

ومن نماذج المديح المقبول في ((الاعتراف بفضل الصّالحين)) مديح جرير للخليفة الأمويّ العادل عمر بن عبد العزيز، حيث يقول[2]:

إنّ الـــذي بعـــثَ الـــنّبيّ محمّـــدًا جعـــل الخلافـــة في الإمـــامِ العـــادلِ
ولقد نَفَعْتَ بما منعْـــتَ تحرّجـــــًا مكس العـــشور علـــى جـــسر الـــسّاحلِ
قد نـــالَ عـــدلُكَ مَـــنْ أقـــامَ بأرضـــنا فإليـــكَ حاجـــةَ كـــلِّ وفـــدٍ راحـــلِ

فذلك من الاعتراف بفضل الصّالحين، فقد كان عمر بن عبد العزيز خليفةً عادلاً، وقام في عهده بالعديد من الإصلاحات المهمّة، ومنها رفع الضّرائب عن السّلع التي تجلب من خارج بلاد المسلمين، وقد شمل ذلك ضرائب العشور على السّلع التي يجلبها التّجّار الأجانب غير المسلمين، فجرير يمدحه بذلك وجعل مديحه في معرض فخر واعتزاز، فعدل عمر بن عبد العزيز نال كلّ من أقام بأرضنا -نحن المسلمين- وذلك ممّا يبيّن كيف تفرض القيم الإسلاميّة سلطانها في كلّ العصور، وعلى كلّ الذين يقيمون في البلاد الإسلاميّة.

ومن الاعتراف بفضل الصّالحين مديح الشّعراء للولاة، والقوّاد، وكبار القوم، والأجواد، بفضائل الشّجاعة، والكرم، والتقوى وما إلى ذلك في مثل قول نهار بن توسعة، يمدح قتيبة بن مسلم[3]:

---

(١) كتاب الأشراف، لابن أبي الدّنيا، تحقيق: وليد قصّاب، دار الثّقافة، ط١، الدوحة، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، ص ٨١. برقم (٥١).

(٢) ديوان جرير، شرح إليا الحاوي، دار الكتاب اللبناني، ط١، بيروت، ١٩٨٢م، ص ٥٠٣.

(٣) الشّعر والشّعراء، لابن قتيبة، ٥٣٧/١.

ما كان فيمَنْ كان في النّـــاس قبلَنـــا ولا هو فيمَنْ بعدنا كابن مُسْلِمِ
أشدَّ على الكفّـــار قـــتلاً بـــسيفه وأكثر فينا مَقْسِمًا بعد مَقْـــسِمِ

ومصداق هذا المديح أنّ الممدوح كان من كبار قادة الفتوح الإسلاميّة في العهد الرّاشدي، وكذلك في عهد الدّولة الأمويّة، وكانت له في الحرب غزوات وحملات مظفّرة، وكان شديد الوطأة على الكفّار، كما وصفه ابن توسعة.

ويتّضح ممّا تقدّم أنّ الاعتراف بفضل الصّالحين هو مدحهم، والثّناء عليهم بصفاتهم وأعمالهم الصّالحة، وذلك من مديح مَنْ يستحقّ، وهو من ثمرات المديح الشّرعيّ في أنّه مندوب إليه ومستحبّ، والحكمة من مدح الصّالحين إظهار فضائلهم، وذلك من حقّهم، ولقصد شرعيّ، أن يُقتدى بهم[1].

وأخيرًا، فإنّ الاعتراف بفضل الصّالحين يتضمّن معنى الإقرار بصلاحيّة العمل من النّاحية الشّرعيّة، وفيما يجرى بصورةٍ فعليّة في واقع حياة النّاس، ثمّ يأتي دور المديح في الشّعر تاليًا، فيتمثّل قيمة العمل الصّالح (الفضيلة) ويذيعها بطريقةٍ فنيّة مؤثّرة.

(١) انظر: شرح صحيح مسلم، للنّوويّ، ٣٣٨٧/١٧. وانظر: عمـــــدة القاري شـــــرح صحيح البخاريّ، للعينيّ، ١٣٤/٢٢.

المبحث الثّالث

تشجيع الصّالحين وتثبيتهم

المديح المقبول يدعو إلى الخير، بحكم أنّه مديح بالقيم الإسلاميّة. ومن مزاياه الاعتراف بفضل الصّالحين، كما مرّ في المبحث السّابق، وفي ذلك تشجيع لهم على الفضيلة، بمعنى التّرغيب فيها، والمقصد تثبيتهم عليها، لتكون في سلوكهم معادلاً فعليًّا لعقيدة الإيمان بالله –تعالى–. وحقيقة هذه الميزة في منهج الأدب الإسلاميّ، أنّ المديح المقبول يستهدي بمبادئ الإسلام في الدّعوة إلى الفضيلة، على ضوء الكتاب والسّنّة، وما أُثِرَ عن الصّحابة ﷺ وهم الصّفوة.

وممّا يدلّ على أنّ الثّناء على الصّالحين يشجّعهم ويثبّتهم مدح النّبيّ ﷺ وثناؤه على أصحابه، بفضائلهم ومناقبهم، في مواقف معيّنة، وممّا ورد في السّنّة من ذلك:

روي: ((.. عن الزّبير بن العوّام، قال: كان على النّبيّ ﷺ درعان يوم أحد، فنهض إلى الصّخرة فلم يستطع، فأقعد طلحة تحته، فصعد النّبيّ ﷺ عليه حتى استوى على الصّخرة. فقال: سمعتُ النّبيّ ﷺ يقول: "أوجب طلحة"))[1]. فهذا مدح وثناء من النّبيّ ﷺ على طلحة بن عبيد الله، لما كان منه من عملٍ صالح، يُعدّ من المناقب العظيمة. وفي ذلك تشجيعٌ وتثبيتٌ على الفضيلة، ليس له فحسب، بل للمسلمين كافّة، فمن مقاصد الثّناء على أهل الفضائل أن يُقتدى بهم، وفي ذلك تشجيعٌ لهم، وحثّ الآخرين على الاقتداء بهم في فعل الخير.

وروي: ((.. عن عليّ بن أبي طالب، قال: ما سمعتُ النّبيّ ﷺ يفدي أحدًا بأبويه إلاّ سعد، فإنّي سمعتُه يومَ أحدٍ يقول: "ارمِ سعد فداك أبي وأمّي"))[2]. وفي رواية أخرى عن علي بن أبي طالب أيضًا، زيادة: ((وقال له: "ارمِ أيُّها الغلامُ الحَزَوَّر"))[3].

---

(١) رواه التّرمذي (١٦٩٢) و (٣٧٣٨). وأوجب: وجبت له الجنّة. لسان العرب، ٧٩٣/١ (وجب).

(٢) رواه التّرمذي (٣٧٥٥).

(٣) رواه التّرمذيّ (٣٧٥٣) بلفظ "ما جمع رسول الله ﷺ أباه وأمّه لأحدٍ إلاّ لسعد، قال له يوم أحد" وذكر باقي الحديث. والحزوّر: القويّ الحامل السّلاح. لسان العرب، ١٨٧/٤. (حزر).

وفي هذا الحديث حثّ النّبيّ ﷺ لسعد بن أبي وقّاص على الرمي يومَ أحد، وهو ينضح المشركين بالنّبل دفاعًا عنه ﷺ، ولا شكّ أنّ في هذا تشجيعاً لسعد، فقد فداه النّبيّ ﷺ بأبيه وأمه.

وروي: ((عن خلاد بن السّائب قال: دخلت على أسامة بن زيد فمدحني في وجهي، وقال: إنّه حملني على أن أمدحكَ في وجهك أنّي سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: "إذا مُدِح المؤمن في وجهه ربا الإيمان في قلبه"))[1].

وكذلك ورد في السّنّة تشجيع الشّعراء وتثبيتهم على الفضيلة، على نحو ما روى ابن هشام أنّ كعب بن مالك قال في بعض قصائده يوم الخندق:

جاءتْ سخينة كي تغالب ربَّها فلـــيُغْلبنّ مغالـــبُ الغـــلابِ

فقال له رسول اللهﷺ : ((لقد شكرك الله يا كعب على قولك هذا)) [2].

وروى ابن أبي الدّنيا عن خالد بن خداش عن حماد بن زيد عن هشام بن عروة، قال: ((قال عبد الله بن رواحة للنّبيّ ﷺ:

فَثَبَّتَ اللهُ ما آتـــاكَ مِـــنْ حَـــسَنٍ تثبيت موسى ونـــصرًا كالـــذي نَـــصَرَا

فقال النّبيّ ﷺ: ((وإيّاك)).

حدّثنا خالد، قال: حدّثنا حمّاد بن زيد عن هشام بن حسّان، أنّ النّبيّ ﷺ قال له: ((وإيّاك يا سيّد الشّعراء))[3].

وبمثل ذلك أثنى عليهم النّبيّ ﷺ، بما حَسُنَ من أشعارهم، في الالتزام بالدّعوة الإسلاميّة، والدّفاع عنها ومؤازرتها، فكانوا لسان حالها في الدّعوة إلى الإسلام، ونشر الفضيلة. وثبّتهم ثناء النّبيّ ﷺ وتشجيعه لهم.

---

(١) بغية الرّائد في تحقيق مجمع الزّوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيمي، تحقيق: عبد الله محمّد الدّرويش، دار الفكر بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ٤٢٠/٨، برقم (١٣٢٩٦). رواه الطّبرانيّ، وفيه ابن لهيعة، وبقية رجاله وثقوا.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر، ج٢، ص١٣٤، والسّيرة النّبويّة، لابن هشام، ٢٦١/٢ .

(٣) كتاب الأشراف، لابن أبي الدّنيا (٢٨١هـ)، رواية: أبي الحسن أحمد محمد بن عمر الأصبهاني، تحقيق: د. وليد قصّاب، دار الثّقافة، ط١، الدّوحة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص ١٩٠، الفقرة (٢٩٤).

ولقد وجّه النّبيّ ﷺ الشّعراء إلى ذلك، كما ورد في سيرته ﷺ أنّه حين أنشده كعب بن زهير (بانت سعاد) قال له: "لو لا ذكرتَ الأنصار بخير فإنّهم لذلك أهل"[1]. فمدحهم كعب بقصيدته (من سرّه كرم الحياة)، يقول فيها[2]:

من سرّه كرمُ الحياة فلا يــزلْ ... في مِقْنَبٍ مِنْ صالحي الأنصارِ
ورثوا المكارمَ كابرًا عن كــابرٍ ... إنّ الخيارَ هُمُ بنــو الأخيــارِ

ويقول:

والبــائعين نفوسَــهُمْ لنبــيِّهم ... للموتِ يومَ تَعَــانُقٍ وَكِــرارِ

فذلك إظهار لفضل الأنصار بنصرهم النّبيّ ﷺ، وتشجيعٌ لهم على الثّبات، على نصرة الإسلام ونبيّه. ولا يقتصر أثر المديح المقبول، في مثل هذا الموقف، على الممدوحين، بل له أثره في تشجيع المتلقّين عامّةً على الفضائل. وذلك لما للشّعر من أثر في نفوس النّاس، ولاسيّما كرامهم، حتى قيل : ((المدح مهزّة الكرام[3])) لما يثيره فيهم من مشاعر الأريحيّة، ويحملهم على الأفعال النّبيلة الفاضلة، حيث كان الشّعر -كما مرّ- يسخّي البخيل، ويشجّع الجبان ويثّبته، فمن مقاصد مديح الصّالحين تشجيعهم على فعل الفضائل، والقيم الخيّرة، وتثبيتهم عليها، لما فيه من الثّناء عليهم، وإطرائهم بحقّ، ثم إنّ فيه إحياء لذكرهم بالثّناء الجميل على مرّ العصور والأجيال، فكما قال أعرابيّ في مدح عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه[4]:

إنّ الثّناءَ لــيحيى ذكــرَ صــاحبه ... كالغيث يُحيي نداه الــسهلَ والجــبلا
لا تزهد الدهر في عُرْفٍ بدأتَ بــه ... فكلّ عبدٍ ســيُجزى بالّــذي فعــلا

وهذا كقول الحطيئة في بعض مدائحه لبني أنف النّاقة[5]:

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي، رقم ٢٠٩٣١، والمستدرك على الصحيحين، الإمام الذهبي، رقم ٦٤٧٨، والسّيرة النّبويّة، لابن هشام، ٢/٥١٥.
(٢) المصدر السّابق، ٢/٥١٤.
(٣) التّمثيل والمحاضرة، لأبي منصور عبد الملك بن محمّد بن إسماعيل الثّعالبي، تحقيق: عبد الفتّاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربيّة، القاهرة، ١٣٨١هـ - ١٩٦١م، ص١٨٥.
(٤) العمدة، لابن رشيق، ١/٢٥.
(٥) ديوان الحطيئة، ص ٥١.

مَنْ يفعلِ الخيرَ لا يعدمْ جوازيَهُ لا يذهبُ العرفُ بين اللهِ والنّـــاسِ

وبذلك تظلّ مناقب الصّالحين ومآثرهم حاضرةً في ذاكرة الأجيال تحفِّز إلى الاقتداء بهم.

وخلاصة لما تقدّم:

١. إنّ مزايا المديح المقبول تبيّن الحكمة من مشروعيّة إجازته، وذلك أنّه نشرٌ للفضيلة بالإعلام عنها، وفائدة ذلك الاعتراف بفضل الصّالحين من أصحاب الفضائل، فمن حقّهم أن يُمدحوا بها إظهارًا لفضائلهم ومناقبهم، ليُترَلوا منازلهم، فيُعرفوا بها بين النّاس[١]، فقد روي عن أمّ المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- أنّها قالت: ((قال رسول الله ﷺ: "أنزلوا النّاس منازلهم"))[٢]. وذلك تنشيطٌ لهم على الدّوام على ما فيه الخير، أي تشجيعهم للثّبات على الفضائل. وبذلك أيضًا التّرغيب في الاقتداء بهم، فكما قال النّوويّ -رحمه الله-: ((إن كان يحصل بذلك مصلحةٌ كنشطةٍ للخير، والازدياد منه، أو الدّوام عليه، أو الاقتداء به كان مُستحبًّا، والله أعلم))[٣].

٢. تترابط هذه المزايا فيما بينها ترابطًا سببيًّا، في تحقيق هدف (الفضيلة) ويُناط بالمديح المقبول تحقيق هذا الهدف ما التزم فيه الشّعراء بمعايير معيّنة من الضّوابط الشّرعيّة، ومن هنا ترتبط مزايا المديح بمعاييره ارتباطًا وثيقًا في منهج الأدب الإسلاميّ. أي إنّ مزايا المديح المقبول مُسبّبة عن المعايير والضّوابط الشّرعيّة الّتي يلتزمها.

٣. يهدف المديح المقبول إلى أن تكون الفضيلة واقعًا ملموسًا في حياة المسلمين، وذلك من خلال التّأثير في سلوك الفرد المسلم، على أساس من الشّريعة الإسلاميّة، وليست (الفضيلة) مقصودةً لذاتها، بل لها مقاصد شرعيّة عقديّة، تتلخّص في ابتغاء مرضاة الله تعالى، وفي ذلك صلاح أمر النّاس في الدّين والدّنيا.

٤. يتّسم المديح المقبول بالشّموليّة، والالتزام العقديّ، والجدّ، والصّدق في المضمون والفنّ، وتلك من خصائص الأدب الإسلاميّ.

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم، للنّوويّ، ٣٣٦/١٧ ــ ٣٣٧. وانظر: عمدة القاري، للعيني، ١٣٤/٢٢.

(٢) رواه أبو داود (٤٨٤٣). ورواه مسلم في مقدّمة صحيحه.

(٣) شرح صحيح مسلم، للنّوويّ، ٣٣٧/١٧.

الفصل الثّالث

محاذير المديح غير المقبول

- المبحث الأوّل : ما يتعلّق بالمادح.
- المبحث الثّاني : ما يتعلق بالممدوح.
- المبحث الثّالث : ما يتعلق بالمجتمع.

للمديح المخالف للمعايير والضّوابط الشّرعيّة الّتي تحدّثنا عنها محاذير كثيرة.

ولا تقتصر هذه المحاذير على الشّاعر المادح، بل منها ما يتعلّق بالممدوح، إذا ما قبل أن يُمدح بشعر فيه مخالفات شرعيّة، أو كان هو من أسباب ذلك، ومن هذه المحاذير كذلك ما يتعلّق بالمجتمع.

ولهذه المحاذير أحكام في الشّريعة الإسلاميّة، بقصد درء مخاطرها الدينيّة والدنيويّة ولذلك يعتمد التّصوّر الإسلاميّ معايير للمديح المقبول -كما تقدّم في الفصل الأوّل- وإلاّ كان مردودًا، بل مرفوضًا. وعليه فإنّ محاذير المديح -غير المقبول- هي نقائض مزايا المديح المقبول الّتي تحدّثنا عنها في الفصل الثّاني؛ لأنّ الوقوع في المخالفات الشّرعيّة يفضي بالمديح إلى نقيض المقاصد الشّرعيّة، في أن يكون الشّعر وسيلة لنشر الفضيلة، ومحاربة الرّذيلة، في حياة الفرد والمجتمع.

والهدف في هذا الفصل بيان هذه المحاذير بوصفها مخالفات شرعيّة ينهى الإسلام عنها، وذلك من حيث تعددها، وتنوّعها، وأسبابها، ومخاطرها، والأحكام الشّرعيّة بشأنها، فيما يتعلّق بكلٍّ من المادح، والممدوح، والمجتمع.

المبحث الأوّل

ما يتعلّق بالمادح

للمديح غير المقبول محاذير تتعلّق بالشّاعر (المادح) فهو الّذي يقع فيها أولاً، حينما ينشئ مديحًا لتحقيق أغراضٍ وغايات غير شرعيّة، فيقع في المخالفات الشّرعيّة من مثل التّكسّب بالشّعر، ومدح مَنْ لا يستحقّ، والقطع بالمديح، وما إلى ذلك ممّا يتناقض مع معايير المديح المقبول، ويفضي ذلك إلى ألوان من المبالغة، والكذب، والرّياء، والنّفاق، والغلوّ، ممّا يقود إلى كبائر الإثم والشّرك، وكلّ ذلك يقع فيه الشّاعر المـــــادح حينما يخلع العذار لنفسه، فيتجاوز حدود المباح في فنّ المديح .

وفي مقدّمة هذه المحاذير الّتي يقع فيها الشّاعر المادح المبالغة والكذب، والمبالغة كما ضبطها العلماء قسمان: جائزة، وممنوعة، فالجائزة يصحبها شرط أو تقريب، والممنوعة بخلافها[1].

ومفاد ذلك أنّ المبالغة الجائزة تقترن بما يدلّ على أنّ الشّاعر المادح لا يعتقد حقيقة الصّفة الّتي يصف بها الممدوح، وإنّما يعمد إلى تضخيمها وتجسيمها، بهدف إظهارها، وأنّ الممدوح بلغ فيها الغاية، كقول أبي تمّام يمدح المعتصم[2]:

هو اليمُّ مِنْ أيّ النواحي أتيتَـــهُ ... فلجّتُهُ المعروفُ والجودُ ساحلُهْ
تعوّدَ بسطَ الكفِّ حتّى لو انَّهُ ... ثناها لِقَبْضٍ لَمْ تجبْـــهُ أناملُـــهْ
ولو لم يكن في كفِّهِ غيرُ روحِهِ ... لجادَ بهـــا فَلْيَتَّـــقِ اللهَ ســـائِلُهْ

فهذا القول كناية عن أنّ الممدوح بلغ الغاية في الكرم، ولم يكن الشّاعر يعتقد حقائق الصّفات فيه، وكما علّق الغزالي -رحمه الله- على البيت الأخير، فقال: "فإنّ هذا عبارة عن الوصف بنهاية السّخاء، فإن لم يكن صاحبه سخيًّا كان كاذبًا، فالمبالغة من

(١) فتح الباري، لابن حجر، ٥٨٧/١٠. بتصرّف.
(٢) ديوان أبي تمّام، شرح: الخطيب التّبريزيّ، تحقيق: راجي الأسمر، ١٥/٢.

صفة الشّعر، فلا يقصد منه أن يعتقد صورته"[1].

فالمبالغة أسلوب في التّعبير، وهي من النّاحية الأدبيّة البلاغيّة من المحسّنات المعنويّة، ((وتنحصر في: التّبليغ، والإغراق، والغلوّ))[2]. وهي -كما رأينا في الفصل الأوّل- قسمان رئيسان: مقبولة، وغير مقبولة، أي ممنوعة.

وأمّا المقبولة فهي الّتي تعبّر عن وصفٍ ممكن، أو معقول في الممدوح[3]، واستخدمها المادحون في أغراض بلاغيّة، للتّعبير عن صفاتٍ حميدةٍ في الممدوح، على جهة الصدق والحقّ، في أساليب من فنّ القول الشّعريّ، بقصد إظهار هذه الصّفات في الممدوح، دون مجاوزة للحدّ المعقول والممكن.

وأمّا المبالغة الممنوعة فهي المجاوزة للحدّ في المديح، حينما يخرج بها المادحون إلى الكذب من أجل غاياتهم، من التّكسّب ونيل الحظوة، وسوى ذلك، فيقعون في مخالفات شرعيّة، قد يصلون فيها إلى حدّ الشّرك[4]، فيما يهيلون على ممدوحيهم من الصّفات والخلال الحميدة، من غير مبالاة بسوى إرضاء الممدوح وتلبية رغباته، وأحيانًا يزيدون عليها، وللمدّاحين في النّفاق والتّزلّف للممدوحين أفانين عجيبة في الكذب والاعتساف في القول، فتراهم يفضّلون أجبن النّاس على عنترة، وأبخلهم على حاتم، ويبهّتون البريّ ويفسّقون التّقيّ[5]، ومن ثمّ يفتتن بهم الممدوحون، فما يكون حال الجميع إلا كما قال تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾﴾[6] فيحقّ في هذا الصّنف من الشّعراء ما ورد في السّنّة أنّ النّبيّ ﷺ قال: "إذا رأيتم المدّاحين فاحثوا في وجوههم التّراب"[7] فيما تأوّله العلماء بالأخذ بظاهر

---

(١) إحياء علوم الدّين، الغزالي، ١٠٩/٣.
(٢) الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، ٦٠/٦ .
(٣) انظر: المصدر السّابق، ٦٠/٦ ــ ٦٤.
(٤) كما ستبيّن في الفصل الرّابع عند الكلام على المديح المردود.
(٥) الكشّاف، للزّمخشريّ، ٣٨٧/٣. بتصرّف.
(٦) سورة الشّعراء، الآيتان ((٢٢٤ ــ ٢٢٥).
(٧) رواه البخاريّ في الأدب المفرد (٣٤١). ومسلم (٥٠٦). وأبو داود (٤٨٠٤). والتّرمذي (٢٣٩٣).

الحديث بأنّ مفاده ردّهم وحرمانهم[1].

فالمبالغة الممنوعة الّتي يردّ المديح بسببها هي في حقيقتها كذب مقصود لغايةٍ فاسدة، فهؤلاء الشّعراء لا يقفون عند حدود المبالغة في مفهومها من الزّيادة في الوصف على سبيل التّضخيم والتّجسيم، بل يجاوزون الحدّ، فينسبون للممدوح ما ليس له، ويصفونه بما ليس فيه، وإذا كان له حظٌّ من صفةٍ أو خلةٍ حميدةٍ رفعوه بها إلى منزلةٍ عالية، لا يقبلها عقل ولا منطق، والأخطر من ذلك الوقوع في المخالفات الشّرعيّة. ولم يكن يقع من ذلك في عصر صدر الإسلام إلا القليل النادر، فقد كان النّبيّ ﷺ ومن بعده الخلفاء الرّاشدون يوجّهون الشّعراء، لينضبطوا بالضّوابط الشّرعيّة، وكذلك كان عامّة الصّحابة يردّون الأشعار المخالفة لهذه الضّوابط، ويزجرون أصحابها، وخاصّةً ولاة الأمر، والحكّام، والولاة، والعلماء، بل كلّ مسلم، من حيث وجوب ردّ الخطأ ورفضه، من مبدأ تغيير المنكر. وسيتمّ توضيح ذلك في المبحث الثّالث.

ولكن نشأت المبالغة وانتشرت في شعر المديح منذ بداية العصر الأمويّ، فكما يقول الدّكتور وليد قصّاب: ((انتشر المديح بشعًا حادًّا، وتفنّن الشّعراء فيه، واكتملت تجاربهم بما ثقفوا من المعارف، والعلوم الوافدة، وصار إتقانه معراجًا إلى السّلطة، ثمّ الجاه والثّروة))[2]. تلك هي أولى أسباب المبالغة المجاوزة للحدّ في المديح غير المقبول، من جانب كثيرٍ من الشّعراء، وأكثر ما كانت في المديح السّياسيّ، فقد أخذوا يبالغون ويفرطون في مديح الخلفاء وأسرهم، ومن إليهم من ذوي الحكم والسّلطان، فأوغل كثيرٌ من الشّعراء في المبالغة الممنوعة، بل صاروا إلى الافتراء، وخاصّة في مديحهم للخلفاء، فخاضوا في أمور شرعيّة خطيرة، ما كان لهم أن يتعرّضوا لها، وتحديدًا قضيّة أحقيّة الخلافة، فراحوا يدّعون للخليفة الممدوح أنّه أحقّ بالخلافة من غيره، وأنّه وقومه أو أسرته ولوها بقدرٍ من الله تعالى، ويبلغون في ذلك مبلغًا عظيمًا، إذ يصوّرون شأن الخلافة والخليفة كشأن الرّسالة

---

(١) انظر: فتح الباري، لابن حجر، ٤٧٨/١٠. وانظر: شرح سنن ابن ماجة، لأبي الحسن الحنفيّ المعروف بالسّندي، دار الجيل، بيروت، د.ت، ٤٠٧/٢. وانظر: شرح السّنّة، للبغويّ، تحقيق: زهير الشّاويش وشعيب الأرناؤوط، ١٥٠/١٣ ــ ١٥١.

(٢) موقف عمر بن عبد العزيز من الشّعر والشّعراء، د. وليد قصّاب، ص ١٧٤ (مجلّة كليّة الدّراسات الإسلاميّة والعربيّة، الإمارات العربيّة، ع ٣، ١٤١١هـ).

والنّبوّة، فالخليفة وقومه ورثة النّبيّ ﷺ وأوصياؤه، وأنّ الله -عزّ وجلّ- اختاره وقومه للخلافة من دون النّاس، ومن ثمّ فالخليفة عادل تقيّ ورع، ويلقي عليه المدّاحون أثواب العصمة، ويذهبون إلى أبعد من ذلك، فترى بعضهم يرفع الممدوح إلى مقام الأنبياء، بل وصل بعضهم إلى حدّ تأليه الممدوح. فكانت مدائحهم مردودة، بل ممقوتة، لما ارتكبوا فيها من الآثام، وقد بيّن النّقّاد والعلماء القدماء خطلها وفسادها ، وسنوضح ذلك في الفصل الرّابع.

ومن ذلك يتبيّن أنّ محاذير المديح غير المقبول الّتي يقع فيها الشّاعر المبالغة والكذب، ممّا يفقده المصداقية ويعرّضه للاتّهام بالزّور والتّزوير.

وممّن عرض لمحاذير المديح غير المقبول من العلماء: الغزالي، فقد ذكر له ستّ آفات، أربع منها تتعلّق بالمادح، واثنتان تتعلّقان بالممدوح. وأمّا الآفات الّتي تتعلّق بالمادح، فهي[1]:

١. أنّه قد يفرط في مديحه فينتهي به إلى الكذب.
٢. أنّه قد يدخله الرّياء، وذلك أنّه بالمدح يظهر الحبّ للممدوح، وقد يكون بداخله خلاف ذلك، فيصبح مرائيًا منافقًا، وسبيله إلى ذلك المبالغة والكذب في المديح، وقد روي أنّ النّبيّ ﷺ قال: ((آية المنافق ثلاث، إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان))[2].
٣. أنّه قد يقول في الممدوح ما لا يتحقّقه، ولا سبيل له إلى الاطّلاع عليه، فيكون مديحه تزكية بغير حقّ، كما أنّ ذلك ممّا يدخل الغرور في نفس الممدوح. وذلك منهيّ عنه في أصول الشّريعة الإسلاميّة.
٤. قد يفرح الممدوح بالمديح وهو ظالم أو فاسق، وذلك محذور في الإسلام، وقد تقدّمت أحاديث نبويّة في ذلك، في غير هذا الموضع، ومنها؛ أنّ النّبيّ ﷺ قال:

---

(١) إحياء علوم الدّين، للغزالي، ١٣٨/٣ ــ ١٣٩. بتصرّف.
(٢) رواه البخاريّ (٣٣) ومسلم (٥٩).

((إنّ الله يغضب إذا مُدِح الفاسق))[1].

يتّضح ممّا تقدّم أنّ جملة محاذير المديح غير المقبول المتعلّقة بالمادح؛ تتمثّل في المبالغة الممنوعة وهي قائمة أساسًا على الكذب، وقد كانت ظاهرةً واسعة الانتشار، أفسدت شعر المديح، فكانت سببًا في انحطاط مترلة الشّاعر المادح، فأوّل ما يوصم بالكذب، وما إليه من الصّفات الخُلقيّة الذّميمة، من ضعف الإيمان وقلّة الورع، فهو مظنّة الفسق والفساد، وبالتّالي انعدمت الثّقة به، فأصبح موضع ذمٍّ، بل قد ذُمّ الشّعر عامّة لفساد سلوك الشّاعر المادح، فهو في كلّ أحواله في موقفٍ مرفوض، بكلّ المقاييس الشّرعيّة والأدبيّة والاجتماعيّة بصفةٍ عامّة. يقول عزّ الدّين السّلميّ: "ولا تكاد تجد مدّاحًا إلاّ رذلاً، ولا هجّاءً إلاّ نذلاً، إذ الأغلب على المدّاحين والهجّائين الكذب والتّغرير"[2]. ونجد من يصف الشّاعر المادح بالكلب لتملّقه، وتذلّلـــه للممدوحين، وكذبه بدافع من غاياته، ومنها المال، ((قال أبو سعيد المخزوميّ:

الكلبُ والـــشّاعر في حالـــةٍ يا ليتَ أنّي لم أكـــنْ شـــاعرا
أمـــا تـــراه باســـطًا كفّـــه يستطعم الـــوارد والـــصّادرا

وما أعدل قول أبي العلاء في خطبة الفصيح: الشّعر إذا جُعل مكسبًا لم يترك للشّاعر حسبًا))[3]. لأنّه في سبيل المال ينأى بنفسه عن الصّفات الخلقيّة الفاضلة.

"وقيل لا تؤاخ شاعرًا فإنّه يمدحك بثمن، ويهجوك مجانًا. وسُئِل بعضهم عن حوك الشّعر، فقال: هو أسرى مروءة الدّنيّ، وأدنى مروءة السريّ. وسُئِل عوف بن أميّة السّكونيّ عن نسج الشّعر فقال: إنْ جددتَ كذبتَ، وإنْ هزلتَ أضحكتَ، فأنتَ بين كذبٍ وإضحاك"[4].

---

(١) الإحياء، الإمام العراقي، ج٣، ص١٩٨، رقم الحديث ٨٢٣.
(٢) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، أبو محمّد عزّ الدّين السّلميّ، دار الكتب العلميّة، بيروت، د. ت، ١٧٧/٢.
(٣) أحكام صنعة الكلام، لذي الوزارتين أبي القاسم محمّد بن عبد الغفور الكلاعيّ الإشبيليّ الأندلسيّ، تحقيق: د. محمّد رضوان الدّاية، دار الثّقافة، د. ط، بيروت، ١٩٦٦م، ص ٣٧ ــ ٣٨.
(٤) محاضرات الأدباء ومحاورات الشّعراء البلغاء، للرّاغب الأصفهانيّ، اختصار: إبراهيم زيدان، دار الجيل، ط٢، بيروت، ١٤٠٦هـــ/١٩٨٦م، ص ٣٩.

فهذه النّظرة إلى الشّعر والشّاعر إنّما كان سببها سلوك بعض الشّعراء المدّاحين المتكسّبين، لتملّقهم، وتذلّلهم، وكذبهم لدى الممدوحين.

ويتبع انحطاط منزلة الشّاعر في المجتمع عدم قبول شهادته، عند بعض العلماء، فهو موضع شبهة واتّهام، في إيمانه وذمّته، وذلك لاتّصافه بالكذب، وما ينتج عنه، من الفسق والفساد. ومن ذلك قول الإمام الشافعيّ -رحمه الله-: ((.. ومن أكثر الوقيعة في النّاس على الغضب، أو الحرمان، حتى يكون ذلك ظاهرًا، كثيرًا، مستعلنًا، وإذا رضي مدح النّاس بما ليس فيهم حتى يكون ذلك كثيرًا ظاهرًا، مستعلنًا، كذبًا، محضًا رُدّت شهادته))[1]. وفي المدوّنة الكبرى: "قال سألْنا مالكًا عن الشّاعر أتقبل شهادته؟ قال: إن كان ممَّن يؤذي النّاس بلسانه ويهجوهم إذا لم يعطوه، ويمدحهم إذا أعطوه، فلا أرى أن تجوز شهادته"[2].

وفي المغني، لابن قدامة: "فأمّا الشّاعر فمتى كان يهجو المسلمين أو يمدح بالكذب، أو يقذف مسلمًا أو مسلمة فإنّ شهادته تُردّ"[3]. وكذلك قال البهوتي: "لا شهادة لشاعرٍ يفرط أي يكثر في مدح بإعطاء، ويفرط في ذمٍّ بمنعٍ من إعطاء، أو تشبيب بمدح خمر، أو بأمرد، أو بامرأة معيّنة محرّمة، ويفسَّق بذلك"[4].

فالعلّة في المديح غير المقبول سببها ما يرتكبه الشّاعر من الكذب، نفاقًا، وتزلّفًا، ومراءاةً للممدوح، أيّما كان حاله، وقد يكون فاسقًا، أو ظالمًا، فليس ثمّة اعتبار لدى الشّاعر المادح سوى تحقيق غايته في كسب مالٍ، أو نيل حظوة، في التّقرّب من الممدوح، وطلب منزلة، أو مكانة عنده، وفي ذلك إثمٌ كبير.

وإنّما يقع الشّاعر المادح في هذه الآثام لتعلّقه بالممدوحين، بدوافع من مطامعه ورغباته. وعلاج ذلك كما يقول الغزالي: "بقطع الطّمع عن النّاس، وطلب المنزلة عند الله، وبأن تعلم أنّ طلبك المنزلة في قلوب النّاس، وفرحك به، يسقط منزلتك عند الله، فكيف تفرح به!" [5].

---

(١) الأمّ، محمّد بن إدريس الشّافعيّ، دار المعرفة، ط٢، بيروت، ١٣٩٣هـ، ٢٠٧/٦.
(٢) المدوّنة الكبرى، مالك بن أنس، دار صادر، بيروت، د. ط، بيروت، د. ت، ١٣٨/١٢.
(٣) المغني، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسيّ، دار الفكر، ط١، بيروت، ١٤٠٥هـ، ١٧٧/١٠.
(٤) شرح منتهى الإرادات، منصور بن إدريس البهوتي، عالم الكتب، ط٢، بيروت، ١٩٦٦م، ٥٩٢.
(٥) المصدر السّابق، ٢٥٠/٣.

المبحث الثّاني

ما يتعلّق بالممدوح

للمديح غير الشّرعي محاذير تتعلّق بالممدوح، وتضرّ به، وتعود عليه بالإثم والعدوان، وهي:

الأوّل: وهو الأثر السّلبيّ للمديح في الممدوح، من حيث إنّه يفتتن به.

الثّاني: ما يكون الممدوح سببًا فيه.

١. فتنة المديح للممدوح:

وهي الأثر السّلبيّ الّذي يحدثه المديح في نفس الممدوح إن لم يحترز لنفسه، وذلك أنّه إذا سمع المديح والثّناء عليه من أحدٍ قد يظنّ أنّه بلغ الغاية في الصّلاح، فيُعجب بنفسه، فيفتر عن العمل الصّالح والاجتهاد فيه. وقد يلابسه الرّياء[١]، وقد روي أنّ النّبيّ ﷺ قال: "إنّ أخوف ما أخاف عليكم الشّرك الأصغر، قالوا: وما الشّرك الأصغر يا رسول الله؟ قال الرّياء، يقول الله -عزّ وجلّ- يومَ القيامة إذا جازى العباد بأعمالهم: اذهبوا إلى الّذين كنتم تراؤون في الدّنيا، فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء"[٢]. وقد يلابسه الغرور والكبر[٣]، وهذا يحمله على "الغطرسة والتّيه على عباد الله، فيحسب نفسه فوقهم، ويوهم أنّه من غير طينتهم"[٤]. وفي ذلك إثم كبير، وقد توعّد الله المتكبرين بالعذاب الأليم في الآخرة، قال عزّ وجل: ﴿ فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[٥]. وقال: ﴿ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوًى

---

(١) انظر: إحياء علوم الدّين، للغزالي، ١٣٩/٣.

(٢) رواه أحمد والبيهقي والطّبراني: المغني، لابن الحسين العراقيّ، على هامش الإحياء، ٢٥٤/٣.

(٣) انظر: إحياء علوم الدّين، للغزالي، ١٣٩/٣.

(٤) النّظرة النّبويّة في نقد الشّعر نحو تأسيس منهج إسلاميّ في الأدب، د. وليد قصّاب، ص ٥٣.

(٥) سورة النّحل، الآية (٢٩).

لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[1]. وورد في السّنّة أنّ النّبيّ ﷺ قال: "لا يدخل الجنّة مَنْ كان في قلبه مثقال حبّةٍ من خردلٍ من كبر"[2].

ذلك ممّا قد يقع فيه الممدوح من المهلكات، بسبب افتتانه بالمديح، خاصّةً حينما يقطع المادحون بمدحهم له والثّناء عليه، وذلك منهيٌّ عنه في الشّريعة الإسلاميّة، ممّا يتعلّق بالمادح، لما له من خطورة وضرر على الممدوح جرّاء فتنته بالمديح، وقد تقدّم في الفصل الأوّل ذكر بعض الأحاديث النبويّة مما ورد في كراهية المدح والتّمادح، وممّا ورد في السّنّة في هذا السّياق: ((.. عن معاوية، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: "إيّاكم والتّمادح فإنّه الذبح"))[3]. وجاء في شرح الحديث: "فإنّه الذبح: لأنّه قد يغترّ به صاحبه"[4]. أي: الممدوح. فحبّ المديح والثّناء من طبيعة الإنسان، إذ يبعث في نفسه الشّعور بالكمال فيهتزّ ويطرب، ومن ثم يكون عرضةً للفتنة والهلكة، اغترارًا بالمديح. "فلهذا كان الصّحابة -رضوان الله عليهم أجمعين- على وجل عظيم من المدح وفتنته"[5]. فقد حذّروا منه، ونهوا عنه، وممّا أُثر عنهم في ذلك: أنّ عمر ، قال: "المدح هو الذّبح"[6]. وفي روايةٍ للبخاريّ: "حدّثنا محمّد ... عن زيد بن أسلم عن أبيه، قال: سمعت عمر يقول: "المدح ذبح" قال محمّد: يعني إذا قبلها"[7]. وهذا يعني أنّ على الممدوح ألاّ يقبل المدحة من الآخرين، فيغترّ بها، فبذلك هلكة للمادح والممدوح معًا، كما روي ((عن الحسن: أنّ رجلاً أثنى على عمر رضي الله عنه، قال: تهلكني وتهلك نفسك))[8]. وروي ((.. عن إبراهيم التّيميّ، عن أبيه، قال: كنّا جلوسًا عند عمر، فأثنى رجل على رجل في وجهه، فقال: عقرت الرّجل، عقرك الله))[9]. وروي ((.. عن الحسن رضي الله عنه، قال: كان عمر رضي الله عنه قاعدًا

---

(١) سورة الزّمر، الآية (٦٠).
(٢) رواه مسلم، برقم (٢٦٦).
(٣) روا ابن ماجة (٧٣٥٣).
(٤) شرح سنن ابن ماجة، أبو الحسن الحنفيّ المعروف بالسّنديّ، دار الجيل، بيروت، ٧/٢.
(٥) إحياء علوم الدين، للغزاليّ، ٢٥٠/٣.
(٦) فتح الباري، لابن حجر، ٤٧٧/١٠.
(٧) رواه البخاريّ، في الأدب المفرد (٣٣٧).
(٨) رواه ابن أبي الدّنيا، في: الصّمت وحفظ اللسان، برقم (٦٠٦).
(٩) رواه البخاريّ، في الأدب المفرد؛ (٣٣٦).

ومعه الدّرّة، والنّاس حوله، إذ أقبل الجارود، فقال رجلٌ: هذا سيّد ربيعة، فسمعه عمر ﷺ، ومَنْ حوله، وسمعه الجارود، فلمّا دنا منه خفقه بالدّرّة، فقال: مالي ولكَ يا أمير المؤمنين، فقال: مالي ولك! أما لقد سمعتها. قال: سمعتُها فَمَهْ؟! قال: خشيتُ أنْ يخالط قلبك منها شيء، فأحببتُ أنْ أطأطئ منك))[1].

وروي أنّه "كان رجلٌ يكثر الثّناء على أمير المؤمنين عليّ، وعلم من قلبه خلاف قوله، فقال له: أنا دون ما تقول، وفوق ما في نفسك"[2]. وروي أيضًا أنّه لما أثني عليه قال: "اللهمّ اغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني خيرًا ممّا يظنّون"[3].

وروي "أنّ رجلاً قال لابن عمر: يا خير النّاس وابن خير النّاس! قال: لستُ بخير النّاس، ولكنّي من عباد الله، أرجو الله وأخافه، والله لن تزالوا بالرّجل حتّى تهلكوه"[4].

وروي أنّ بعض الصّالحين مُدِح، فقال: "اللهمّ إنّ عبدك تقرّبَ إليّ بمقتك، فأشهدُك على مقته"[5].

وعلى ضوء ذلك فإنّه يتوجّب على الممدوح تجنّب فتنة المديح، بالاحتراز لنفسه من مشاعر الإعجاب والغرور والكبر، وذلك بإذلال المادح، أو بصدّه وعدم تصديقه[6]. فهذا هو الموقف المطلوب من الممدوح إزاء المادح، على هدي من السّنّة والمأثور عن الصّحابة وصلحاء الأمّة، وبذلك كبح جماح المدّاحين من الشّعراء، وحملهم على الاقتصاد في المديح، على نحو ما كان من الخليفة التّقيّ عمر بن عبد العزيز، في مدة خلافته في موقفه من الشّعراء، إذ حملهم على الصّدق في المديح، والكفّ عن المبالغات الممنوعة.

ومن أخباره مع الشّعراء – كما تقدّم[7]– أنّ كثيّر عزّة والأحوص ونصيبًا وفدوا

---

(١) الصّمت وحفظ اللسان، ابن أبي الدّنيا، ص ٢٧٩. برقم (٦٠١). وإحياء علوم الدين، للغزاليّ، ١٣٩/٣.
(٢) محاضرات الأدباء ومحاورات الشّعراء البلغاء، للرّاغب الأصفهانيّ، اختصار: إبراهيم زيدان، ص ١٥٢.
(٣) إحياء علوم الدّين، للغزاليّ، ١٤٠/٣.
(٤) المصنّف، أبو بكر عبد الرّزّاق بن همام الصّنعانيّ، تحقيق: حبيب الرّحمن الأعظميّ، ط١، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، ٢٧٢/١١ ــ ٢٧٣. برقم (٢٠٥٢٣).
(٥) إحياء علوم الدّين، للغزاليّ، ١٤٠/٣.
(٦) انظر: المصدر السّابق، ١٣٩/٣ ــ ١٤٠.
(٧) في المبحث الرّابع من الفصل الأوّل.

إليه يريدون مدحه[1]. فأذن بالإنشاد للأوّليين، ولم يأذن للثّالث، وقد بادر كلاًّ منهما (كثيّرًا والأحوص) بقوله: (لا تقل إلاّ حقًّا)، وإذ ينتهي من الإنشاد يحمّله مسؤوليّة ما قال في مديحه، فيقول له: (إنّكَ يا فلان تُسأل أو تساءل عمّا قلت). ولم يُظهر لهما أنّه سُرَّ أو طرب لما سمع من المديح. وبذلك، احترز لنفسه من فتنة المديح. وكان ذلك شأنه مع الشّعراء، يتعامل معهم وفق ((معيارٍ خلقي، ينبع من تعاليم الدّين، ويغترف من التّصوّر الإسلاميّ للشّعر))[2]، فكان لموقفه هذا -في عهد خلافته- أبلغ الأثر في حمل الشّعراء على الاقتصاد في المديح، والصّدق فيه، وتجنّب محاذير المديح غير المقبول.

٢. المحاذير الّتي يكون الممدوح سبباً فيها:

وهي المخالفات الشرعيّة الّتي يرتكبها عن قصد وتعمّد، وتتمثّل في إعطاء الشّعراء على المديح، وإغرائهم على أن يمدحوه، والدّافع إلى ذلك حبّ الشّهرة والصّيت، وبذلك يحملهم على الكذب، ويظهر ذلك في قبوله ما يقع في مدحهم له من المبالغات المجاوزة للحدّ، وسوى ذلك من المخالفات الشّرعيّة، الّتي يكون سببًا في وقوعها من الشّعراء، في سبيل رغباته وتحقيق مآربه، في أمورٍ مختلفة في حياته الشّخصيّة، أو العامّة، أيًّا كان موقعه في المجتمع.

ولم تكن هذه المحاذير لتقع في عصر صدر الإسلام، وكان ذلك بيّنًا في موقف الإسلام من الشّعر والتّكسّب به، فقد كان محذورًا شرعًا إعطاء الشّعراء على المديح رغبةً في الشّهرة والصّيت، فضلاً عن أن يطلب امرؤٌ من شاعر أن يمدحه. وإنّما بدأت هذه المحاذير تظهر وتنتشر في الشّعر فيما بعد عصر صدر الإسلام، منذ بداية العصر الأمويّ، على نطاقٍ واسع، فقد أخذ الممدوحون يطلبون من الشّعراء أن يمدحوهم ويمجّدوهم في المديح، ومن أجل ذلك أجزلوا لهم العطاء، وشجّعوهم على المبالغة في مديحهم، وخاصّةً بعض الخلفاء، فقد اتخذوا المديح في الشّعر وسيلةً وأداةً فعّالة في الدّعوة والدّعاية لهم في

---

(١) انظر: الشّعر والشّعراء، لابن قتيبة، ١/٥٠٤ وما بعده.

(٢) موقف عمر بن عبد العزيز من الشّعر والشّعراء، د. وليد قصّاب، ص ١٨١ .

الشّأن السّياسيّ لتوطيد كياناتهم في الحكم.

وبذلك كان الكثير من الممدوحين، وبخاصّة من الخلفاء هم السّبب الرّئيس في وقوع الشّعراء في مديح غير شرعيّ بسبب إعطاء الشّعراء على المديح، وطلب المزيد منهم، وقبول ما كان يقع في مدائحهم من المبالغات الممنوعة، الّتي وصلت في كثيرٍ من الأحيان إلى حدّ الشّرك والكفر، على نحو ما مرّ من نماذج المديح غير المقبول، في المبحث السّابق.

وعلى ذلك فإنّ إعطاء الشّعراء على المديح، وحملهم على المبالغة والكذب، أخطر محاذير المديح غير المقبول الّتي تقع من الممدوح. والعلاقة بين هذين المحذورين علاقة السّبب بالنّتيجة.

أ. إعطاء الشّعراء على المديح:

ويأتي هذا الأمر في مقدّمة المحاذير الّتي يقع فيها الممدوح، وذلك بإعطائه المال للشّعراء المدّاحين؛ لإغرائهم بمديحه. والدّافع إلى ذلك حبّ الشّهرة والصّيت، فهذا العطاء على غير وجه حقّ، لأنّه من قبيل إعطاء المال لمن لا يستحقّه، نظرًا إلى دوافعه وغاياته. وكان هذا العطاء سببًا رئيسًا في انتشار ظاهرة التّكسّب بالشّعر.

والوقائع في ذلك أكثر من أن تُحصى، ويمكن ذكر بعض الأمثلة، لتبيّن طبيعة هذا العطاء من الممدوحين، ففي كثيرٍ من الأحيان قد بلغ حدّ التّبذير والإسراف. وممّا يزيد من خطورته أنّه صار أمرًا معتادًا، ومدعاةً للتّظاهر أيضًا، وقد يعطي الممدوح للشّاعر فوق ما يتوقّع، أو فوق ما يطلب. فمن ذلك –مثلاً– أنّ عبد العزيز بن مروان –في ولايته لعهد أخيه الخليفة عبد الملك– كان أعطى ألف دينارٍ لنصيب، أن مدحه بالكرم، في أبيات يقول فيها[1]:

(١) الأغاني، ١/٣٢٠.

لعبـــــد العزيـــــز علـــــى قومــــــهِ وغيرِهــــــمُ نعــــــمٌ غـــــامِرَهْ
فبابُـــــــكَ ألـــــينُ أبـــــــواهِم ودارُكَ مأهولـــــــةٌ عــــــامِرَهْ
وكلبُـــــكَ آنـــسُ بـــــالمعتفين مـــــن الأمِّ بالابنـــةِ الزّائـــــرَهْ
وكفُّكَ حينَ ترى الـسّائليـــــــــــــــ ـــــــن أندى من الليلـة المـاطِرَهْ
فمنــــكَ العطــــاءَ ومنّـــي الثنــــاءُ بكـــــلِّ محبّـــــرةٍ ســـــائِرَهْ

وكذلك مدح نصيب من الأمراء الأمويّين بشر بن مروان، بهذين البيتين(١):

يــا بـــشرُ يـــابنَ الجعفريّـــةِ مـــا خلـــقَ الإلـــهُ يـــدْيكَ للبخـــلِ
جـــاءَتْ بـــه عُجُـــزٌ مُقابلـــةٌ مـــا هُـــنَّ مِـــنْ جَـــرْمٍ ولا عُكْـــلِ

"فأمر له بشرٌ بعشرة آلاف درهم"(٢).

وروى ابن أبي الدّنيا هذين البيتين لابن قيس الرّقيّات، يمدح فيهما بشر بن مروان. قال: "فقال له بشرٌ: احتكم. قال: عشرين ألفًا. قال: قبّحكَ اللهُ! لك عشرون وعشرون، حتى بلغ مائة ألف"(٣).

وكان من الممدوحين مَنْ يصطنع بعض الشّعراء، فيفرط في إعطائه، فيوقف الشّاعر جلّ مديحه عليه، مثلما كان من إفراط أبي دلف العجليّ وحميد الطّوسيّ، في إعطاء الشّاعر علي بن جبلة -وخاصّة أبا دلف- وذلك ممّا جعله يوقف معظم مديحه عليهما. وله فيهما مدائح أغضبت الخليفة العبّاسيّ المأمون، فكانا يعطيانه بسخاءٍ، سرًّا خشية أن يعلم المأمون. وممّا يبيّن حجم هذا العطاء ما روي عن علي بن جبلة نفسه، أنّ أبا دلف كان يفرط في إعطائه، فانقطع عنه حياءً منه، فبعث إليه أبو دلف يستفسر عن سبب انقطاعه وهجره له، فردّ عليه بأبيات يقول فيها(٤):

هجرتُكَ لم أهجركَ مِنْ كفرِ نعمـةٍ وهـــل يُرتجـــى نيـــل الزيـــادة بـــالكفرِ
ولكـــنّني لّمـــا أتيتُـــك زائـــرًا فأفرطتَ في برّي عجزتُ عـــن الـــشكرِ

(١) المصدر السّابق، ١/٣٢٠ ــ ٣٢١.
(٢) المصدر السّابق، ١/٣٢١.
(٣) مكارم الأخلاق، لابن أبي الدّنيا، ص ١٢٥.
(٤) الأغاني، ٢٠/٣١.

فردّ عليه أبو دلفٍ بأبياتٍ، فوجّهها إليه وبعث له ألف دينار، يقول علي بن جبلة: "فذلك حيث قلت له[1]:

إنّمـــا الـــدنيا أبـــو دُلَـــفٍ بـــين باديـــه ومُحْتَـــضَرِهْ"

يشير إلى مدحةٍ له في أبي دلف، اشتهرت ببيتين، هذا البيت، وبعده[2]:

فـــإذا ولّـــى أبـــو دُلَـــفٍ وَلَّـــت الـــدنيا علـــى أَثَـــرِهْ

ذلك ممّا كان من إعطاء بعض الأمراء وكبار القادة والولاة للشّعراء، ومثل ذلك كثير. ناهيك عمّا كان عليه بعض الخلفاء، من اصطناع الشّعراء وضمّهم إلى جانبهم، وذلك ببذل المال لهم بسخاء، من العطايا والهبات الجزيلة في مختلف مناسبات المديح، عدا عن الجوائز والعطاءات السّنويّة، أو الدّوريّة الرّاتبة. وممّا يبين عن ذلك أنّ جريرًا في أوّل وفادة له إلى الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز أنشده قصيدةً، فلمّا فرغ سأله عن حاجته، فأجاب جرير، إنّها ما اعتاده من الخلفاء قبله، أربعة آلاف درهم وما يتبعها من كسوةٍ وحُمْلان. فسأله: أمن المهاجرين أنت؟ قال: لا. قال: فمن الأنصار؟ قال: لا. قال: فمن أنتَ؟ قال: من التّابعين بإحسان. فردّ عليه: أن لا حقّ له في بيت مال المسلمين، وأنّ عنده أربعين دينارًا وكسوة، وهو مستعدٌّ أن يقاسمه في ذلك. فردّ جرير أنّه يؤثر أمير المؤمنين على نفسه في ذلك[3].

فهذا الموقف من الخليفة عمر بن عبد العزيز يبيّن دون لبس عدم شرعيّة إعطاء الشّعراء على المديح بدوافع ذاتيّة، من حبّ الشّهرة والصّيت، وما إلى ذلك. فليس ثمّة وجه حقٍّ أن يُعطى شاعر مدّاح متكسّب مثل هذه العطاءات المفرطة، الّتي كان يبذلها كثيرٌ من الممدوحين، فأثرى منها بعض الشّعراء ثراءً كبيرًا، ولا سيّما الّذين اتّصلوا بقصور الخلفاء، فمثلاً: ظلّ البحتريّ أكثر من أربعين عامًا الشّاعر الرّسميّ للخلفاء العبّاسيّين، فأثرى ثراءً فاحشًا، فقد كان يشتري ضياعًا في العراق وكذلك كان له ضياعٌ في بلدته (منبج) وله

(١) المصدر السّابق، ٣١/٢٠ ــ ٣٢. والقصيدة كاملةً، ص ٢٥ ــ ٢٧.
(٢) المصدر السّابق، ٢٦/٢٠.
(٣) المصدر السّابق، ٥٢/٨. بتصرّف.

جوارٍ وغلمان، والمصدر الوحيد لثرائه مديح الخلفاء العبّاسيّين ووزرائهم وحاشيتهم[1].

إنّ إعطاء الممدوحين المال للشّعراء على نحو ما تقدّم، أخطر محاذير المديح غير المقبول، لأنه مخالفة شرعيّة؛ ببذل المال لغير مستحقّيه، فهو من الإسراف والتّبذير، وذلك منهي عنه في الشّريعة الإسلاميّة، قال الله تعالى: " وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿١٤١﴾"[2]. وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا ﴿٢٧﴾ ﴾[3]. وكذلك ورد في السّنّة النّهي عن الإسراف والتّبذير في إنفاق المال، في أي سبيلٍ كان، فضلاً عن أن يكون ذلك في سبل غير مشروعة، ومن ذلك قول النّبيّ ﷺ: "إنّ الله كره لكم ثلاثًا؛ قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السّؤال"[4]. ويؤدّي هذا المحذور إلى الانحراف بشعر المديح عن دوره ومقاصده الشّرعيّة، كما هو في التّصوّر الإسلاميّ.

وتقع مسؤوليّة ذلك على الممدوحين عامّة، وعلى الخلفاء خاصّةً، بصفتهم ولاة أمور الأمّة، فيتوجّب عليهم منع المخالفات الشّرعيّة في هذا الشّأن، لا أن يكونوا في مقدّمة المتسببين في وقوعها.

ب. حمل الشّعراء على المبالغة والكذب:

ويأتي هذا المحذور نتيجةً للمحذور السّابق (إعطاء الشّعراء على المديح) دون وجه حقّ. فالممدوحون إنّما بذلوا المال للشّعراء، ليلبّوا رغباتهم في المديح، ولا سيّما الخلفاء، فلا يزالون يطلبون من الشّعراء مزيدًا من المديح، ويحملونهم على المبالغة، في وصفهم بالصّفات والخلال الحميدة من القيم الإسلاميّة، بحيث يرسمون للخليفة صورةً مثاليّة، لا تليق إلاّ بالخليفة المسلم التّقيّ الورع العادل في حكمه وحسن سياسته في الأمّة ورعاية شؤونها، وما إلى ذلك من الصّفات المعنويّة الّتي ينبغي أن يتحلّى بها الخليفة، فأغروا الشّعراء ليصفوهم

---

(١) الفنّ ومذاهبه في الشّعر العربيّ، د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ط٩، القاهرة، ١٩٧٦م ص ١٨٩ – ١٩٠. بتصرّف.

(٢) سورة الأنعام، الآية (١١٤). وسورة الأعراف، الآية (٣١).

(٣) سورة الإسراء، الآيتان (٢٦ – ٢٧).

(٤) رواه البخاريّ (١٤٧٧).

بها، دون أن يهتمّوا بالصّدق في مديح الشّعراء لهم، فأغلبهم كان يرغب أن يُمدح فيُمجّد ويُفخّم، ليظهر بمظاهر من القوّة والعظمة، ولذلك وجّهوا الشّعراء إلى المبالغة في مديحهم، على نحو ما كان من الخليفة الأمويّ عبد الملك بن مروان، حيث مدحه كثيّر بقصيدةٍ، يقول فيها[1]:

"على ابـــنِ أبي العـــاصِ دِلاصٌ حـــصينةٌ أجاد المُـــسدِّي ســـردَها وأذالَهـــا
يـــؤودُ ضـــعيفَ القـــومِ حمـــلُ قتيرهـــا ويستطلعُ القرمُ الأشـــمُّ احتمالهـــا

فيقول له عبد الملك: أفلا قلتَ كما قال الأعشى[2]:

وإذا تجـــيءُ كتيبـــةٌ ملمومـــةٌ خرساءُ يخشى الذائدون نِهالَهـــا[3]
كنتَ المقدّم غـــيرَ لابـــس جُنَّـــةٍ بالسيفِ تضربُ معلمًـــا أبطالَهـــا

((و لم يفضّل قول الأعشى على قولِ كثيّر إلاّ لما فيه من المبالغة. وقد دافع كثيّر عن نفسه بقوله: يا أمير المؤمنين! وصفتُكَ بالحزم، ووصف الأعشى صاحبه بالخرق))[4].

فصارت المبالغة في المديح أمرًا مطلوبًا من الشّاعر، في كلّ مناسبةٍ أو موقف، حينما يقف بين يدي خليفةٍ أو أحدٍ من ذويه ليمدحه، فقد كان يغضب أحدهم ويغتاظ إذا ما قصّر الشّاعر في مديحه، والمقياس أن يمدحه بما لم يُمدح به أحدٌ قبله، أو على الأقل ألاّ يكون ثمّة مديح أحسن منه في أحدٍ من النّاس، وإن كان في أحدٍ من ذويه من الخلفاء أو غيرهم. وكان يغضبهم ويغيظهم جدًّا إذا ما سمعوا مديحًا فحسبوه الغاية، وخاصّةً إذا كان من خصومهم. وممّا يُقال في ذلك أنّ الخليفة العبّاسيّ المهديّ قال ذات يوم للشّاعر مروان بن أبي حفصة: "أين ما تقوله فينا من قولك في أمير المؤمنين المنصور[5]:

لَهُ لحظـــاتٌ عـــن حِفـــافَيْ ســـريرِهِ إذا كرّها فيهـــا عقـــابٌ ونائـــلُ"

---

(١) من قصيدة له، في ديوانه، ص ١٤٥ ــ ١٥٢.
(٢) ظاهرة التّكسّب وأثرها في الشّعر العربيّ ونقده، د. درويش الجنديّ، نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٠م، ص ١٩١.
(٣) رواية عجز البيت في ديوان الأعشى: خرساءُ تُغشي مَنْ يذود نهالَها.
(٤) ظاهرة التّكسّب وأثرها في الشّعر ونقده، ص ١٩١.
(٥) الأغاني، ١١/٧٠.

وكان عنده آدم بن عمر بن عبد العزيز -بأمانٍ منه- فردّ عليه، أنْ لا ابن أبي حفصة، ولا حتّى ابن هرمة يستطيع أن يقول ما قاله الأخطل في بني أميّة:

شُمْسُ العداوةِ حتّى يُستَقادَ لهمْ وأعظمُ الناسِ أحلامـــًا إذا قَـــدِروا

فاستشاط المهديّ غضبًا، وكذّب قول الأخطل، وقال فيه كلامًا فاحشًا، وأهان آدم وشتمه، وعلى حدّ قوله لو لا يُقال إنّه خفر ذمّته لفعل فيه غير ذلك[1].

فالمهديّ لم يرضه مديح مروان بن أبي حفصة، والسّبب أنّ ما قاله ابن أبي حفصة في والده المنصور كان أمدح، فيغضبه أن يُمدح بأقلّ ممّا مُدِح به والده.

وطار صوابه حينما ذُكر على مسامعه وفي مجلسه البيت السّابق للأخطل في مديح بني أميّة. وكذلك شأن بعض الممدوحين من غير أهل الخلافة، يصلون الشّعراء بسخاء، ويرغب الواحد منهم في أن يبلغ الشّاعر الغاية في مدحه، بحيث لا تكون له مدح في غيره أفضل منه.

على هذه الشّاكلة ألجأ بعض الممدوحين الشّعراء إلى المبالغات الممنوعة وغيرها من المخالفات الشّرعيّة، الّتي يُردّ المديح بسببها في منهج الأدب الإسلاميّ.

ويتّضح من ذلك أنّ الجانب الأكبر والأخطر في انحراف المديح قد وقع بأسبابٍ مباشرة من الممدوحين، وخاصّةً من بعض الخلفاء وذويهم ورجالات دولتهم، وولاتهم وكبار قوّادهم. وتتعلّق هذه المحاذير ببعض الخلفاء قبل غيرهم -على نحو ما تقدّم- فقد عادوا بالمديح إلى طقوسه الجاهليّة، بدوافع الغرور والكبر والرّياء وحبّ الغطرسة، بما أحبّوا أن يمدحوا به من الكذب والمبالغات المجاوزة للحدّ، وذلك محذورٌ شرعًا، قال الله تعالى: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ ﴾[2]. والحمد في الآية المدح[3].

فجريرة هذه المحاذير تقع على بعض أولي الأمر، بما أنّهم كانوا القائمين على شؤون

---

(١) انظر: الأغاني، ١١/٧٠ ــ ٧١.

(٢) سورة آل عمران، الآية (١٨٨).

(٣) انظر: الكشّاف، للزّمخشريّ، ١/٣٩٧.

الأمّة، والمسؤولين عن تطبيق أحكام الشّريعة، فكان عليهم أن يأخذوا على أيدي الشّعراء في المخالفات الشّرعيّة، كان ينبغي على الأقل صدّهم.

وفي هذا السّياق، على الرّغم من انتشار المحاذير الّتي تسبّب بها بعضُ الممدوحين، من الخلفاء وغيرهم، فثمّة مواقف تذكر لبعض الخلفاء، ومنها أنّ هارون الرّشيد، ذات يومٍ ((دخل عليه نفرٌ من الشّعراء فيهم رجلٌ من ولد زهير بن أبي سلمى، فأفرط في مديحه حتّى قال فيه: فكأنّهُ بعد الرّســـول رســـولُ

فغضب.. ولم ينتفع به أحدٌ يومئذٍ، وحرم ذلك الشّاعر فلم يعطه شيئًا. وأنشد منصور النّمري قصيدةً مدحه بها، وهجا آل علي وثلبهم، فضجر هارون وقال له: يا بن اللخناء! أتظنّ أنّك تتقرّب إليّ بهجاء قومٍ أبوهم أبي، ونسبهم نسبي، وأصلهم وفرعهم أصلي وفرعي؟! فقال: ما شهدنا إلاّ بما علمنا. فازداد غضبه، وأمر مسرورًا فوجأ[1] في عنقه وأُخرج))[2]. فهذا الموقف من الرّشيد كان حريًّا بالخلفاء وولاة الأمور عامّةً، أن يتّخذوه إزاء ما يقع فيه الشّعراء من محاذير المديح غير المقبول.

(١) وجأ في عنقه: ضربه.
(٢) الأغاني، ١٣/١٦١.

المبحث الثّالث

ما يتعلّق بالمجتمع

للمديح غير الشّرعي ضرر فادح على المجتمع في جوانب كثيرة، وهي تُحدِث فيه شروخًا، لا تليق بمجتمع مسلم ينشد الكمال، ويبحث عنه.

ويرصد هذا المبحث بعض هذا الآثار السّلبيّة من زوايا متعدّدة:

١. في الجانب الماليّ:

وتتمثّل هذه الآثار بتبديد الثّروات الماليّة بما أجراه الممدوحون من الأموال على الشّعراء، وخاصّةً ما كان يبذله بعض الخلفاء ومن إليهم للشّعراء من بيت مال المسلمين، أو ممّا حازوه لأنفسهم بحكم تسلّمهم السّلطة، وتصرّفهم بشؤون المجتمع، وكان حقّ تلك الأموال أن تنفق في مصارفها المشروعة على مستحقّيها من أفراد المجتمع وفئاته ، طبقًا لأحكام الشّريعة الإسلاميّة.

لقد كانت ظاهرة إعطاء الشّعراء المدّاحين من أبرز ظواهر التّوزيع غير العادل لثروة المجتمع الماليّة وتبديدها، وذلك مؤشّر واضح إلى مخالفة أحكام الشّريعة في العدل، والمساواة، والأمانة، في التّصرّف بالأموال من قِبل الممدوحين[1]، وخاصّةً بعض الحكّام، من الخلفاء والولاة ومن إليهم، فهم المسؤولون عن ثروة المجتمع وشؤونه الماليّة، فليس ثمّة وجه حقٍّ أن يتصرّفوا بثروات المجتمع لتلبية رغباتهم الشخصيّة في أن يمدحهم الشّعراء ويثنوا عليهم، بما يرونه مفخرة لهم. ولا يسلم من الوقوع في هذا المحذور -بعد عصر صدر الإسلام- إلاّ القليل، وعلى رأس هذا القليل بلا منازع عبد الله بن عمر بن الخطاب الّذي منع ولاته من إعطاء الشّعراء، والخليفة العادل عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- فقد منع إعطاء الشّعراء على مديحهم له من بيت مال المسلمين، لأنّه أمرٌ غير مشروع، وقد أكّد ذلك في أكثر من مناسبة، وخاصةً للشّعراء، فقد كان يواجههم بقوله: "ما أرى للشّعراء

---

(١) انظر: التّطوّر والتّجديد في الشّعر الأمويّ، د. شوق ضيف، دار المعارف، ط٨، القاهرة، ص ١٢١.

في بيت المال حقًّا"[1] وعلى هذه القاعدة كان موقفه مع الشّعراء. وفيما عدا مدة خلافته -بعد عصر صدر الإسلام- صار شعر المديح سلعةً تُباع وتُشرى بالمال، بين الشّعراء والممدوحين، فليس ثمّة مديح بلا ثمن من عطاء الممدوحين، وقد بلغ حدّ الإسراف والإفراط، في كثيرٍ من الأحيان، على نحو ما تقدّم ذكره في المبحث السّابق، حتّى إنّه روي أن بعض الشّعراء أعطي في قصيدة واحدة عشرة آلاف دينار[2]. وذلك على حساب ثروات المجتمع ومقدّراته، بتبديدها في سبل غير مشروعة، فكان لذلك آثارٌ سلبيّة، لم تقتصر على الجانب الماليّ، بل امتدّت إلى جوانب أخرى، وفي مقدّمتها أنّ ظاهرة تبديد الثّروة بإعطاء الشّعراء قد كرّست ظاهرة التّكسّب بالشّعر عند كثيرٍ من الشّعراء، فترتّب عليها آثارٌ سلبيّة، على أفراد المجتمع، وعلى الشّعراء المتكسّبين أنفسهم، وذلك بسبب سلبيّة سلوكهم وسلوك الممدوحين معًا.

٢. في الجانب الإداريّ:

وذلك في ظلّ ظاهرة التّكسّب، فالشّعراء المدّاحون لم تنته غاياتهم عند حدود كسب المال وجمع الثّروة، بل كانوا يطمحون إلى الحظوة عند الممدوحين، والتّقرّب إليهم، وخاصةً الخلفاء والوزراء والولاة، وعامّة كبار رجال الدّولة، وذلك لنيل مكانة، أو مهمة، أو وظيفة، وممّا يُذكر في هذا الشّأن: "أنّ هارون الرّشيد قام بإسناد وظائف هامّة لبعض الشّعراء، ومنهم: نصيب الأصغر الّذي ولي بعض كور الشّام، ودعبل الخزاعيّ الّذي استعمله الرّشيد مرّةً عاملاً على أسواق مصر، وفي خلافة المعتصم كان أبو تمام مسؤولاً عن بريد الموصل، كما ولّى المعتصم عليّ بن الجهم ديوان المظالم بحلوان"[3]. وبذلك نجد أن مفهوم التّكسّب بالشّعر لا يقتصر على كسب المال من عطاءات الممدوحين، بل هو عند بعض الشّعراء تحقيق أهداف أبعد من جمع المال. والآثار السلبيّة لذلك أنّ مثل هؤلاء

---

(١) الأغاني، ٢٨٤/١١. قال ذلك لأعشى بني تغلب، ولجرير، كما ذكر في المبحث السّابق، ولغيرهما.

(٢) انظر: الموشّح، للمرزبانيّ، ص ١٨٨.

(٣) الشّعر والتّكسّب دراسة اقتصاديّة، د. ياسر عبد الكريم الحورانيّ، دار مجدلاوي، ط١، عمّان، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص ٧١.

الشّعراء اتّخذوا المديح لدى الخلفاء وكبار رجال الدولة سبيلاً إلى أن يتولّوا مثل تلك المهمّات والمناصب الوظيفيّة الكبيرة، فليس مضمونًا في هذه الحال أنّ مثل هؤلاء الشّعراء كانوا دائماً جديرين بتلك الوظائف الّتي أُسندت إليهم، نظرًا إلى سعيهم، والسّبيل الّتي سلكوها للوصول إلى تلك المناصب الوظيفيّة، إذ هي ناتجة عن طبيعة العلاقة بين الشّعراء وممدوحيهم من الخلفاء وكبار رجال الدولة، فعلى أساس هذه العلاقة أسندت إليهم تلك الوظائف، وليس على أساس استيفاء الشّروط اللازمة، من الكفاءة وحسن السيرة. ففي هذه الحال يتوقّع أن تكون هناك آثارٌ سلبيّة على مصالح المجتمع؛ لإهمال أو إغفال استيفاء الشّروط اللازمة في الّذين يُسند إليهم مصالح أو وظائف مهمة.

٣. في الجانب الاجتماعيّ:

وأخطر ذلك تغليب القيم الماديّة والمصالح الشخصيّة على القيم الإسلاميّة الفاضلة، والمصالح الجماعيّة المجتمعيّة[١]. وذلك بطبيعة العلاقة بين الشّعراء والممدوحين، من حيث وظّفوا شعر المديح لمصالحهم ومآربهم الشّخصيّة، فالشّعراء شغلهم جمع المال والثّراء، ونيل الحظوة والمكانة الرّفيعة، والممدوحون أهمّهم أن يُمدحوا بدافع حبّ الصّيت، والرّياء، والكبر، والمظاهر الكاذبة الخادعة، وبذلك فساد للعلاقات الاجتماعيّة، بين الشّعراء المدّاحين وممدوحيهم، من مختلف فئات المجتمع، ولا شكّ أنّ لذلك آثارًا سلبيّة في المجتمع، فهؤلاء جميعًا من أكثر فئات النّاس تأثيرًا في المجتمع، نظرًا لدور الشّعر المؤثّر، ولمكانة الممدوحين، من ولاة أمورٍ، أو أعلامٍ، أو أعيان، أو غيرهم من علية القوم.

ويتّصل بتغليب القيم الماديّة على القيم الإسلاميّة إشاعة روح النّفاق، والرّياء، والكبر في المجتمع، إذ صار المديح بحدّ ذاته غايةً مرغوبًا فيها لدى الأغنياء، فراحوا يبذلون المال بسخاء للشّعراء، حيث وجدوا في المديح سبيلاً للظهور، وإذاعة الصّيت، أو رفعة الشّأن في المجتمع، ومن ثمّ أخذ الشّعراء يصدرون في المديح عن رغبات هؤلاء الممدوحين، فرسموا لهم صورًا نبيلةً مبالغًا فيها كثيرًا، وقد لا يكون لأحدهم حظٌّ من ملامحها في حقيقة

(١) انظر: التّأثير النّفسيّ للإسلام في الشّعر ودوره في عهد النّبوّة، د. عبد الرّحيم محمود زلط، ص ٥٨.

أمره، وإنّما ذلك نفاق لبّس فيه الشّعراء على المجتمع. فالأثر السّلبيّ لذلك هو تضليل المجتمع فيما يتوهّمه في هؤلاء الممدوحين، إذ يترتّب على ذلك أن يترلهم المجتمع منازل عالية رفيعة، لا يستحقّونها، وليسوا أهلاً لها، وذلك ممّا يؤثر سلبًا في الحياة الاجتماعيّة.

٤. في الجانب السّياسيّ:

وذلك بسبب تضليل المجتمع أيضًا عن حقيقة الحكّام، فقد مدحهم الشّعراء بالقيم الإسلاميّة، وروّجوا لهم كثيرًا، على نحو ما كان في موضوع استحقاق الخلافة، فوصفوا الخليفة الممدوح بكلّ ما يؤهلّه للخلافة، حتى ادّعوا أنّ الله تعالى اختاره لها. وقد لا يكون له حظ ممّا يمدحه الشّعراء به من الخلال الحميدة، بل قد يكون على النّقيض من ذلك، فيكون مديح الشّعراء له تضليلاً للمجتمع[١]، وذلك أنّ الشّعراء بمدحهم الكاذب قد خدموا حكّامًا ظالمين، وروّجوا لساسة غير عادلين أو فاسقين، وثمّة وجهة نظر في ذلك، كما عند الدّكتور شوقي ضيف حيث يقول: "كأنّما يريدون أن يرفعوا أمام عينيه الشّعارات الّتي تطلبها الأمّة في خليفتها وراعيها، لعلّه يثوب إلى طريق الرّشاد"[٢]. ولكنّ الأمر خلاف ذلك في الواقع التّاريخيّ والأدبيّ، فبعض شعراء المديح قلّما كان من شأنهم أن يستهدفوا استقامة الخلفاء والحكّام عامّةً، بل كان أكثر ما دأبوا عليه التّرويج والدّعاية لهم، فكان ذلك تأييدًا ومؤازرةً لهم، فقلّما دعا شاعر أو أشار إلى ما ينبغي إصلاحه في مجال أو شأنٍ من شؤون المجتمع، في مثل ما كان من جرير في مدحة له في الخليفة عمر بن عبد العزيز، حيث يقول[٣]:

أأذكر الجهدَ والبلوى الّتي نزلــتْ أمْ قدْ كفاني الذي بُلِّغْتَ مِنْ خــبري

ويقول:

---

(١) انظر: فنّ المديح، د. أحمد أبو حاقة، ص ٢٨٦. وانظر: صورة المجتمع في مرآة الشّعر، د. أشرف على دعدور، ص ٩٤. (مجلّة: كليّة الآداب، مج ٥٨، ع١، ١٩٩٨م، جامعة القاهرة).

(٢) تاريخ الأدب العربيّ، العصر العبّاسيّ الأوّل، د. شوقي ضيف، دار المعارف، ط٨، القاهرة، ص ١٦١.

(٣) ديوان جرير، ص ١٩٢.

لا ينفعُ الحاضــرُ المجهــودُ باديَــهُ ولا يعودُ لنــا بــادٍ علــى حَــضَرِ
كم بالمواسم مِــنْ شــعثاء أرملــةٍ ومِنْ يتيمٍ ضعيفِ الــصوت والنظــرِ
يدعوكَ دعوة ملــهوفٍ كــأنّ بــهِ خبلاً مِنَ الجنّ أو خبلاً مِــنَ النــشَرِ
ممّنْ يعــدُّكَ تكفــي فَقْــدَ والــدهِ كالفرخِ في العشِّ لم يدرجْ ولم يَطِــرِ

فقلّما كان مثل هذا الموقف من شاعر، فأكثر ما اهتمّ الشّعراء بكسب المال ونيل الحظوة، فأكثرهم كانوا أجنادًا لبعض الحكّام، ومثلهم شعراء الفرق، والأحزاب، والفئات الّتي وقعت مع الحكّام في صراعٍ على السّلطة، فكذلك كانوا يصوّرون زعماء جماعاتهم ورؤساءهم بالقيم، والخلال الفاضلة، ترويجًا ودعايةً لدعواتهم. وبذلك كان المديح السّياسيّ -في أغلبه- تضليلاً وإيهامًا للمجتمع، فنتج عن ذلك آثارٌ سلبيّة، في الحياة السّياسيّة، كان شعر المديح السّياسيّ من أبرز أسبابها وعواملها.

وهذا التّضليل الّذي مارسه كثير أو قليل من الشّعراء، كان انحطاطًا بشعر المديح تمثّل بتبخيس القيم الإسلاميّة إذ كذبوا، فمدحوا بها مَنْ لا يستحقّ، هذا من جهة، ومن جهة ثانية قاموا بتضخيم وتعظيم الأعمال الصّغيرة البسيطة، المنسوبة إلى ممدوحيهم، وجعلوا القيام بالواجب فضيلة، علمًا أنّ مقتضى المديح أن تُنجز أعمالٌ كبرى عظيمة، كالأحداث التّاريخيّة المهمّة في حياة المجتمع[1]. وأن يُقصد بها الفضيلة لصالح المجتمع، استجابةً لداعي الواجب، وبدافع إيمانيّ، وليس لشيءٍ آخر من انتظار المدح والثّناء أو طلبهما من أحد، كما كان شأن عظماء الإسلام ((فقد كانوا أشدّ الناس زهدًا في الثّناء، والتّعظيم، والإطراء))[2].

(١) ظاهرة المديح في المجتمعات المتخلّفة، د. وهبة الزحيلي، ص ٤٦ (مجلّة: الوعي الإسلامي، ع ٨٠، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م). بتصرّف.
(٢) المصدر السّابق، ص ٤٦.

الفصل الرّابع

النّماذج المنقودة من شعر المديح

- المبحث الأوّل : المقبول.
- المبحث الثّاني : المردود.

المبحث الأوّل

المديح المقبول

المديح المقبول، في منهج الأدب الإسلاميّ، هو المديح الّذي تنطبق عليه المعايير الّتي ذكرناها في الفصل الأوّل، وهي: المديح بالقيم الإسلاميّة، وعدم التّكسّب بالمديح، وعدم المبالغة في المديح، ومدح من يستحقّ (الصّدق)، وعدم القطع بالمديح، وبذلك يكون المديح أداة من أدوات الدّعوة الإسلاميّة ووسائلها في نشر فضائل الأعمال، ومحاسن الأخلاق.

وفيما يلي نماذج (تطبيقيّة) من المديح المقبول، الّتي أُثني عليها لانطباق المعايير عليها، ممّا ورد قبوله في السّنّة، أو في المأثور عن الصّحابة ﷺ، أو عند الخلفاء والعلماء والنّقّاد القدماء، وغيرهم من الولاة والقوّاد، وغيرهم.

١. في مقدّمة أغراض المديح المقبول وضروبه حمد الله تعالى، والثّناء عليه، وتوحيده، كقول لبيد[(١)]:

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهُ باطلُ وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائلُ

فقد روي ((.. عن أبي هريرة، ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: "أصدق كلمةٍ قالها الشّاعر كلمة لبيد:

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهُ باطلُ))[(٢)]

فهذا القول للبيد حكمة أثنى فيها على الله تعالى، وقد نال استحسان الرّسول ﷺ، فأثنى عليه، إذ وصفه بأنّه أصدق كلمةٍ تصدر من شاعر، فهو قول يعبّر عن معنى الإيمان المطلق بالله تعالى، وأنّ كلّ شيءٍ أو أمرٍ من شؤون الحياة والإنسان باطل وزائل، ما لم يكن

---

(١) ديوان لبيد بن ربيعة، دار المعرفة، ط١، بيروت، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ص ٨٥.

(٢) رواه البخاريّ (٣٨٤١)، ورواه مسلم (٥٨٨٩) وفي رواية (٥٨٨٨) بلفظ (أشعر كلمةٍ تكلّمت بها العرب). ورواه التّرمذي (٢٨٤٩).

على أساس الإيمان بالله تعالى، اعتقادًا وعملاً.

٢. وممّا كان في حمد الله تعالى، والثّناء عليه ما ورد في رواية: ((.. عن سلمة بن الأكوع، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر، فسرنا ليلاً، فقال رجلٌ من القوم لعامر بن الأكوع: ألا تسمعنا من هنيهاتكَ؟ قال: وكان عامر رجلاً شاعرًا، فترل يحدو بالقوم ويقول:

اللـــهمّ لـــو لا أنـــتَ مـــا اهتـــديْنَا ... ولا تـــــــــصدّقْنا ولا صـــــــــلّيْنَا

فـــاغفر فـــداءً لـــك مـــا اقتفيْنـــا ... وثبّــــــت الأقـــــدامَ إنْ لاقيْنَـــا

وألْقِـــــيَنْ ســـــكينةً عليْنـــا ... إنّــــا إذا صِـــــيحَ بنـــــا أتَيْنَـــا

وبالصّيـــــــــــاح عوّلـــوا علَيْنَا

فقال رسول الله ﷺ: "من هذا السّائق؟" قالوا: عامر بن الأكوع، فقال: "يرحمه الله" فقال رجلٌ من القوم: وجبت يا رسول الله، لو لا أمتعْتَنا به، ..))[١].

لقد ابتدأ الشّاعر أبياته بالثّناء على الله سبحانه وتعالى، اعترافًا بفضله على المؤمنين، أنْ منّ عليهم بالهداية، بتصديق الرّسول ﷺ واتّباع هديه، وجعل ذلك مقدّمةً لموضوعه، وهو التّضرّع إلى الله تعالى أن يمنّ عليهم بالنّصر، وذلك من آداب الدّعاء.

٣- ومن نماذج المديح المقبول في مدح النّبيّ ﷺ؛ أبيات لعبد الله بن رواحة، وردت في رواية حديث: ((عن ابن شهاب أنّ الهيثم بن سنان أخبره، أنّه سمع أبا هريرة في قصصه يذكر النّبيّ ﷺ يقول: "إنّ أخًا لكم لا يقول الرّفث"[٢]. يعني ابن رواحة، قال:

وفينـــا رســـول الله يتلـــو كتابَـــهُ ... إذا انشقّ معروفٌ مـــن الفجـــرِ ســـاطعُ

أرانا الهدى بعـــد العمـــى فقلوبنـــا ... بِـــه موقِنـــاتٌ أنّ مـــا قـــال واقِـــعُ

يبيتُ يجـــافي جنبـــه عـــن فراشِـــهِ ... إذا استثقلتْ بالكـــافرين المـــضاجعُ))[٣].

(١) من حديث رواه البخاريّ في صحيحه (٦١٤٨). ورواه برقم (٤١٩٥). وردت هذه الأبيات في رواية برقم (٤١٠٤) و (٤١٠٦) باختلاف في بعض التّعابير، على أنّها لعبد الله بن رواحة، وأنّ النّبيّ ﷺ كان يردّدها يوم الخندق وهو ينقل التّراب مع صحابته، وهي في ديوان عبد الله ابن رواحة، تحقيق: د. وليد قصاب.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب هجاء المشركين، رقم ٥٨٠٢.

(٣) رواه البخاريّ في صحيحه (٦١٥١) و (١١٥٥).

هذه الأبيات لابن رواحة يمدح فيها النّبيّ ﷺ، وقد أثنى النّبيّ ﷺ، على قائلها لما اتّصف به شعره من قول الحقّ والصّدق، والبعد عن الرّفث، وهو الفحش والفسق في القول. وهذه الأبيات نموذج من شعره، في مديح النّبيّ ﷺ، يذكر فضله على المؤمنين بالهداية إلى دين الله، إلى جانب ذكر كثرة عبادته ﷺ.

٤. روي عن حزيم بن أوس أنّه قال: ((سمعت العبّاس بن عبد المطلب يقول: يا رسول الله إنّي أريد أن امتدحك، فقال رسول الله ﷺ: "قل لا يفضض الله فاك"(١). قال: فقال العبّاس:

مِنْ قبلها طبْــتَ في الظِّــلالِ وفي ... مستودعٍ حيثُ يُخْصَفُ الــوَرَقُ
ثُمَّ هبطـــتَ الــبلادَ لا بَــشَرٌ ... أنـــتَ ولا مـــضغةٌ ولا عَلَـــقُ
بل نطفةٌ تركبُ الــسّفينَ وقــدْ ... ألجــمَ نــسرًا وأهلَــهُ الغــرقُ
تُنْقَلُ مِــنْ صــالبٍ إلى رَحِــمٍ ... إذا مــضى عــالَمٌ بــدا طَبَــقُ
حتّى احتوى بيتُكَ المهيمنُ مِــنْ ... خِنْدفَ عليــاءَ تحتَهــا النّطــقُ
وأنتَ لمّا وُلِدْتَ أشــرقتِ الـــ ... أرضُ وضــاءَتْ بنــورِكَ الأُفُــقُ
فـــنحنُ في ذلـــكَ الــضِّياءِ وفي ... النّورِ وسبلِ الرَّشادِ نختــرقُ))(٢)

وهذه الأبيات من المديح المقبول، ممّا سمعه النّبيّ ﷺ، فاستحسنه فأثنى على قائليه.

٥. ومن المديح المقبول في مديح النّبيّ ﷺ، ومديح صحابته قصيدة كعب بن زهير (بانت سعاد) يوم قدم إلى رسول الله ، معلنًا إسلامه، ومنها قوله(٣):

إنّ الرسول لنورٌ يُستــضاءُ بــهِ ... مهنّدٌ من سيوف اللهِ مــسلولُ
في عصبةٍ من قريشٍ قال قائلُهم ... ببطنِ مكّةَ لمّا أســلموا زولــوا

ومضى إلى آخر القصيدة يمدح المهاجرين.

وروي أنّه لما بلغ كعب في إنشاده إلى هذا القول "أشار رسول الله ﷺ بكمّه إلى

(١) حديث منكر، الموسوعة الشاملة في تخريج أحاديث الإحياء، ج٢، ص٢٣٠.
(٢) رواه الحاكم في المستدرك، ٣/٣٢٦ ــ ٣٢٧.
(٣) السّيرة النّبويّة، لابن هشام، ٢/٥١٢ ــ ٥١٣.

الخلق ليأتوا فيسمعوا منه"[١]. وروي أنّ رسول الله ﷺ خلع بردته على كعب[٢].

وروى ابن هشام في السّيرة النّبويّة أبياتًا لكعب بن زهير يمدح فيها الأنصار، يقول في مطلعها[٣]:

مَنْ سرَّهُ كرمُ الحياة فــلا يــزلْ في مِقْنَبٍ من صالحي الأنــصارِ

ويقول فيها[٤]:

دَرِبُوا كما دربتْ بــبطنِ خَفِيَّــةٍ غُلْبُ الرقابِ من الأسودِ ضَوَاري

وإذا حَلَلْــتَ لِيَمْنعــوكَ إلــيهم أصبحتَ عند معاقــل الأَعْفــارِ

ثم قال ابن هشام: ((ويُقال إنّ رسول الله ﷺ قال له حين أنشده (بانت سعاد فقلبي اليوم متبول) لو لا ذكرتَ الأنصار بخير، فإنّهم لذلك أهل!. فقال كعبٌ هذه الأبيات، وهي في قصيدةٍ له))[٥].

فذلك من المديح المقبول، إذ كان استجابةً لطلب النّبيّ ﷺ وفي مديح قومٍ يستحقّون المديح، وهم الأنصار رضي الله عنهم.

٦. وممّا استحسن من شعر المديح قول كعب بن زهير في مديح رسول الله ﷺ، قال ابن رشيق: ((أجمع النّاس على تقديم قول كعب بن زهير يمدح رسول الله ﷺ:

تحملُهُ النّاقةُ الأدمــاءُ مُعْتَجِــرًا بالبُرْدِ كالبدرِ جلَّــى ليلــةَ الظُّلَــمِ

وفي عطافَيْهِ أو أثنــاءَ رَيْطتِــهِ ما يعلمُ اللهُ من دينٍ ومن كَــرَمِ))[٦]

وذكر ابن رشيق ذلك في باب المديح، كما ذكر ابن كثير في البداية والنّهاية أنّ السّهيليّ قال: ((وممّا أجاد فيه كعب بن زهير؛ قوله يمدح رسول الله ﷺ))[٧]. وذكر

---

(١) السّنن الكبرى، للبيهقيّ، ٢٤٤/١٠. وانظر أيضًا، البداية والنّهاية، لابن كثير، ٣٣٢/٤.
(٢) انظر: الإصابة، لابن حجر العسقلانيّ، ٥٩٤/٥. والكامل في التّاريخ، لابن الأثير، دار صادر، بيروت، ٢٧٦/٢. والبداية والنّهاية، لابن كثير، ٣٣٢/٤.
(٣) السّيرة النّبويّة، لابن هشام، ٥١٤/٢.
(٤) المصدر السّابق، ٥١٤/٢ ــ ٥١٥.
(٥) المصدر السّابق، ٥١٥/٢.
(٦) العمدة، لابن رشيق، ٨٠٨/٢ ــ ٨٠٩. وينسبان لعبد الله بن رواحة، وهما في ديوانه.
(٧) البداية والنّهاية، لابن كثير، ٣٣٣/٤.

هذين البيتين لكعب.

وإذا كان الشاعر في البيت الأوّل شبّه الرسول ﷺ بالبدر، فإنّه لم يقصد الجانب المادي في هذه الصّورة، وإنّما قصد المعنى المجرّد، وهو معنى الإيمان والهداية إلى دين الله عزّ وجلّ، فبذلك جلاء الشّرك والكفر والجهل، وذلك يُعبّر عنه مجازًا بالظُّلَم أو الظّلام. فهذا أسلوبٌ في تجسيد المعاني المجرّدة، والصّفات المعنويّة الحميدة.

٧. أثنى عمر بن الخطاب رضي الله عنه على قول لبيد في حمد الله، والثناء عليه، وتوحيده، والدّعوة إلى ابتغاء مرضاته بالتّقوى. وهو قوله[١]:

إنّ تقــوى ربِّنــا خــيرُ نَفَــلْ وبــإذنِ اللهِ رَيْثــي وَعَجَــلْ
أحمــدُ اللهَ فــلا نِــدَّ لَــهُ بيديْهِ الخَــيرُ مــا شــاءَ فَعَــلْ
مَنْ هداهُ سُبُلَ الخــيرِ اهتــدى ناعِمَ البالِ ومَنْ شــاءَ أضَــل

وقد ((روى ابن شهاب أنّ عمر كان معجبًا بقصيدة لبيد هذه وأمر بروايتها))[٢].

٨. ومن المديح المقبول مديح الشّعراء للخلفاء الرّاشدين والصّحابة، سواء بما صدر منهم من قول أو فعل، أو أنّهم لم يرفضوه، ففي كلتا الحالين دليل على قبوله، وكذلك مديح صلحاء الأمّة من الخلفاء وغيرهم، ومن ذلك ما أنشده نصيب بن رياح بين يديّ عمر بن عبد العزيز، فقد روي: ((استأذن نصيب بن رباح على عمر بن عبد العزيز فلم يأذن له، فقال: أعلموا أمير المؤمنين أنّي قلتُ شعرًا أوّله الحمدُ لله. فأعلموه، فأذن له، فأُدخل عليه وهو يقول:

الحمدُ لله، أمّا بعــدُ يــا عمــرُ فقد أَتَتْنَا بكَ الحاجاتُ والقــدرُ
فأنتَ رأسُ قريشٍ وابنُ ســيّدها والرّأسُ منه يكونُ السّمع والبصرُ

فأمر له بحلية سيفه))[٣]. أي إنّه قبل منه هذه المدحة. وهي ليست من المديح الشّخصيّ الخالص الذي ينشغل فيه الشّعراء عادة بشخصيّة الممدوح، كما أنّها ليست من

(١) ديوان لبيد بن ربيعة، ص ٩٠.
(٢) كنز العمال، علاء الدين الهندي، ٨٥٣/٣.
(٣) العقد الفريد، لابن عبد ربّه، ١٢٤/٦.

التّكسّب، بل الشّاعر نصيب في هذا الموقف جاء طالب حاجة، بسبب سوء حاله، وقد عرف كيف يعرض حاجته، فابتدأ بحمد الله، لمعرفته أنّ عمر بن عبد العزيز إنّما يقبل من الشّعر ما كان حقًّا، وبذلك جعله يُقبل على قوله. وبعد حمد الله عرض نصيب حاجته وسبب مجيئه (الحاجة)، ووصل ذلك بمدحه بنسبه القرشيّ، بصفة قريش في موقع السّيادة، وولاية أمر الأمّة، وعمر رأسها، بصفته الخليفة، فهو المسؤول، ولذلك خاطبه نصيب من موقف المطالب بحقّ، بصفته فردًا من الرّعيّة يعرض حاجته أمام وليّ الأمر، وليس متكسّبًا. فبذلك كانت هذه المدحة مقبولةً عند عمر بن عبد العزيز، فقد استحسنها، وصدّق نصيبًا فيما قال، فدفع إليه ممّا يملك (حلية سيفه).

٩. ومن ذلك ما أُثر عن الخليفة العباسيّ هارون الرّشيد أنّه اجتمع الشّعراء يومًا ببابه، فأمر الحاجب أن يخبرهم ((من اقتدر أن يمدحنا بالدّين والدّنيا بألفاظٍ قليلةٍ فَلْيدخل))[1]. فبادر ابن أبي السّعلاء، فمثل بين يديه لينشده قصيدةً أعدّها في مديحه، فأبى الرّشيد إلاّ أن ينشده أبياتًا، كان قالها في مديحه من قبل. يقول فيها ابن أبي السّعلاء[2]:

أَغَيْثًـــــا تحمــــــلُ الناقـــــةُ ... أمْ تحمـــــــــــلُ هارونـــــــــــا
أمِ الــــــــشّمسَ أمِ البـــــــدرَ ... أمِ الـــــــــــدّنيا أمِ الـــــــــدّينا
ألا، لا، بـــــل أرى كالـــــذي ... عُــــــــــــوِّدْتُ مقرونـــــــــــا
علـــــى مفـــــرقِ هارونــــا ... فـــــــــــداه الآدميّونــــــــــا

لبّى ابن أبي السّعلاء رغبة الرّشيد في مديحه بصفاتٍ من الفضائل بما لها من قيمٍ دينيّة، من الإيمان، والتّقى، والعدل، وحسن السياسة. وقد عمد إلى أسلوب التّصوير، فشبّهه بالغيث، وبالشّمس، وبالبدر على سبيل المجاز، وهو يريد تلك الصّفات الخلقيّة الدينيّة

---

(١) طبقات الشّعراء، لابن المعتزّ، شرح: د. صلاح الدّين الهوّاري، دار الهلال، ط١، بيروت، ٢٠٠٢م، ص ١٣٧.

(٢) المصدر السّابق، ص ١٣٧ ــ ١٣٨.

الّتي وصفه بها.

وممّا تقدّم فإنّ المديح المقبول في النّقد القديم، هو المديح الّذي تنطبق عليه المعايير الشّرعيّة، الّتي توقّفنا عندها، ولذلك استحسنه النّبيّ ﷺ، والصّحابة، والخلفاء، وغيرهم من النّقّاد.

١٠- وفيما يلي دراسة نموذجين من المديح المقبول ، من الشّعر القديم، والشّعر الحديث المعاصر:

أ- من الشّعر القديم :

قصيدة أبي تمّام (موقعة عموريّة) في مديح المعتصم .

أنشأ أبو تمام قصيدته البائيّة بمناسبة موقعة عموريّة ، في العصر العباسي ، في عهد الخليفة (المعتصم) ، حيث غزا بلاد الرّوم البيزنطيّين، ردّاً على اعتدائهم على (زبطرة) أحد الثّغور الإسلاميّة على الحدود مع بلاد الرّوم ، فاستردّها منهم. وفتح عموريّة في موقعة عظيمة[١]، وكان شاعر البلاط العبّاسيّ أبو تمّام ، فسجّل للمعتصم هذه المأثرة في بائيّته الرّائعة استهلّها يقول [٢]:

السّيفُ أصدق أنباءً من الكتب ... في حدّه الحدُّ بين الجدِّ واللعبِ

بيضُ الصّفائح لاسودُ الصّحائف في ... متونهنّ جلاءُ الشّكّ والرّيبِ

والعلمُ في شهب الأرماح لامعةً ... بين الخميسين لا في السّبعة الشّهب

أوّل ما ابتدأ أبو تمّام القصيدة بتفضيل السّيف على الكتب، وهو يرمز به هنا إلى الصّفات الخلقيّة في المعتصم ، من القوّة، والشّجاعة، والحزم في إنفاذ الأمور المتعلّقة في شأن الأمّة. وقصد أبو تمّام بالكتب كتب المنجّمين، حيث أشاروا على المعتصم بألاّ يغزو، إذ كان الوقت شتاءً، فبزعمهم أنّ بلاد الرّوم ومنها عمّوريّة ، لا تفتح إلا وقت نضج التّين والعنب، أي في الصّيف. و لكنّ المعتصم لم يستمع إلى ما جاؤوا به من زيف و بهتان ، فخالفهم وغزا بلاد الرّوم، وفتح عموريّة ، وهكذا قد جمع أبو تمّام في مطلع القصيدة بين

---

(١) انظر : الكامل في التّاريخ، عزّ الدّين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمّد بن محمّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشّيباني، المعروف بـــ (ابن الاثير) ، دار صادر ، بيروت، ٦/ ٤٨٠ .

(٢) ديوان أبي تمّام ، ١/ ٣٢ .

مدح المعتصم بالخلال الحميدة، والتّعريض بالمنجّمين.

وامتدح أبو تمّام في ثنايا القصيدة بطولة المقاتلين المسلمين، وشجاعتهم ، وأثنى عليهم بالنّصر الّذي حقّقوه على الرّوم، و وصل ذلك بمديحه للمعتصم ، حيث قال :

لقد تركتَ أميرَ المؤمنين بهـــا للنّار يوماً ذليلَ الصّخرِ والخـــشبِ
غادرتَ فيها بهيمَ الليل وهـــو يشلُّه وسطَها صبح، مـــن اللـــهبِ

وهذا النّصر إنّما تحقّق – بتوفيق الله تعالى – بفضل جهود قوات المسلمين، وبسالتهم في الحرب، وهنا يقف أبو تمّام عند أمرٍ مهّمٍ في سياق مديح المعتصم، ألا وهو أنّ جيش المسلمين، مع ما توافر فيه من أسباب القوّة الماديّة، من التّعداد والعتاد، ما كان له أن يحقّق هذا النّصر لولا قيادة المعتصم الحكيمة والشّجاعة، وحسن تدبيره، ذلك حيث يقول أبو تمّام :

تدبيرُ معتـــصمٍ بـــالله منـــتقمٍ لله مرتقـــبٍ في الله مرتغـــب
لم يغزُ قوماً، ولم ينهد إلى بلدٍ إلاّ تقدّمه جيش من الرّعـــبِ
لو لم يقد جحفلاً يوم الـــوغى من نفسه وحدها في جحفـــلٍ

ومعنى ذلك أنّ القوّات المحاربة مهما عظمت إمكاناتها الماديّة، فإنّها دائماً بحاجة إلى قائد كفء يحسن قيادتها، كي تستطيع أداء واجبها الجهاديّ.

والجانب المهمّ في هذا المديح، أنّ هذه الفضائل في صفات المعتصم وأفعاله كانت على أساس الإيمان بالله تعالى ، في القيام بواجبه، في رعاية شؤون الأمّة، من الغيرة على حرماتها، ورفع راية الجهاد للذّود عن حياضها ، والمحافظة على كيانها، وقوّة شوكتها أمام أعدائها. وذلك بصفته وليّ الأمر (خليفة). ثم عاد أبو تمام يمدحه في نهاية القصيدة بهذه الفضيلة، وأنّه لم يألُ جهداً، بل هو وجد راحته في الجهاد في سبيل الله، ذلك حيث يخاطبه أبو تمّام ، يقول :

خليفةَ اللهّ! جازى الله سعيكَ عـــن جرثومة الدّين والإسلام والحـــسبِ
بَصُرْتَ بالرّاحة الكبرى فلـــم ترهـــا تُنالُ إلاّ على جـــسرٍ مـــن التّعـــبِ

وموقعة عمّوريّة إحدى المواقع العظيمة المهمّة في تاريخ المسلمين، بل إنّ أبا تمام نسبها إلى معركة بدرٍ الكبرى في عهد النّبيّ ﷺ ، حيث قال :

إن كان بين صروفِ الدّهر من رحمٍ موصـــولةٍ أو ذمـــامٍ غـــير منقـــضبِ
فبين أيامـــك الّـــتي نُـــصِرْتَ بهـــا وبـــين أيـــام بـــدرٍ أقـــربُ النّـــسبِ

وبذلك بلغ أبو تمّام الغاية في مديح المعتصم ، بفضائل الصّفات والأفعال ، مما يدعو إليه منهج الأدب الإسلاميّ في شعر المديح.

ب– من الشّعر الحديث :

قصيدة أحمد شوقي (صدى الحرب) في مديح السّلطان عبد الحميد.

في سنة ١٣١٤هـ – ١٨٩٦م قامت الحرب بين دولة الخلافة العثمانيّة في عهد السّلطان عبد الحميد واليونان ، وكان النّصر في تلك الحرب للجيش الإسلاميّ ضدّ اليونان[١] . فأنشأ أحمد شوقي قصيدته (صدى الحرب)[٢] بهذه المناسبة ، مدح فيها السّلطان عبد الحميد بصفته خليفة المسلمين ووصف مشاهد الحرب، ومجّد بطولات الجند المسلمين، وأثنى عليهم ببسالتهم. وهذه القصيدة مطولة ، من روائع شعر شوقي استهلّها يخاطب السّلطان عبد الحميد، يقول:

بسيفِكَ يعلو الحقُّ والحـــقُّ أغلـــبُ ويُنـــصرُ ديـــنُ الله أيـــانَ تـــضربُ
وما السّيف إلا آية المُلْكِ في الورى ولا الأمـــرُ إلا للـــذي يتغلَّـــبُ

يمدح السّلطان عبد الحميد ويثني عليه بحربه ضدّ اليونان، والانتصار عليهم، فذلك دفاع عن بلاد المسلمين ، ونصرة لدين الله –عزّ وجلّ–. وقد اتّخذ شوقي السّيف رمزاً للقوّة والجهاد في سبيل الله.

وفي البيت الثّاني جعله (آية الملك) في دنيا البشر، من حيث هو دائماً سيّد الموقف، بما يرمز إليه من القوّة والاقتدار على ردع الطّغاة المعتدين، فكما يقول :

إذا ما صَدَعْتَ الحادثاتِ بحـــدِّهِ تكشّف داجي الخطب، وانجاب غيهبُ

(١) انظر : شعر الجهاد في العصر الحديث (مصر ١٣٠٠ – ١٤٠٠هـ) ، د. نبيل بن عبد الرّحمن المحيش، الإحساء ، ط١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م ، ص ٩٧ – ١٦٧ .
(٢) الشّوقيات، أحمد شوقي، دار الكتاب العربيّ ، ط١١، بيروت ، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م ١٢/ ٤٢ – ٥٨ .

وهاب العدا فيه خلافتَكَ الّتي لهم مأرب فيها ولله مأربُ

وكذلك مدحه بقيامه بحقّ الخلافة ، فقد حفظ لها هيبتها وحقّق الأمن للمسلمين – ذلك حيث يقول :

نهضتَ بعرشٍ ينهضُ الدّهرُ خشوعاً، وتخشاه الليالي وترهبُ

ويقول :

وشدت مناراً للخلافة في الورى تشرّقُ فيهم شمسُه ، وتغرّبُ
سَهِرْتَ، ونامَ المسلمون بغبطةٍ وما يزعجُ النوّامَ والسّاهر الأبُ؟

ومن أبرز الصّفات الخلقيّة الّتي مدح بها السلطان عبد الحميد الحلم، وقوّة العزيمة، والحزم، كقوله :

حسامُكَ من سقراط في الخطبِ وعودُكَ من عود المنابر أصلبُ
أخطبُ وعزمك من (هومير) وأجلى بياناً في القلوب، وأعذبُ

ولهذه الصّفات الخلقيّة الحميدة معادلها الفعليّ في سيرة السّلطان عبد الحميد، فهو من أكبر الفاتحين في التّاريخ، من أمثال الاسكندر الأكبر، يقول شوقي :

وإن يذكروا (إسكندراً) وفتوحه فعهدك بالفتح المحجّل أقربُ

وبعد هذه الإشارة إلى فتوحات السلطان عبد الحميد، يثني عليه بتظهّره، أي غلبته على مبغضيه وأعدائه عموماً، يقول :

ظهرت أمير المؤمنين على العدا ظهوراً يسوء الحاسدين ويتعبُ
سَلِ العصر والأيّام والنّاس: هل نبا لرأيك فيهم، أو لسيفِكَ مضربُ

وعلى هذا النّحو كان مديح شوقي للسّلطان عبد الحميد، بجملة من الصّفات والأفعال الفاضلة، ممّا ينبغي أن يتّصف به الخليفة أو ولي الأمر عموماً، وفي التّصوّر الإسلاميّ، ومن ثمّ يصلح به أمر النّاس، وكذلك كان السّلطان عبد الحميد، كما يقول شوقي :

كذا النّاس، بالأخلاقِ يبقى صلاحُهم ويذهبُ عنهم أمرُهم حين تذهبُ

وكذلك يكون المديح مقبولاً، في منهج الأدب الإسلاميّ، حينما يقوم على الصّدق، من واقع حال الممدوح.

المبحث الثّاني

المديــــح المــــــــــــردود

المديح المردود، في ضوء منهج الأدب الإسلاميّ، هو ما خرج فيه الشّعراء المادحون على الضّوابط والمعايير الإسلاميّة الشرعيّة، الّتي تحدّثنا عنها فيما سبق، فوقعوا في المخالفات الشّرعيّة، من الكذب، والتّزييف، وقول الزّور، وألوانٍ من المبالغات، والغلوّ، بما انطوت عليه من الآثام والذّنوب. ولم يقع في شعر المديح شيءٌ من ذلك في عصر صدر الإسلام، إلاّ القليل النّادر، وخاصّةً في عهد النّبيّ ﷺ، فقد كان بين ظهراني المسلمين يعلّمهم دينهم، فيهديهم سبل الرّشاد والسّداد. وفيما يخصّ المديح كان من هديه ﷺ تبيين مخاطر المديح ومحاذيره، وما يجوز منه وما لا يجوز، فقد حذّر ونهى عن الإطراء، والمبالغة الممنوعة، والغلوّ، ممّا لا يُقبل معه المديح، فيُردّ.

وفيما يلي نماذج من المديح المردود:

١. لقد نُظر إلى الكذب في المديح على أنّه في حقيقته مديح مَنْ لا يستحقّ؛ ومن ذلك ما روي أنّ أبا بكر رضي الله عنه أنشد قول لبيد في رثاء أخيه أربد[1]:

لعمري لَئنْ كان المُخـــبرِّ صـــادقًا ... لقد رُزِئتْ في حادثِ الدهرِ جَعْفَرُ
أخٌ لي، أمّا كـــلَّ شـــيءٍ ســـألْتهُ ... فَيُعطي، وأمّا كلُّ ذَنْـــبٍ فَيَغْفِـــرُ

فقال رضي الله عنه: ((ذلك رسول اللهِ، لا أربد بن قيس))[2].

لقد رأى أبو بكر رضي الله عنه أنّ ما قاله لبيد في أخيه أربد؛ لا يستحقّه إلاّ رسول الله ﷺ، فلذلك ردّه. ولا يعني ذلك أنّ لبيدًا تقصّد الكذب، وإنّما بدافع من أثر فقد أخيه، وعاطفة الأخوّة توسَّع في مديحه، فوقع في المبالغة المجاوزة لحدود صفات الممدوح.

٢. ومن هذا القبيل ما روي عن ابن عبّاس، قال: ((قال لي عمر بن الخطّاب: أنشدني قول زهير، فأنشدته قوله في هرم بن سنان بن حارثة، حيث يقول:

---

(١) الأغاني، ٦٨/١٧. والبيتان مع بيت ثالث في ديوان لبيد، ص ٤٧.

(٢) الأغاني، ٦٩/١٧.

قومٌ أبــوهم سِــنَانٌ حــين تنــسُبهم طابوا وطابَ مِنَ الأفــلاذِ مــا وَلَــدُوا
لو كان يقعدُ فوق الشّمس مِنْ كــرمٍ قــومٌ بــأوَّلهم أو مجــدهم قَعَــدُوا
جــنٌّ إذا فزعــوا، إنــسٌ إذا أمنــوا مُــرَزّءونَ بهــا ليــلٌ إذا احتــشدوا
مُحَسّدون على ما كــان مِــنْ نِعَــمٍ لا يــترعُ اللهُ منــهم مالَــهُ حُــسِدوا

فقال عمر: ما كان أحبَّ إليَّ لو كان هذا الشّعر في أهل بيت رسول الله ﷺ))[1].

ويعلّق ابن عبد ربّه على ذلك فيقول: ((انظر إلى ضنانة عمر بالشّعر، كيف لم ير أحدًا يستحقُّ هذا المديح إلاّ أهل بيتِ محمّدٍ عليه الصّلاة والسّلام))[2].

وكذلك لا يُقال إنّ زهيرًا كذب في مدحه هرم بن سنان، وإنّما كان معجبًا به فتوسّع في مدحه، فبالغ، وكان ذلك مقبولاً في عصره، قبل الإسلام، وكان عمر رضي الله عنه يرى أنّ زهيرًا يصدق في مديحه، وأنّه أشعر الشّعراء، وأمّا في الإسلام فإنّنا نجد ذلك غير مقبول، من منظور نقدي وفق معيار (مدح مَنْ يستحقّ). فعمر رضي الله عنه رأى أنّ زهيرًا مدح هرم بن سنان بما لا يستحقّه سوى أهل بيت رسول الله ﷺ.

٣. وروي أنّ عمر أيضًا أُنشد قول زهير في مدح هرم بن سنان[3]:

دَعْ ذا وعــــدِّ القــــولَ في هَــــرِمٍ خــيرِ الكهــول وســيّد الحَــضْرِ
لــو كنــتَ مِــنْ شــيءٍ ســوى بَــشَرٍ كنــتَ المنــوِّرَ ليلــةَ البــدرِ
ولأنــتَ أوصــلُ مَــنْ سمعــتُ بــهِ لــشوابكِ الأرحــام والــصّهْرِ
ولــنعمَ حــشوُ الــدرعِ أنــتَ إذا دُعِيَــتْ نــزالِ وُلجَّ في الــذُّعْرِ
وأراكَ تفري مــا خَلَقْــتَ وبعــ ــضُ القومِ يخلُــقُ ثمّ لا يَفْــري[4]
أثــني عليــكَ بمــا علمــتُ ومــا أســلفتَ في النجّــداتِ مِــنْ ذِكْــرِ
والــسّترُ دون الفاحــشاتِ ولا يلقــاكَ دونَ الخــيرِ مِــنْ ســترِ

((فقال عمر: ذلك رسول الله ﷺ))[5]. فهذه الأبيات لزهير في مدح هرم بن سنان

(١) العقد الفريد، لابن عبد ربّه، تحقيق: محمد سعيد العريان، ١٢٣/٦ ــ ١٢٤.
(٢) المصدر السّابق، ١٢٤/٦.
(٣) الأغاني، ٣٥٣/١٠ ــ ٣٥٤.
(٤) تفري، من الفري: القطع. وخَلَقَ يَخْلُقُ. قدّر وهيَّأ الأديم للقطع والخرز.
(٥) الأغاني، ٣٥٤/١٠.

سنان وقد رأى فيها عمر مبالغة، ورأى أنها تضمّنت مديحًا لا يستحقه إلاّ رسول الله ﷺ.

وروي أنّ عمر كان: ((كثيرًا ما ينشد قول زهير:

لو كنتَ من شيءٍ سوى بشرٍ ... كنتَ المنوِّرَ ليلةَ البدرِ

فيقول: "كذلك كان النبي ﷺ"))[1].

٤. وروي: ((.. عن هشام بن عروة، قال: سمع عمر بن الخطّاب رضي الله عنه رجلاً ينشد:

متى تأته تعشو إلى ضوءِ نارهِ ... تجدْ خيرَ نارٍ عندها خيرُ موقِدِ

فقال عمر: ذاك رسول الله ﷺ))[2].

وفي راوية ثانية أن عمر قال: ((تلك نار موسى عليه السّلام))[3]. وعقّب ابن الأثير الحلبيّ، قال: ((فهذا القول من الحطيئة إفراط))[4].

وفي روايةٍ ثالثة أنّ عمر رضي الله عنه، لّما سمع بيت الحطيئة قال: ((كذب، بل تلك نارُ موسى نبيّ الله ﷺ))[5].

((وسواء أكان المصروف إليه في هذا المدح محمّدًا ﷺ أم موسى الّذي زكّاه الله بقوله: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨ ﴾[6]. فإنّهما والأنبياء -عليهم الصّلاة والسّلام- اختارهم الله نموذجًا للكمال، وشرّفهم بأكمل الأوصاف، وجعلهم أئمّة الدّنيا والدّين، فهم خيرة الخلق وصفوة البشر))[7]. فكما يقول الجاحظ: ((ما كان ينبغي أن يُمدح بهذا البيت إلاّ مَنْ هو خير أهل الأرض))[8]. فلذلك كذّب عمر قول الحطيئة وردّه. فهو نموذج من المديح المبالغ فيه الموضوع في غير موضعه.

وفي روايةٍ رابعة أنّ عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- أُسمع هذا البيت (فقال:

---

(١) شرح شواهد المغني، جلال الدين السّيوطي، لجنة التّراث العربيّ، ٧٥٣/٢.
(٢) البيان والتّبيين، للجاحظ، ٢٩/٢.
(٣) جوهر الكنز، لابن الأثير الحلبيّ، ص ٣٤٩.
(٤) المصدر السّابق، ص ٣٤٩.
(٥) الأغاني، ١٩٣/٢.
(٦) سورة النّمل، الآية (٨).
(٧) نحو منهج إسلاميّ في رواية الشّعر ونقده، د. مصطفى العليّان، دار البشير، ط١، ١٤١٢هـ، ص ٦٩.
(٨) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجانيّ، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة/ دار المدني، جدّة، ط٣، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ص ٢٥١.

"ذلك رسول الله ﷺ". فلم ير أحدًا يستحقّ هذا المدح غير رسول الله ﷺ)[1].

وقد احتكم كثير من الخلفاء والنّقّاد إلى الضّوابط الشّرعيّة للمديح، فنقدوا بعض النّماذج الشّعريّة الّتي خرجت على هذه الضّوابط.

٥. ومن المبالغة الممنوعة، الّتي وصل أصحابها إلى حدّ الشّطط والشّرك، قول أبي نواس في مدح الأمين[2]:

تنازع الأحمدان الــشّبه فاشــتبها خَلْقًا وخُلْقًا كما قُدَّ الــشراكانِ
اثنان لا فصل للمعقــول بينــهما معناهما واحــدٌ والعــدّة اثنــانِ

فلا شك أنّ هذا من أفسق وأقبح القول في المديح. وممّا جاء في نقده، قول المرزبانيّ: ((قال أبو نواس شيئًا من الشّعر في الأمين اتُّهم فيه، لأنّه قال قولاً عظيمًا، لا يتكلّم بمثله مسلم))[3].

ولقد ذهب أبو نواس إلى أبعد من ذلك في مبالغاته الشّركيّة، في وصفه بعض ممدوحيه بصفة الخالق -سبحانه وتعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا-. ذلك حيث قال أبو نواس[4]:

تكــلُّ عــن إدراكِ تحــصيلهِ عيــونُ أوهــامِ الــضماييرِ
تنتسبُ الألــسنُ مِــنْ وصــفهِ إلى مــدى عجــزٍ وَتقــصيرِ

وبيّن المرزباني أيضًا في نقد هذا القول أنّه ((من الإغراق المستحيل على العقول))[5]. وذكر أنّ مسلم بن الوليد كان ينقد أبا نواس ((لأنّه محيل، يصف المخلوقين بصفة الخالق))[6].

٦. ومن المبالغات المسرفة في المديح المردود؛ قول علي بن جبلة في مديح أبي دلف[7]:

---

(١) العقد الفريد، ابن عبد ربّه، ١٢٤/٦.
(٢) الموشح، للمرزبانيّ، ص ٤١٦.
(٣) المصدر السّابق، ص ٤١٦.
(٤) المصدر السّابق، ص ٤١٦.
(٥) المصدر السّابق، ص ٤١٦.
(٦) المصدر السّابق، ص ٤١٦.
(٧) الأغاني، ٢٧/٢٠.

كـــلُّ مَـــنْ في الأرضِ مِـــنْ عَـــرَبٍ بـــــينَ باديـــــهِ إلى حَـــــضرِهْ
مـــــستعيرٌ منـــــكَ مكرمـــــةً يكتـــــسبها يـــــوم مفتخـــــرِهْ

وروي أنّ المأمون قتله بسبب هذين البيتين[1]. وروي أنّه قتله لما وقع من الكفر في مدحة أخرى له في أبي دلف، حيث يقول[2]:

أنتَ الذي تترلُ الأيّـــامَ مترلهـــا وتنقلُ الدهرَ من حالٍ إلى حـــالِ
وما مددتَ مدى طرفٍ إلى أحدٍ إلاّ قـــضيتَ بـــأرزاقٍ وَآجـــالِ

ومهما يكن فإنّ هذا القول كما قال ابن قتيبة: ((ممّا أسرف فيه فكفر، أو قارب الكفر))[3].

٧. ومن ذلك أيضًا مدح علي بن جبلة لحميد الطّوسي، حيث يقول[4]:

بطاعـــةِ الله طلـــتَ النـــاسَ كلَّهـــم ونـــصح هـــادٍ أمـــين الله مـــأمونِ
حميـــد يـــا قاســـم الـــدّنيا بنائلـــهِ وسيفهُ بين أهـــل النّكـــثِ والـــدّينِ
أنت الزمانُ الّـــذي يجـــري تـــصرّفه علـــى الأنـــامِ بتـــشديدٍ وَتلـــيينِ
لو لم تكنْ كانت الأيامُ قـــد فنيـــتْ والمكرماتُ وماتَ المجـــدُ مُـــذْ حـــينِ

قال ابن المعتزّ: ((وتكلّم النّاس في هذه الأبيات، واستجهلوه، لأنّه جعل للمخلوقِ قدرة الخالق. إلاّ أنّه قد ابتدأ فقال: بطاعة الله فعلت، فكأنّه أراد أنّك بلغت بالله -عزّ وجلّ- ما بلغت، وهذا صحيح))[5]. ولكنّ ذلك لا يدفع عنه جريرة ما وقع من الشّرك فيما بعد البيت الأوّل، فقد وصف ممدوحه بصفات ليست للبشر، من مفاهيم التّصرّف والفناء، والمعروف أنّه من الشّيعة الخراسانيّة، من بغداد[6].

٨. ومن المديح المردود بسبب المبالغة والغلوّ قول المتنبي في أحد ممدوحيه[7]:

---

(١) المصدر السّابق، ٢٠/٤٩.
(٢) الشّعر والشّعراء، ٢/٨٦٦.
(٣) المصدر السّابق، ٢/٨٦٦.
(٤) طبقات الشّعراء، لابن المعتزّ، ص ١٦٨. ورويت هذه الأبيات ما عدا البيت الأول في الأغاني، ٢٠/٣٧.
(٥) طبقات ابن المعتزّ، ص ١٦٨.
(٦) انظر: الأغاني، ٢٠/٢٠.
(٧) ديوان المتنبيّ، ٢/٣٣٠.

يا أيّها الملكُ المصفّى جوهرًا مِنْ ذاتِ ذي الملكوتِ أسمى مَنْ سَمَا
نورٌ تظاهر فيكَ لاهوتيُّهُ فتكادُ تعلمُ علمَ ما لَنْ يُعْلَمَا

قال ابن وكيع: ((هذا مدحٌ متجاوز، وفيه قلّة ورع، وترك للتّحفّظ، لأنّه مِنْ ذاتِ الباري، وذكر أنّه قد حلّ فيه نورٌ لاهوتي))[1].

وأوغل المتنبّي في غلوّه بعد هذين البيتين أكثر، فقال[2]:

ويهمُّ فيكَ إذا نطقتَ فصاحةً مِنْ كلّ عضوٍ منكَ أنْ يتكلَّمَا
أنا مبصرٌ وأظنُّ أنّي نائمٌ مَنْ كان يحلمُ بالإلهِ فأحلمَا

وممّن نقده في ذلك الواحديّ، قال: ((وهذه مبالغة مذمومة، وإفراط، وتجاوز حدٍّ، ثمّ هو غلط في إنكار رؤية الله تعالى في النّوم))[3].

٩. ومن ذلك أيضًا قول المتنبي في مدح بدر بن عمار[4]:

طلبنا رضاهُ بتركِ الّذي رضينا، فتركْنا السجودا

قال ابن سيده الأندلسيّ في نقده: ((فقد مدح بدرًا هنا بشيئين: أحدهما: جلالة القدر حتى رُئي أهلاً للسّجود له، والآخر: تورّع بدرٍ عن هذا الذي رضيه المتنبّي. قبحًا لكلامه ونهرًا، في هذا الموقع وأشباهه لنظامه))[5].

١٠. ومن ذلك مديح ابن هانئ الأندلسيّ للخليفة الفاطميّ، المعزّ لدين الله. حيث يقول[6]:

ما شئْتَ لا ما شاءت الأقدارُ فاحكمْ فأنتَ الواحد القهّارُ
وكأنّما أنتَ النّبيّ محمّدٌ وكأنّما أنصارُك الأنصارُ
أنتَ الّذي كانتْ تبشّرنا بهِ في كتبها الأحبارُ والأخبارُ

(١) المنصف في نقد الشّعر وبيان سرقات المتنبّي ومشكل شعره، لابن وكيع، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار ابن قتيبة، د. ط، دمشق، ١٤٠٢هـ، ص ١٢٨.
(٢) ديوان المتنبّي، ٢/٣٣٠ ــ ٣٣١.
(٣) المصدر السّابق، ٢/٣٣١. الحاشية، شرح البيت (١٦).
(٤) ديوان المتنبّي، ١/٣٠٢.
(٥) شرح مشكل شعر المتنبّي، لابن سيده الأندلسيّ: تحقيق: د. محمد رضوان الدّاية، دار المأمون للتّراث، دمشق، ص ١٠٠.
(٦) ديوان ابن هانئ الأندلسيّ، ص ٣٦٥.

فلا شكّ أنّ ذلك كما قال ابن كثير: ((خطأ كبير وكفر من أكبر الكفر))[1].

١١. وحين نزل المعزّ برقّادة قرب القيروان، قال ابن هانئ يمدحه[2]:

حـــلَّ برقّـــادة المـــسيحُ حـــلّ بهـــا آدم ونـــوحُ
حـــلَّ بهـــا اللهُ ذو المعـــالي وكـــلُّ شـــيءٍ ســـواه ريـــحُ

فبسبب هذه المبالغات الشّركيّة، كما يقول ابن كثير ((كفّره غير واحد من العلماء))[3].

وممّن نقده أبو العلاء المعرّي في رسالة الغفران، حيث قال: ((وكان لهم رجل بالمغرب يُعرف بابن هانئ، وكان من شعرائهم المجيدين، فكان يغلو في مدح المعزّ غلوًّا عظيمًا، حتى قال يخاطب صاحب المظلّة:

أمديرها من حيث دارَ لشدَّ ما زاحمت تحت ركابهِ جبريلا))[4]

وذكر بيتيه السّابقين في المعزّ يوم نزل برقّادة.

وقال أبو العلاء: ((وحضر شاعرٌ يعرف "بابن القاضي" بين يدي ابن أبي عامر، صاحب الأندلس، فأنشده:

ما شئت لا ما شاءت الأقـــدار فاحكم فأنت الواحد القهّـــارُ

ويقول فيها أشياء، فأنكر عليه ابن أبي عامر، وأمر بجلده ونفيه))[5].

١٢. ومن المبالغات الفاحشة مدح أحد الشّعراء إيلغازي صاحب ماردين، فيما ذكره ابن كثير في حوادث سنة (٥١٣هـ)؛ أنّ الفرنج احتلّوا حلب، فهاجمهم صاحب ماردين إيلغازي بن أرتق، فهزمهم، فقال أحد الشّعراء يمدحه: يقول ابن كثير ((وقد بالغ مبالغةً فاحشة))[6]:

---

(١) البداية والنّهاية، لابن كثير، ٢٦٣/١١.
(٢) ديوان ابن هانئ الأندلسيّ، ص ٨١٧.
(٣) البداية والنّهاية، لابن كثير، ٢٦٣/١١.
(٤) رسالة الغفران، لأبي العلاء المعرّي ومعها نصّ محقّق من رسالة ابن القارح، تحقيق: د. عائشة عبد الرّحمن (بنت الشاطئ)، ط٧، ١٩٧٧م، ص ٤٦١ ــ ٤٦٢.
(٥) المصدر السّابق، ص ٤٦٢.
(٦) البداية والنّهاية، لابن كثير، ١٨٦/١٢.

قُلْ ما تـــشاءُ فقولُـــكَ المقبـــولُ وعليكَ بعـــد الخـــالق التعويـــلُ
واستبشر القرآن حـــينَ نـــصرتَهُ وبكى لفقـــدِ رجالِـــهِ الإنجيـــلُ

فهذه كما قال ابن كثير (مبالغة فاحشة) وتنمّ عن جهل هذا الشّاعر، وإثمها -بلا شكٍّ- يقع عليه، فإذا كان الممدوحون يرغبون في المبالغة في مديح الشّعراء إيّاهم، فليس ثَمّة ما يدعو الشّعراء إلى مثل هذه المبالغات المحذورة.

١٣. ومن الإفراط في تعظيم شأن الممدوح قول أبي نواس في مدحةٍ له في الرّشيد[١]:

وأخفتَ أهل الشّرك حتّى إنّـــهُ لتخافكَ النّطفُ الّتي لم تُخْلَـــقِ

وقد نقده الشّاعر العتّابي، فقد روي: ((أنّ العتّابي لقي أبا نواس، فقال له: أما استحييت الله حيث تقول، وأنشده البيت[٢]، فقال له: وأنت أما راقبت الله حيث قلتَ:

مازلتُ في غمراتِ الموتِ مُطَّرِحاً يضيقُ عنّي وسيعُ الرأي مـــن حِيَلـــي
فلم تزلْ دائبًا تسعى بلطفِـــكَ لي حتّى اختلَسْتَ حيـــاتي مِـــنْ يَـــدَيْ

قال له العتّابي: قد علم اللهُ، وعلمتَ أنّ هذا ليس مثل قولك، ولكنك قد أعددت لكلِّ ناصحٍ جوابًا))[٣].

وهذا الخبر ممّا يدلّ أنّ هؤلاء الشّعراء قد وقعوا في المخالفات الشّرعيّة، وما ينتج عنها من محاذير المديح المردود عن قصد، فهم أول من يعرف أنّها كذب وباطل. وإنّما غلّبوا مطامعهم وأهواءهم على مقاصد الصّدق والحق.

١٤. ومن الكذب في المديح الّذي أُنكر، قول الشّاعر مفضّلاً ممدوحه على جميع النّاس أو العالمين، كمديح أحد الشّعراء لمروان بن الحكم وابنه عبد الملك، حيث قال[٤]:

فلا أبَ وابنًا مثل مروان وابنه إذا هو بالمجد ارتدى أو تـــأزّرا

---

(١) المثل السّائر، لابن الأثير، تحقيق: محمد محيي الدّين عبد الحميد، المكتبة العصريّة، صيدا- بيروت، ١٤١١هـــ-١٩٩٠م. ٢/٣١٤ ــ ٣١٥.
(٢) يقصد بيت أبي نواس السّابق: وأخفت أهل الشّرك... البيت.
(٣) المثل السّائر، لابن الأثير، ٢/٣١٥.
(٤) خزانة الأدب، عبد القادر بن عمر البغداديّ، تحقيق: عبد السّلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي، ط٤، القاهرة، ١٤١٨هـــ- ١٩٩٧م. ٤/٦٧.

يقول صاحب خزانة الأدب في نقده: ((لقد كذب الشّاعر في هذا المدح، فإنّ النّبيّ ﷺ قال في حقّ مروان "الوزغ بن الوزغ"))[1].

١٥. وممّا رُدّ من المديح لأنّه لم يكن بالقيم الخيّرة النّبيلة؛ مديح أيمن بن خزيم لبشر بن مروان، يقول[2]:

يا ابن الـــذّوائب والـــذُّرا والأرؤُسِ والفرع من مضر العفرنى الأَنْفَسِ[3]
يا ابن المكارمِ من قـــريشٍ ذا العـــلا وابن الخلائفِ وابن كـــلِّ قَلَمَّـــسِ
من فـــرعِ آدم كـــابرًا عـــن كـــابرٍ حتّى انتهيت إلى أبيـــكَ العنبـــسي
مـــــروان إنّ قناتـــــه خطيَّـــــةٌ غُرِسَتْ أرومتـــها أعـــزَّ المغـــرَسِ
وبَنيْـــتَ عنـــد مقـــامِ ربِّـــكَ قبَّـــةً خضراءَ كُلِّـــلَ تاجُهـــا بالفـــسفسِ
فسماؤها ذهـــبٌ وأســـفلُ أرضـــها وَرِقٌ تـــلألأ في البـــهيمِ الحنـــدسِ

يقول قدامة بن جعفر: ((فما في هذه الأبيات شيءٌ يتعلّق بالمدح الحقيقي، وذلك أنّ كثيرًا من النّاس لا يكونون كآبائهم في الفضل، فلم يصف هذا الشّاعر غير الآباء، ولم يصف الممدوح بفضيلةٍ في نفسه أصلاً. وذكر بعد ذلك بناءَه قبّةً، ثم وصف القبّة أنّها من الذّهب، والفضّة. وهذا أيضًا ليس من المدح، لأنّ في الملك والثّروة مع الصّنعة والفهم ما يمكن معه بناء القباب الحسنة، واتّخاذ كلّ آلةٍ فائقة، ولكن ليس ذلك مدحًا يُعتدّ به، ولا جاريًا على حقّه))[4].

فهذا المديح مردود فليس فيه ما يُعتدّ به أنّه من الفضائل، ممّا يُفتخر به، لا بناء القبّة، ولا فضائل آباء وأجداد الممدوح، وعلى رأي مسكويه فهؤلاء قد مضوا في زمانهم، مستبدّون بفضائلهم دون هذا الممدوح، فيُسأل بلسان الحال: فما الّذي عنده من فضائلهم؟![5].

---

(١) المصدر السّابق، ٤/٦٩ والوزغ: دويبة، وقيل : سوامٌّ، أبرص. لسان العرب (وزغ).
(٢) نقد الشّعر، قدامة بن جعفر، ص ١٨٥.
(٣) العفرنى: الأسد. لسان العرب (عفر).
(٤) نقد الشّعر، لقدامة بن جعفر، ص ١٨٥.
(٥) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، أبو علي أحمد بن محمّد بن يعقوب الرّازي المعروف بـــ "مسكويه"، تحقيق: د. نوّاف الجرّاح، دار الفكر، بيروت، ص ١٢٤ ـــ ١٢٥، بتصرّف.

١٦. ومن المديح المردود، ما كان في شعر بعض الشّعراء الأندلسيّين الّذين مدحوا ملوك الطّوائف في الوقت الّذي كانوا يؤدّون فيه الجزية، والإتاوات للروم، وهم صاغرون، كقول حسّان بن المصّيصي يمدح المعتمد[١]:

وَلَمْ تطوِ دونَ المسلمين ذخيرةً ... تهينُ كرامَ المُنْفِساتِ لتكرما
تَحَيَّلُ في فكّ الأسارى وإنّما ... تعاقد كفّارًا لتطلقَ مُسْلِما
وما كنتَ مِمَّنْ شحَّ بالمالِ والقنا ... فتكتر دينارًا وتركز لهذما
فترسله للصُّفرِ أصفرَ عسجدًا ... وإنْ خالفوا أرسلتَ أبيض مخْذما

وقول أبي بكر الدّاني في مدح المعتمد أيضًا[٢]:

في نصرةِ الدِّينِ لا أُعْدِمْتَ نصرتَهُ ... تلقى النّصارى بما تلقى فَتَنْخَدِعُ
تنيلُهم نعمًا في طيِّها نِقَمٌ ... سيستضرُّ بها مَنْ كان ينتفعُ
وقلّ ما تسلم الأجسامُ مِنْ عَرَضٍ ... إذا توالى عليها الرّيُّ والشّبَعُ
لا يخبطُ النّاسُ عشوا عند مشكلةٍ ... فأنتَ أدرى بما تأتي وما تَدَعُ

ويعقِّبُ ابن بسّام على هذا المديح المزيّف فيقول: "وهذا مدح غرور، وشاهد زور، وملقُ معتفٍ سائل، وخديعة طالبٍ نائل، وهيهات!! بل حلّت الفاقرة بعدُ بجماعتهم"[٣]. ويذكر سقوط المدن والحواضر الأندلسيّة واحدةً تلو الأخرى. ومع ذلك ظلّ الشّعراء يمدحون هؤلاء الملوك وهم في أسوأ حالٍ من التفرّق، والذلّ، والانكسار، فما كان مديحهم إلاّ خداعًا وتضليلاً[٤]. وذلك من أسوأ مضارّ المديح السّياسيّ الكاذب في المجتمع.

ومن هذا يتبيّن أنّ منهج الأدب الإسلاميّ يستمدّ مقاييس نقد الشّعر وتقويمه من الشّريعة الإسلاميّة، سواء في نقد المديح المقبول أو المردود. وتتمركز هذه المقاييس على

---

(١) الذّخيرة، لابن بسّام، تحقيق: د. إحسان عبّاس، دار الثّقافة، ط٣، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. ٢٤٨/٣.
(٢) المصدر السّابق، ٢٤٩/٣.
(٣) المصدر السّابق، ٢٤٩/٣.
(٤) انظر: المصدر السّابق، ٢٤٩/٣ ــ ٢٥٠.

(الصّدق) في المديح وعنه تتفرّع بقيّة المعايير، فهذه هي القضيّة الأساس، أصدق الشّاعر في مديحه للممدوح، أم كذب؟.

١٧- وفيما يلي دراسة نموذجين من المديح المردود، من الشّعر القديم، والشّعر الحديث المعاصر:

أ- من الشّعر القديم :

أبيات لمنصور النّمريّ في مديح الخليفة العبّاسيّ هارون الرّشيد.

من مديح منصور النّمري للخليفة الرّشيد أبيات يقول فيها [(١)]:

إنَّ المكـــارمَ والمعـــروفَ أودبـــةُ ... أحلَّـــكَ اللهُ منـــها حيـــث تجتمـــعُ

إن رفعـــتَ امـــرءاً فـــاللّهُ رافعُـــهُ ... ومن وضعْتَ من الأقــوام مُتّــضعُ

من لم يكـــن بـــأمين الله معتـــصماً ... فليس بالـــصّلواتِ الخمـــسِ ينتفـــعُ

إن أخلفَ الغيثُ لم تخلــفْ أناملُـــهُ ... أو ضـــاقَ أمـــرُ ذكرنـــاه فيتّـــسعُ

ابتدأ يمدح الرّشيد بالمكارم وصنع المعروف، وأن ذلك من طبيعة صفاته الخلقيّة، وهذا مديح مقبول في حق الرّشيد. إلا أنّ الشّاعر لم يقف عند هذا الحد، بل جاوزه إلى أنّ الخليفة الرّشيد كان محلّ العناية الإلهيّة، وكأنّ الله –تعالى- قد جعل مصائر العباد وأقدارهم بيده، كما قد عبّر عن ذلك في البيتين الثّاني والثّالث، فمن رفعه الرّشيد فالله يرفعه، ومن وضعه الرّشيد فالله يضعه، ومعنى ذلك أنّ إرادة الرّشيد من الإرادة الإلهيّة. وأسرف منصور النّمري أكثر في البيت الثّالث، إذ نحل الرّشيد صفة (أمين الله) وهذه الصّفة ليست لغير رسول اللهﷺ . وزاد في الإسراف حيث وصف الرّشيد بأنه مُعْتَصم – بالمعنى الدينيّ – فمن لم يعتصم به فلا تنفعه عبادته لربّه (فليس بالصّلوات الخمس ينتفع) فمعنى ذلك أنّ رضى الرّشيد من رضى الله –سبحانه وتعالى- عن ذلك علوّاً كبيرًا.

وهكذا قد أسرف منصور النّمريّ في المبالغة، والغلوّ في مديحه للرّشيد، حتّ كاد يؤلّهه. ومن نافلة القول أنّ مثل هذا المديح مردود ومرفوض في منهج الأدب الإسلاميّ.

---

(١) العمدة، لابن رشيق، ٨١٢/٢ – ٨١٣، وكذلك رويت هذه الأبيات في : زهر الآداب، ٦٤٨/٢. والأغاني، ١٣/ ١٦٥. مع بعض الاختلاف في الرّواية وترتيب الأبيات.

ب- من الشّعر الحديث المعاصر :

مديح نزار قبّاني لجمال عبد النّاصر

كتب نزار قبّاني قصيدة في الرّئيس المصريّ الأسبق جمال عبد النّاصر، بعد وفاته في ٢٨ سبتمبر/ أيلول، عام ١٩٧٠م[١]. وعرفت القصيدة بمطلعها (قتلناك يا آخر الأنبياء).

وإذا كان من المعتاد في مثل هذه الحال أن تصنَّف القصيدة في غرض الرّثاء، فإنّما يتفرّع الرّثاء من المديح، بل هو في حقيقته مديح للمرثيّ.

ومهما يكن، فإنّ نزار قبّاني مجّد جمال عبد النّاصر، وبالغ في ذلك كثيراً، وأسرف في التّمجيد ، فقد استهلّ القصيدة بهذه العبارة الصّادمة[٢]:

قتلناك .. يا آخر الأنبياء

فمنذ البداية يصف جمال عبد النّاصر بـــ (آخر الأنبياء) وأنّنا قتلناه! فهذا إسراف ممقوت شرعيّاً وأدبيّاً. وإنّما آخر الأنبياء وخاتمهم هو النّبيّ ﷺ . وإذا كان هذا القول يُحمل على المجاز، فليس مقبولاً أن يكون المجاز سبيلاً إلى الإسراف في المبالغة والغلوّ.

وأمّا قوله (قتلناك) ففيه ادّعاء كاذب، وتجنٍّ كبير على الواقع، فالرّجل إنّما مات ميتة طبيعيّة، إذ وافاه أجله، ويُفهم من هذا القول أنّنا نحن العرب جميعاً قتلنا جمال عبد النّاصر، وهذا ممّا يضع الشّاعر أمام تساؤل : أن كيف كان ذلك؟ وعمّا يصدر في هذا القول؟ فلعلّه أراد التّعبير عن نضال جمال عبد الناصر واهتمامه بشأن الأمّة العربيّة، وأنّه مات قهراً جرّاء تردّي الوضع العربيّ آنذاك. وإذا كان هذا وارداً في احتمالات التّأويل فما كان ينبغي لنزار قبّاني هذا التّحامل والتّجنّي، حيث أخذ يستدعي أحداثاً من التّاريخ العربيّ الإسلاميّ، فيسقطها على موت جمال عبد النّاصر، بأنّه مات اغتيالاً، وأنّ الاغتيال من عادتنا. ذلك حيث تابع بعد مطلع القصيدة ، يقول :

---

(١) انظر : أسرار القصائد الممنوعة لشاعر الحب والحريّة نزار قبّاني، محمد رضوان، دار الكتاب العربيّ، ط١، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص٤٦ .

(٢) الأعمال السّياسيّة الكاملة، نزار قبّاني ، منشورات نزار قبّاني ، ط٦، بيروت، ٢٠٠٠م، ٣/ ٣٥٥ .

قتلناك ..

ليس جديداً علينا

اغتيال الصّحابة والأولياء

فكم من رسولٍ قتلنا..

وكم من إمامٍ ذبحناه وهو يصلّي صلاة العشاء..

فتاريخنا كلّه محنة..

وأيّامنا كلّها كربلاء..

ويصف نزار جمال عبد النّاصر بأنّه كان كتاباً جميلاً نزل علينا نحن العرب، ولكنّنا لم نحسن قراءته. ثمّ يشير إلى حرب حزيران عام ألف وتسعمئة وسبعة وستين ، بين العرب وإسرائيل، تلك الحرب الّتي انكسر فيها العرب على ثلاث جبهات. والسّبب في ذلك لدى نزار أنّنا تركنا عبد النّاصر وحده في المعركة، وليس ذلك فحسب، بل لا يزال نزار يلبسه ثوب النّبوّة، واسمعه يناجي عبد النّاصر، كأنّه النّبيّ موسى -عليه السّلام-، حيث يقول :

تركناك في شمس سيناء وحدكْ ..

تكلّم ربَّك في الطور وحدَكْ..

وتعرى.. وتشقى.. وتعطش وحدَكْ..

ونحن هنا.. نجلس القرفصاءْ

نبيع الشّعارات للأغنياء

ونحشو الجماهير تبناً.. وقشّاً..

ونتركهم يعلكون الهواءْ

وهنا وصل نزار حدّ الإسفاف في القول ، فقد خرج عن نطاق مديحه لعبد النّاصر إلى الهجاء والذّمّ ، بل والتّشنيع، ممّا هو من قبيل جلد الذّات، باستعماله ضمير جماعة المتكلّمين بكل صيغه، وزاد على ذلك حيث تحوّل به - على ما يبدو - إلى الزّعماء

العرب في تلك المرحلة، ذلك في قوله :

نبيع الشّعارات للأغنياء

ونحشو الجماهير تبناً .. وقشّاً ..

ونتركهم يعلكون الهواء

ويظل يهيل المديح لعبد النّاصر في لغة الخطاب الشّعريّ، وكلّ ذلك كان مقبولاً لولا أنّه جعل هذا المديح في حيّز قوله (قتلناك) فما يفتأ يردّده لازمةً في ثنايا القصيدة ، كقوله:

قتلناك .. يا جبل الكبرياءْ

وآخر قنديل زيتٍ

يضيء لنا، في ليالي الشتاءْ

وآخر سيفٍ من القادسيَّهْ

قتلناك نحن بكلتا يدينا..

وقلنا : المنيَّهْ

لماذا قبلت المجيء إلَيْنا؟

فمثلك كان كثيراً عليْنا..

وهذا تجاوز ربما لم يسبق إليه نزار، أن يكون ولي أمر أو حاكم أكبر من وطنه، فضلاً عن أن يكون أكبر من أمّةٍ ينتمي إليها وطنه.

على هذا النّحو كان مديح نزار قبّاني لجمال عبد النّاصر، ضربا من المبالغة، والغلوّ إلى حدّ الإسفاف في القول، والمخالفات الشّرعيّة، فمثل هذا المديح -بلا شكّ- مردود في منهج الأدب الإسلاميّ، ولا يدلّ إلا على قلّة ورع، وشطط في القول.

الخاتمـــــــة

للمديح في منهج الأدب الإسلاميّ معايير نقديّة تقويميّة، تقوم على أساسٍ من مبادئ الشّريعة الإسلاميّة، ليكون المديح مقبولاً. وهذه -كما سبق بيانها- تجسّد تصوّر الإسلام لشعر المديح، أن يكون أداة للدّعوة الإسلاميّة في نشر الفضيلة، ومحاربة الرذيلة، فذلك هو دوره الأساس. وهذه المعايير، في الوقت نفسه تقوم على ضوابط شرعيّة، لا بدَّ من استيفائها، ليؤدّي المديح دوره في حياة المجتمع المسلم. ومن ثمّ فإنّ الميزة الرّئيسة للمديح المقبول -في منهج الأدب الإسلاميّ- إشاعة القيم الخيّرة، بتمثّلها في فضائل الأعمال والأخلاق، في سلوك الصّالحين، وذلك بإظهارها على سبيل الامتداح، ونسبتها إلى أصحابها اعترافًا بفضلهم. وفي ذلك تثبيتٌ لهم وتشجيع على الفضائل، والاستمرار عليها.

ويقتضي تحقيق هذا المنهج في المديح المقبول تجنّب جملةٍ من المحاذير، تتمثّل في المخالفات الشّرعيّة، وما ينتج عنها من الكذب، وما إليه من المبالغة الممنوعة المجاوزة للحدّ، ممّا قد يفضي إلى الشّرك والكفر، بارتكاب كبائر الإثم. وأساس ذلك الخروج على المعايير والضّوابط الشّرعيّة، الّتي يردّ المديح بسببها، حيث يصبح سبيلاً لتزوير الحقائق، والاعتداء على المجتمع المسلم وقيمه النّظيفة[1].

وهذه المحاذير تتعلّق بالمادح والممدوح والمجتمع، ويعنى منهج الأدب الإسلاميّ بتعيينها، وبيان أسبابها، ودوافع مرتكبيها، ومن ثمّ يرسم السّبيل إلى دفعها وتفادي أخطارها، ليظلّ المديح المقبول كما في التّصوّر الإسلاميّ أداةً لتجسيد القيم الإسلاميّة، بدعوته إلى الالتزام بالفضيلة، ومحاربة الرذيلة.

---

(١) في الأدب الإسلاميّ، د. وليد قصّاب، ص ١٤. بتصرّف.

وفيما يلي أهمّ نتائج البحث:

١. يبدأ تاريخ الأدب الإسلاميّ منذ فجر الإسلام، وانطلاق دعوته النّاس إلى دين الله تعالى، واتّباع شرعه. وليس ذلك باعتبار النّاحية الزّمنيّة حسب، بل نظرًا إلى المنهج الّذي بدأ الإسلام يدعو إليه في الأدب عامّةً، والشّعر خاصّة، ومنه غرض المديح (موضوع البحث). وذلك من خلال تصوّر الإسلام للشّعر ودوره في الدّعوة الإسلاميّة، وبناء المجتمع الإسلاميّ على أُسس سليمة، وكان ذلك بصورة فعليّة عمليّة، في عهد النّبيّ ﷺ، فقد جعل الشّعر سلاحًا في المعركة ضدّ المشركين، فرفعه إلى مرتبة الجهاد، ووصفه النّبيّ ﷺ بأنّه أشدّ وقعًا من النّبل على رؤوس المشركين فقد روي أنّه قال ﷺ: ((والّذي نفسي بيده لكأنّ ما ترموهم به نضح النّبل)). [1].
وكان المديح والهجاء غرضين رئيسين في الشّعر، في مواجهة المشركين.

٢. وكان لشعر المديح دور مهم في الدّعوة الإسلاميّة، ولكنّه لا يؤدّي دوره ما لم تتوافر فيه الخصائص الشّرعيّة، وتتلخّص في التزامه العقديّ الهادف، وانطلاقًا من ذلك فإنّ منهج الأدب الإسلاميّ في المديح يعتمد معايير، أهمّها: المديح بالقيم الإسلاميّة، وعدم التكسّب بالمديح، ومدح من يستحقّ، وعدم القطع بالمديح. وهي معايير تنبثق من مبادئ الشّريعة الإسلاميّة، وتجسّد بوضوح التّصوّر الإسلاميّ لشعر المديح.

٣. وإنّ توافر معايير المديح الشّرعيّ، وتكاملها يُعدّ الشرط الأساس لقبول المديح، وإلاّ كان مردودًا. فإذا كان المديح بالقيم الإسلاميّة المعيار الأوّل لقبول المديح، فإنّه يقتضي أن يكون المديح بدافعٍ ذاتيّ إيمانيّ من الشّاعر، لتحقيق مقصد شرعيّ، وليس بدافع التّكسّب ونيل الحظوة عند الممدوح، وأن يكون الممدوح مستحقًّا للمديح، وألاّ يقطع الشّاعر بمديحه له.

٤. وهذه المعايير تنطوي على ضوابط شرعيّة، وفي مقدّمتها أن يكون المديح هادفًا إلى تحقيق مقصد شرعيّ، أن يكون مفيدًا، وإلاّ فالصّمت أفضل. وإذا كان الممدوح مستحقًّا للمديح فيُشترط أن يُؤمن عليه من الفتنة بالمديح، وأن يكون الشّاعر

---

(١) في حديث رواه الإمام أحمد، رقم ٢٧٢١٨، ومصنف ابن عبد الرزاق، رقم ٢٠٥٠٠، ومجمع الزوائد، الهيثمي، ج٨، ص١٢٣.

صادقًا، بحدود ما يعلم من حال الممدوح، وألاّ يكون المديح بطلبٍ من الممدوح، نزولاً عند رغبته.

٥. عدم التّكسّب بالشّعر لا يعني أنّ إعطاء الشّعراء محظور، ولكن يشترط ألاّ يكون بصورةٍ من المقايضة: الشّعر مقابل المال، فبهذه الحال يكون تكسّبًا، فيحظر لما له من مضارّ على المادح والممدوح، والمجتمع بصفة عامّة. وإنّما يُعطى الشّعراء من باب رعايتهم من النّاحية الاجتماعيّة، لما لهم من دور في تطوير اللغة وفنّ الشّعر، ويمكن توجيه ذلك إلى تشجيعهم على الفضيلة والالتزام بها في المديح. وألاّ يكون العطاء من قِبل الممدوح بصورة من المراءاة، والتّظاهر، فيكون من الإسراف والتّبذير، فذلك محظور شرعًا.

٦. يتّصف المديح المقبول بمزايا: إشاعة القيم الخيّرة، والاعتراف بفضل الصّالحين، وتشجعيهم، وتثبيتهم على الأعمال الخيّرة.

وهذه المزايا في حقيقتها هدف رئيس يُناط بالمديح المقبول تحقيقه في سلوك الفرد المسلم. وذلك عندما يلتزم الشّاعر المادح بالمعايير، والضّوابط الشّرعيّة فيما يقول.

٧. يُرَدّ المديح فلا يُقبل، في منهج الأدب الإسلاميّ، إذا لم يلتزم فيه الشّاعر بالمعايير والضّوابط الشّرعيّة للمديح المقبول. فمعايير المديح غير المقبول، الّتي يُردّ بسببها هي نقائض معايير المديح المقبول: المديح بغير القيم الإسلاميّة، والتّكسّب بالشّعر، ومدح مَنْ لا يستحقّ، وقطع الشّاعر في المديح، بتظاهره أنّه متيقّن من صحّة ما يقول في مديحه فيجزم فيه. فهذه المعايير للمديح غير المقبول في حقيقتها مخالفات محذورة شرعًا.

٨. تتمثّل (محاذير المديح غير المقبول) في الكذب، وما إليه من المبالغات الممنوعة المجاوزة للحدّ، الّتي قد تفضي إلى الشّرك والكفر، بارتكاب كبائر الإثم. وهذه المحاذير منها ما يتعلّق بالشّاعر المادح، ومنها ما يتعلّق بالممدوح، ومنها ما يتعلّق بالمجتمع. وذلك من حيث الأسباب والدوافع، وما ينتج عن المديح غير المقبول من الآثار السّلبيّة، على الفرد والمجتمع بصفةٍ عامّة، في عدّة مجالات وجوانب في حياة المجتمع العامة، وحياة الفرد الخاصّة.

٩. لم يقع من محاذير المديح غير المقبول في شعر صدر الإسلام إلاّ القليل النّادر، وخاصّةً في عهد النّبيّ ﷺ، فقد كان بين ظهراني المسلمين يعلّمهم أمور دينهم، ويهديهم سبل الرّشاد والسّداد، والتزام كلمة الصّدق والتّقوى، ومن بعده كان الخلفاء الرّاشدون خاصّة والصّحابة عامّةً يوجّهون الشّعراء إلى ذلك، ويأخذون على أيدي المخالفين من الشّعراء. وإنّما نشأت محاذير المديح غير المقبول بعد عصر صدر الإسلام، بأسباب من طمع العديد من الشّعراء واتّخاذ الشّعر حرفةً ووسيلة للتّكسّب، وفي الوقت نفسه كان بعض الممدوحين طرفًا في وقوع المحاذير، والمخالفات الشّرعيّة في شعر المديح، حيث أغروا الشّعراء ليلبّوا رغبتهم في المديح، وبعضهم قبلوا، أو سكتوا عمّا وقع في مديح الشّعراء لهم من الكذب، والمبالغات الشّركيّة.

١٠. ومن أسباب الوقوع في محاذير المديح غير المقبول: أنّ بعض الأدباء، والنّقّاد القدماء انتهجوا في نقدهم مذهب (الفنّ للفنّ)، ففصلوا بين الدّين والشّعر.

ولا يعني ذلك أنّهم أرادوا مخالفة الدّين، أو توجيه الشّعر والشّعراء ضدّه، وإنّما أرادوا أنّ ما يقع في شعر شاعرٍ، من الفسق والشّرك والكفر لا ينقص من شاعريّته، أو يحط من طبقته بين الشّعراء من النّاحية الفنيّة. ولكنّ ذلك لا يدفع عنهم جنايتهم جرّاء ما جنوا من سوء مذهبهم، لما فيه من التّشجيع لضعيفي الإيمان من الشّعراء على التّمادي في التّعدّي على الحدود الشّرعيّة، والاستخفاف بالقيم الإسلاميّة.

١١. لقد ردّ جمهور النّقّاد المسلمين القدماء مذهب الفنّ للفنّ في نقد الشّعر، كما ردّوا المديح غير المقبول على حدٍّ سواء، وكانوا يصدرون في نقدهم عن تصوّر الإسلام لشعر المديح، في أن يكون وسيلة وأداة لنشر الفضيلة، ومحاربة الرذيلة.

١٢. وممّا يعبّر عن رفض المجتمع المسلم لمذهب الفنّ للفنّ، والمديح غير المقبول معًا، انحطاط مكانة الشّاعر، وردُّ شهادته لدى بعض العلماء.

١٣. لقد ظهر من خلال البحث -ولا سيّما في الفصل الرّابع- أنّ النّقّاد القدماء قد

اعتمدوا في قبول المديح، أو ردّه على النّصّ الشّعريّ ذاته، فيما يعبّر عنه، فلم يجاوزوا ذلك إلى مناسبة المديح، أو موقف الشّاعر من الممدوح ودوافع المديح، أو ما هي المؤثّرات الخارجيّة عليه؟. فثمّة مدائح عدّوها من المديح المقبول نظرًا إلى مضامينها، وكان الدّافع إليها التّكسّب، وبعضها كان بطلبٍ من الممدوحين، وثمّة ممدوحون يستحقون ما مُدحوا به، وآخرون خلافهم. وعلى ذلك فإنّه يمكن القول: إنّ هناك مدائح عدّها النّقّاد القدماء من المديح المقبول وفق معيار واحد من معايير المديح المقبول، هو (المديح بالقيم الإسلاميّة) دون الأخذ بالمعايير الأخرى، سواءً في ذلك معايير المديح المقبول، وغير المقبول.

١٤. يرى بعض العلماء أنّ المديح المقبول وفق المعايير الشّرعيّة مندوب إليه. وإذا كان بطلبٍ من وليّ الأمر لمصلحة الأمّة والدّين فحكمه الواجب. والله أعلم.

وأخيرًا، فإنّ منهج الأدب الإسلاميّ يستمدّ مقاييس نقد المديح وتقويمه من الشّريعة الإسلاميّة، وفق تصوّر الإسلام لشعر المديح، فما كان منه وفق الشّريعة الإسلاميّة فهو مقبول، وما كان خلاف ذلك فهو مردود. وذلك مبدأ عام في الإسلام، يُطلب تطبيقه والالتزام به في الأمور كلها، فكما روي عن النّبيّ ﷺ، أنّه قال: ((مَنْ عمل عملاً ليس عليه أمرُنا فهو ردّ))[1].

والحمدُ لله ربّ العالمين.

(١) رواه البخاريّ، في كتاب الاعتصام (٢٠). وفي كتاب البيوع (٦٠). ورواه مسلم برقم عام (٤٤٩٣). وفي رواية له (٤٤٩٢): ((مَنْ أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ)).

الفهـــارس

- الآيات القرآنيّة
- الحديث النّبويّ
- الشّعر
- المصادر والمراجع
- الموضوعات

الآيات القرآنيّة

الصفحة	السورة	رقمها	الآيـــــــــــــة
١٨	البقرة	٨٢	﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾
١٨	البقرة	٦٢	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾
١٨	البقرة	١٣٠	﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾
١٨	الأنبياء	٧٥	﴿ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾
٩٨	آل عمران	١٠٣	﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾
٣٠	آل عمران	١١٠	﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِۗ ﴾
١٢٣	آل عمران	١٨٨	﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾
٨٤	النساء	٤٩	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾
٨٤	النساء	٥٠	﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴾
٢٨	النساء	٥٩	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ ﴾
١٩	النساء	٦٩	﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾
٩٨	النساء	٨٦	﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴾
٩٨	المائدة	١١٠	﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ ﴾
٩٧	الأنعام	٩٠	﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴾

﴿ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾	١٤١	الأنعام	١٢١
﴿ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾	٣١	الأعراف	١٢١
﴿ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ ﴾	٤٠	التوبة	٢٦
﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾	١٢٨	التوبة	١٧
﴿ فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴾	٢٩	النحل	١١٤
﴿ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا ﴾	٢٦ — ٢٧	الإسراء	١٢١
﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴾	٤١	مريم	٩٧
﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴾	٥١	مريم	٩٧
﴿ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ ﴾	١٤	المؤمنون	٢٢
﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّهُمۡ فِي كُلِّ وَادٖ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمۡ يَقُولُونَ مَا لَا يَفۡعَلُونَ ﴾	٢٢٤– ٢٢٦	الشعراء	٣١، ١٠٩
﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ﴾	٢٢٧	الشعراء	١٩، ٣١
﴿ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾	٨	النمل	١٤٤
﴿ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ﴾	١٤	لقمان	٩٨
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴾	٧٠	الأحزاب	٣٠
﴿ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴾	٦٠	الزمر	١١٥
﴿ وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ ﴾	٢١	الاحقاف	٩٧
﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴾	٢٩	الفتح	١٨
﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ ﴾	١١٠	الحجرات	٢٥

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾	٣-٤	النجم	٨٣
﴿ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾	٣٢	النجم	٨٣، ٨٥
﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾	٦٠	الرحمن	٩٨
﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾	١٠	الجمعة	٤٧
﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾	١٥	الملك	٤٧
﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾	٤	القلم	١٨
﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾	٢٣	نوح	٢٢

فهرس الحديث النّبويّ

الحديث الشّريف	الصفحة
-إذا رأيتم المدّاحين فاحثوا في وجوههم التّراب	٤٩، ٧٠ ، ١٠٩
- إذا مُدح المؤمن في وجهه ربا الإيمان في قلبه	١٠٣
-ارمِ أيها الغلام الحزوّر	١٠٢
-ارمِ سعد فداك أبي وأمي	١٠٢
- أشار رسول الله ﷺ بكمّه إلى الخلق ليأتوا فيسمعوا، أي: من كعب بن زهير، وهو ينشده قصيدته (بانت سعاد)	١٣٣
-أصدق كلمة قالها الشّاعر كلمة لبيد : ألا كل شيءٍ ما خلا الله باطلُ	٣٢، ٩٥ ، ١٣١
-أمرنا رسول الله ﷺ أن نحثي في وجوه المدّاحين التّراب	٤٩
-أمرنا رسول الله ﷺ أن نترل النّاس منازلهم	٩٩
-أنزلوا النّاس منازلهم	٩٩ ، ١٠٥
-أنشدت رسول الله ﷺ مائة قافية من قول أميّة بن أبي الصّلت	٣٢
-إن أخاً لكم لا يقول الرّفث	٢٢ ، ١٣٢
-إن أخوف ما أخاف عليكم الشّرك الأصغر	١١٤
-إنّ ربَّك يحبّ الحمد	٢٠
-إن الله كره لكم ثلاثاً: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السّؤال	٥٠، ١٢١
-إنّ الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم	٣٨

-إن الله يغضب إذا مُدِحَ الفاسق	١١٢
-إن المسألة لا تحلّ إلاّ لأحد ثلاثة	٤٨
-إنّ من شرار النّاس الّذين يكرمون اتّقاء ألسنتهم	٥١
-إنّ من البيان سحراً	٣٣ -٩١
-إن من البيان سحراً وإن من الشّعر حُكْماً	٣٣-٩١
-إن من الشّعر حكْماً	٣٤
-إن من الشّعر حكمة	٣٤ — ٩١
-أنّ النّبيّ ﷺ أتمّ لعبّاس بن مرداس مائة. أي من الإبل، يوم حنين، في إعطاء المؤلفة قلوبهم	٥٣
- إنّك لست منهم	٧١
-أوجب طلحة	١٠٢
-إياكم والتّمادح ، فإنّه الذّبح	١١٥
- آية المنافق ثلاث : إذا حدّث كذب ، وإذا وعد أخلف، وإذا أوتمن خان	١١١
-تلك عاجل بشرى المؤمن	٩٩
-جزاك الله خيراً يا عائشة، ما سررت مني كما سررت منك	٧٢
-جالست النّبيّ ﷺ أكثر من مائة مرة، فكان أصحابه يتناشدون الشّعر	٣٢
-جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم	٩٦

-دعي هذا وقولي بالّذي كنت تقولين	٦٦
-الشّعر بمنزلة الكلام	٩١
-فما يزال الرّجل يسأل حتّى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة لحم	٥٠
-قال رسول الله ﷺ لحسّان بن ثابت : ((هل قلت في أبي بكر ..))	٢٥
-قل لا يفضض الله فاك	٢١ - ١٣٣
-قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستجرينّكم الشّيطان	٦٥
-قولوا بقولكم ولا يستهوينّكم الشّيطان	٦٥
-كلّ معروف صدقة	٥١
-لا يدخل الجنّة من كان في قلبه مثقال حبة من خردلٍ من كبر	١١٥
-لأن يأخذ أحدكم حبله، ثم يأتي الجبل ، فيأتي بحزمةٍ من حطب	٤٧
-لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً خير له من أن يمتلىء شعراً	٣٣-٥١
-لا تطروني كما أُطرى عيسى بن مريم، وقولوا : عبدالله ورسوله	٦٥
-لقد شكرك الله يا كعب، على قولك هذا	١٠٣
-لولا ذكرت الأنصار بخير، فإنّهم لذلك أهل	٢٦، ١٣٤
-ما أكل أحد طعاماً خيراً من أن يأكل من عمل يده	٤٨
-من استعاذ بالله فأعيذوه	٩٩
-من تعلم صرف الكلام ليسبي به قلوب الرّجال، أو النّاس	٣٣
-من جرّ ثوبه لم ينظر الله إليه يوم القيامة	٧٠، ٩٩

-من صنع إليه معروفاً فليجزه	٩٩
-من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ	١٦١
-من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت	٣١
-من هذا السّائق؟ قالوا : عامر بن الأكوع، فقال : يرحمه الله	٢٠ ، ١٣٢
-من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنّة	٣٠
-هات ما حمدت به ربك عزّ وجلّ	٢٠
-هات وابدأ بمدحة الله عزّ وجلّ	٢٠
-وإيّاك يا سيّد الشّعراء	١٠٣
-والّذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب	٤٧
-والّذي نفسي بيده، لكأنّ ما ترمونهم به نضح النّبل	١٥٨
- الوزغ بن الوزغ	١٥٠
-ويحك قطعت عنق صاحبك	٨٥ ، ٨٦
- يا بلال اقطع عنّي لسانه	٥١
-يا معشر قريش لا يأتي النّاس بالأعمال يوم القيامة، وتأتون بالدّنيا	٣٨

فهرس قوافي الشّعر

القافية	الشّاعر	عدد الأبيات	الصّفحة
الهمزة المضمومة			
الوفاءُ	حسّان بن ثابت	١	٢٤
خفاءُ	حسّان بن ثابت	٢	٢٤
واقتراءُ	أيمن بن خريم	٣	٣٩
الظّلْماءُ	ابن قيس الرّقيّات	١	٣٩
الباء المضمومة			
الذَّهبُ	ابن قيس الرّقيّات	١	٣٩
تَضْرِبُ	أحمد شوقي	٢	١٣٩
غَيْهبُ	أحمد شوقي	١	١٤٠
تَرْهبُ	أحمد شوقي	١	١٤٠
وتغرِّبُ	أحمد شوقي	٢	١٤٠
أَصْلبُ	أحمد شوقي	٢	١٤٠
أَقْرَبُ	أحمد شوقي	١	١٤٠
يُتْعبُ	أحمد شوقي	٢	١٤٠
تَذْهَبُ	أحمد شوقي	١	١٤١
الباء المضمومة معها هاء			
صدقه كذبُهْ	البحتريّ	١	٦٤
الباء المكسورة			
واللّعبِ	أبو تمّام	٣	١٣٧
مُرْتَغبِ	أبو تمّام	٣	١٣٨
والخشبِ	أبو تمّام	٢	١٣٨
وَالْحسَبِ	أبو تمّام	٢	١٣٩

مُنْقضبِ	أبو تمّام	٢	١٣٩
الغلابِ	كعب بن مالك	١	١٠٣
	الحاء المضمومة		
نوحُ	ابن هانىء الأندلسيّ	٢	١٤٨
	الدّال المفتوحة		
السّجودا	المتنبّي	١	١٤٧
	الدّال المضمومة		
ما ولدُوا	زهير بن أبي سلمى	٤	١٤٣
	الدّال المكسورة		
مُصرّدِ	الأخطل	٢	٤٠
موقدِ	الحطيئة	١	١٤٤
	الرّاء المفتوحة		
كالذي نَصَرَا	عبدالله بن رواحة	١	١٠٣
شَاعِرا	أبو سعيد المخزوميّ	٢	١١٢
تَأَزَّرا	قال أحد الشعراء	١	١٤٩
	الرّاء المفتوحة معها هاء		
غامِرَهْ	نُصيب بن رباح	٥	١١٩
	الرّاء المضمومة		
والقمرُ	ابن وهب	٢	٤١
تستعرُ	حسّان بن ثابت	٢	٧٣
والقدرُ	نصيب بن رباح	٢	١٣٥
جعفرُ	لبيد	٢	١٤٢
القهّارُ	ابن هانىء الأندلسيّ	١	١٤٨
القهّارُ	ابن هانىء الأندلسيّ	٣	١٤٧

إذا قدرُوا	الأخطل	١	١٢٣
الرّاء المكسورة			
الأنْصارِ	كعب بن زهير	٢	١٠٤
الأنْصارِ	كعب بن مالك	١	١٣٤
وَكرارِ	كعب بن زهير	١	١٠٤
بالْكُفْرِ	علي بن جبلة	٢	١١٩
مُنْكَرِ	أبو محجن الثّقفيّ	٣	٢٦
الأنصارِ	كعب بن زهير	١	٢٦
على حضرِ	جرير	٤	١٢٩
وسيّد الحضْرِ	زهير بن أبي سلمى	٧	١٤٣
ليلةَ البدْرِ	زهير بن أبي سلمى	١	١٤٤
الضّمايرِ	أبو نواس	٢	١٤٥
ضواري	كعب بن زهير	٢	١٣٤
مِنْ خبري	جرير	١	١٢٨
الرّاء المكسورة معها هاء			
وَمُحْتَضَرِه	علي بن جبلة	١	١٢٠
على أَثَرِهْ	علي بن جبلة	١	١٢٠
إلى حَضَرِهْ	علي بن جبلة	٢	١٤٦
السّين المكسورة			
والنَّاس	الحطيئة	١	١٠٥
الأنفسِ	أيمن بن خريم	٦	١٥٠
العين المضمومة			
سَاطِعُ	عبدالله بن رواحة	٣	٢٣
تُتَّبعُ	حسّان بن ثابت	٣	٢٤
والشّيَعُ	حسّان بن ثابت	١	٢٤
أَو شَمَعُوا	حسّان بن ثابت	١	٢٤

تجْتمعُ	منصور النّمري	٢	٤١
ينْفَعُ	الحطيئة	٢	٥٥
ساطع	عبدالله بن رواحة	٣	١٣٢
فَتَنْخَدِعُ	أبو بكر الدّاني	٤	١٥١
تَجْتمعُ	منصور النّمري	٤	١٥٢
العين المكسورة			
الأقرعِ	العبّاس بن مرداس	٣	٥٤
القاف المضمومة			
تفهقُ	الأعشى	٢	١٦
رونقُ	الأعشى	١	١٦
الورقُ	العبّاس بن عبد المطلبُ	٧	٢٢ – ١٣٣
القاف المكسورة			
لم تُخْلقِ	أبو نوّاس	١	١٤٩
الكاف المفتوحة			
هُداكا	العبّاس بن مرداس	٢	٩٥
هواكا	العبّاس بن مرداس	١	٩٥
اللام المفتوحة			
يصعدُ الجبلا	حسّان بن ثابت	٢	٢٥
الرُحالا	الحطيئة	٣	٢٧
الثّنا حللا	أعرابيّ	٣	٥٧
والجبلا	أعرابيّ	٢	١٠٤
جبريلا	ابن هانىء الأندلسيّ	١	١٤٨
اللام المفتوحة معها هاء			
وأذالها	كثيّر عزّة	٢	١٢٢
نهالها	الأعشى	٢	١٢٢

ساحلُهْ	أبو تمّام	٣	١٠٨
اللام المضمومة			
يُعْدَلُ	حسّان بن ثابت	٣	٢٧
أطولُ	الخنساء	٢	٤٠
مَكْبُولُ	كعب بن زهير	١	٥٢
مَأْمُولُ	كعب بن زهير	٣	٥٢
مَسْلُولُ	كعب بن زهير	١	٥٢
نائلُ	مروان بن أبي حفصة	١	١٢٢
زائلُ	لبيد	١	١٣١
مَسْلُولُ	كعب بن زهير	٢	١٣٣
التّعويلُ	أحد الشعراء	٢	١٤٩
اللام المكسورة			
مُعْضِلِ	أبو كبير الهذليّ	٢	٧٢
العادِلِ	جرير	٣	١٠٠
لِلْبخلِ	نصيب بن رباح	٢	١١٩
إلى حالِ	علي بن جبلة	٢	١٤٦
العالي	حسّان بن ثابت	١	٨٧
من حيلي	العتّابي	٢	١٤٩
اللام السّاكنة			
رَيْثي وَعَجَلْ	لبيد	٣	١٣٥
الميم المفتوحة			
نجدَةَ دما	حسّان بن ثابت	١	٦٩
فنفْسه ظَلَما	النّابغة الجعديّ	١	٩٤
مِنْ سَمَا	المتنبّي	٢	١٤٧
يتكلَّما	المتنبّي	٢	١٤٧
لِتْكرما	حسّان بن المصيصي	٤	١٥١

الميم المضمومة			
مُعْدمُ	النّابغة الجعديّ	٣	٥٨
المكارمُ	أبو تمّام	١	١٧ - ٩٤
الميم المكسورة			
بالتكلّمِ	كثيّر عزّة	١	٧٥
مُسْلِمِ	كثيّر عزّة	١	٧٥
مُسْلِمِ	نهارين توسعة	٢	١٠١
الظُّلَمِ	كعب بن زهير	٢	١٣٤
النّون المفتوحة			
هارونا	ابن أبي السّعلاء	٤	١٣٦
النّون المكسوره			
الشّراكانِ	أبو نواس	٢	١٤٥
مأمونِ	علي بن جبلة	٤	١٤٦

الدّال المكسورة			
وفينا نَبَيٌّ يعلمُ ما في غدِ	–	–	٦٦
اللام المضمومة			
فكأنّهُ بعد الرّسولِ رسولُ	من ولد زهير بن أبي سلمى	–	١٢٤
ألا كلّ شيءٍ ما خلا الله باطِلُ	لبيد	–	١٣١
اللام المكسورة			
بلالُ بن عبدالله خيرُ بلالِ	–	–	٦٦

الرّجـــــــز

		عدد الأبيات	الصفحة
السّين المكسورة			
عَبْدِ شَمْسِ	رؤبة بن العجّاج	٢	٦٦
النّون المفتوحة			
صلّيْنا	عــــامر بــــن الأكــــوع أو عبدالله بن رواحه	٤	٢٠-١٣٢
النّون المفتوحة معها هاء			
وأُمهنَّهْ	أعرابيّ	٣	٥٦
لَأَمْضيَنَّهْ	أعرابيّ	١	٥٦
منَّهْ	أعرابيّ	٢	٥٦

من شعر التّفعيلة :

قتلناك .. يا آخر الأنبياء . نزار قباني. مقاطع من القصيدة ص١٥٣ وما بعد.

المصادر والمراجع

الكتب:

١. اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، د. محمد مصطفى هدّارة، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٢. إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، عالم الكتب، د. ط، د. ت، عن مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، القاهرة، ١٣٤٧هـ.

٣. أحكام صنعة الكلام، ذو الوزارتين أبو القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي الإشبيلي الأندلسي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٦م.

٤. أخبار أبي تمام، أبو بكر محمد بن يحيى الصولي، تحقيق: خليل محمد عساكر -محمد عبده عزام- نظير الإسلام الهندي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م.

٥. أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقّا، مطبعة مصطفى الحلبي، ط٤، القاهرة، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

٦. الأدب المفرد، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: عادل سعد، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١، مكة - الرياض، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٧. الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، للنووي، مطبعة البابي الحلبي، ط٤، القاهرة، ١٣٧٥هـ.

٨. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد البر، تحقيق: علي محمد البجاوي، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، د. ت.

٩. أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين الحسن بن علي بن عبد الكريم الجزري (ابن الأثير)، تحقيق: محمد صبيح وآخرون، القاهرة، ١٩٦٤م.

١٠. أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، دار المدني، جدة، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

١١. الإسلاميّة والمذاهب الأدبيّة، د. نجيب الكيلاني، مؤسسة الرسالة، بيروت،

١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

١٢. أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، عباس محمود العقاد، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٩٥م.

١٣. الأشراف، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا، رواية: أبو الحسن بن محمد بن عمر الأصبهاني، تحقيق: د. وليد قصاب، دار الثقافة، ط١، الدوحة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

١٤. الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة.

١٥. إعجاز القرآن، أبو بكر محمد الباقلاني، تحقيق: د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، ط١، بيروت، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

١٦. الأعمال السياسية الكاملة، نزار قباني، منشورات نزار قباني، ط٦، بيروت، ٢٠٠٠م.

١٧. الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق: عبد علي مهنّا وسمير جابر، دار الكتب العلميّة، ط٤، بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

١٨. الالتزام الإسلامي في الشعر، ناصر بن عبد الرحمن بن ناصر الخنين، دار الرشد، ط١، الرياض، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

١٩. الأم، محمد بن إدريس الشافعي، دار المعرفة، ط٢، بيروت، ١٣٩٣هـ.

٢٠. الأمالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، دار الكتب العلمية، د. ت، بيروت.

٢١. الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، تحقيق وشرح: د. محمد عبد المنعم خفاجة، دار الجيل، ط٣، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

٢٢. بحوث ودراسات في الأدب والنقد، د. عبد الله عبد الرحيم عسيلان، دار العلوم، الرياض، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٢٣. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، دار المنار، ط١، القاهرة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

٢٤. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٤م.

٢٥. بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق: عبدالله محمد الدرويش، دار الفكر، د. ط، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٢٦. البلاغة العربية- البيان والبديع، د. وليد قصاب، دار القلم، ط١، دبي، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٢٧. البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط٧، القاهرة، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

٢٨. التأثير النفسي للإسلام في الشعر ودوره في عهد النبوة، د. عبد الرحيم محمود زلط، دار اللواء، ط١، الرياض، ١٤٠٣هـ.

٢٩. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي، تحقيق: علي شيري، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٣٠. تاريخ الأدب العربي - العصر الإسلامي، د. شوقي ضيف، دار المعارف، ط٦، القاهرة، ١٩٧٤م.

٣١. تاريخ الأدب العربي - العصر العباسي الأول، د. شوقي ضيف، دار المعارف، ط٨، القاهرة.

٣٢. تاريخ الأدب العربي والتكسب الشعري، مصطفى زيدان، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤٨هـ.

٣٣. تاريخ الحضارة الإسلاميّة والفكر الإسلامي، د. أبو زيد شلبي، مكتبة وهبة، ط١،

القاهرة، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٣٤. سيرة عمر بن الخطاب، لابن الجوزي، مكتبة الخانجي، ط١، القاهرة، ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م.

٣٥. تاريخ النقد الأدبي عند العرب من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، د. إحسان عباس، دار الشروق، ط١، عمّان، ١٩٩٣م.

٣٦. تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، د. محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، ط٢، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٣٧. التطور والتجديد في الشعر الأموي، د. شوقي ضيف، دار المعارف، ط٨، القاهرة.

٣٨. تفسير القرآن - اختصار نكت الماوردي، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي الشافعي، دار ابن حزم، ط١، بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

٣٩. تفسير القرآن الجليل - المسمّى: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، المطبعة الأميرية ببولاق، القاهرة، ١٩٣٩م.

٤٠. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق: سامي محمد السلامة، دار طيبة، ط١، ١٤١٨هـ.

٤١. تلخيص كتاب أرسطو طاليس في الشعر، أبو الوليد بن رشد، ومعه جوامع الشعر، للفارابي، تحقيق وتعليق: د. محمود سليم سالم، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٣٩١هـ/١٩٩٧م.

٤٢. التلخيص من كتاب المستدرك على الصحيحين للحاكم، محمد بن أحمد بن عثمان بن الذهبي، بذيل المستدرك، دار الكتاب العربي، د.ط، بيروت، د.ت.

٤٣. التمثيل والمحاضرة، لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ٣٨١هـ- ١٩٦١م.

٤٤. تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب الرازي المعروف بـ (مسكويه)، تحقيق: د. نواف الجراح، دار الفكر، بيروت.

٤٥. التيارات المعاصرة في النقد الأدبي، د. بدوي طبانة، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، ١٣٩٠هـ.

٤٦. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتب المصريّة، القاهرة، ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م.

٤٧. جمع الجواهر في الملح والنوادر، أبو إسحاق الحصري، تحقيق: علي محمد البجاوي، المطبعة التجارية، القاهرة.

٤٨. جمهرة أشعار العرب في الجاهليّة والإسلام، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة.

٤٩. جوهر الكنز تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي اليراعة، نجم الدين أحمد بن إسماعيل بن الأثير الحلبي، تحقيق: محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندريّة، ١٩٨٠م.

٥٠. حلية الأولياء، أبو نعيم الأصبهاني، مطبعة السعادة، ط١، القاهرة، ١٣٩٩هـ.

٥١. الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ تحقيق : محمد عبد السلام هارون، المجمع العربي الإسلامي، ط٣، بيروت، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٥م.

٥٢. خزانة الأدب ولب الألباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط٤، القاهرة، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٥٣. دلائل الإعجاز، عبد القاهرة الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، دار المدني، جدّة، ط٣، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

٥٤. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلميّة، ط١، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٨٥م.

٥٥. الدين والأخلاق في الشعر النظرة الإسلاميّة والرؤية الاجتماعية، د. محمد سعيد فشوان، مكتبة الكليات الأزهرية، ط١، القاهرة، ١٤٠٥هـ.

٥٦. ديوان الأخطل، شرح: راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، ط١، بيروت،

١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٥٧. ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، شرح: د. حنا نصر الحتّيّ، دار الكتاب العربي، ط٢، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٥٨. ديوان البحتري، دار صادر، ط٢، بيروت، ٢٠٠٥م.

٥٩. ديوان أبي تمام، شرح الخطيب التبريزي، تحقيق: راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.

٦٠. ديوان أبي تمام، شرح الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد عبده عزام، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٤م.

٦١. ديوان جرير، شرح: إليا الحاوي، دار الكتاب اللبناني، ط١، بيروت، ١٩٨٢م.

٦٢. ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، شرح: عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٦٣. ديوان الخنساء، تحقيق: عبد السلام الحوفي، دار الكتب العلميّة، بيروت.

٦٤. ديوان الحطيئة، تحقيق: نعمان طه، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٧٨هـ.

٦٥. ديوان العباس بن مرداس السلمي، تحقيق: د. يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

٦٦. ديوان عبد الله بن رواحة، تحقيق: ودراسة في سيرته وشعره، د. وليد قصاب، دار العلوم، ط١، الرياض، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٦٧. ديوان الفرزدق، شرح: علي فاعور، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٩٨٦م.

٦٨. ديوان كثير عزة، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

٦٩. ديوان كعب بن زهير، شرح: أبي سعيد السكري، دار الوثائق القوميّة، ط٣، القاهرة، ١٤٢٣هـ.

٧٠. ديوان لبيد بن ربيعة، دار المعرفة، ط١، بيروت، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٧١. ديوان المتنبي، شرح: عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، ط١، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

٧٢. ديوان المعاني، أبو هلال العسكري، عالم الكتب، بيروت، د. ت.

٧٣. ديوان المفضليات، أبو العباس المفضل بن محمد الضبي، شرح: أبو محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنباري، تحقيق وشرح: د. محمد نبيل طريفي، دار صادر، ط١، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٧٤. ديوان ابن هانئ الأندلسي، دار صادر، بيروت، ١٩٥٢م.

٧٥. ديوان الهذليين، شرح أبي سعيد السكري، دار الكتب، القاهرة، ١٣٦٩هـ.

٧٦. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الثقافة، ط٣، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٧٧. رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق: د. إحسان عباس، المؤسسة العربية، ط١، بيروت، ١٩٨٣م.

٧٨. رسالة الغفران، أبو العلاء المعري، ومعها نص محقق من رسالة ابن القارح، تحقيق: د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، دار المعارف، ط٧، القاهرة، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

٧٩. روح المعاني، أبو الفضل شهاب الدين الألوسي، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٥هـ.

٨٠. روضة الناظر وجلة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، موفق الدين عبد الله بن قدامة، مكتبة المعارف، الرياض، د. ت.

٨١. رياض الصالحين من حديث سيد المرسلين، محيى الدين يحيى بن شرف النووي، تحقيق: علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري، دار ابن الجوزي، ط١، الدمام، ١٤٢١هـ.

٨٢. زاد المعاد في هدي خير العباد، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي (ابن قيم الجوزيّة)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٨٣. زهر الآداب وثمر الألباب، أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ط٢، القاهرة، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

٨٤. سر الفصاحة، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان، الخفاجي الحلبي، تحقيق: د. النبوي عبد الواحد شعلان، دار قباء، القاهرة، ٢٠٠٣م.

٨٥. السنن الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، دار الفكر، بيروت.

٨٦. سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١١، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٨٧. السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقّا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط٢، القاهرة، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م.

٨٨. شرح ديوان الحماسة، أبو زكريا يحي بن علي التبريزي الشهير بالخطيب، عالم الكتب، بيروت، ط١، د.ت.

٨٩. شرح سنن ابن ماجة أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني، أبو الحسن الحنفي، المعروف بالسندي، دار الجيل، بيروت.

٩٠. شرح السنّة، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: زهير الشاويش، شعيب الأرناؤوط، رئاسة إدارة البحوث العلميّة والافتاء والدعوة والإرشاد ، المملكة العربيّة السعوديّة، والمكتب الإسلامي.

٩١. شرح شواهد المغني، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، لجنة التراث العربي، بيروت.

٩٢. شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ابن بطال)،

تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرياض، ط١، الرياض، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٩٣. شرح صحيح مسلم، محيى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، تحقيق: لجنة من العلماء، دار القلم، بيروت.

٩٤. شرح كافية ابن الحاجب، رضي الدين محمد بن الحسن الأستراباذي، تحقيق: د. إميل يعقوب، دار الكتب العلميّة، ط١، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٩٥. شرح الكوكب المنير المسمّى مختصر التحرير، لابن النجّار، تحقيق: د. محمد الزحيلي ونزيه حماد، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٣هـ.

٩٦. شرح مشكل شعر المتنبي، ابن سيده الأندلسي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار المأمون للتراث، دمشق.

٩٧. شرح منتهى الإرادات، منصور بن إدريس البهوتي، عالم الكتب، ط٢، بيروت، ١٩٦٦م.

٩٨. الشعر الجاهلي، د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت، ١٩٨٦م.

٩٩. شعر الجهاد في العصر الحديث (مصر ١٣٠٠ - ١٤٠٠هـ)، د. نبيل بن عبد الرحمن المحيش، ط١، الإحساء، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

١٠٠. الشعر الحديث في المملكة العربيّة السعودية خلال نصف قرن (١٣٤٥هـ-١٣٩٥هـ) د. عبد الله الحامد، نادي المدينة المنورة الأدبي، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

١٠١. الشعر في رحاب النبوّة، مصطفى الصياصنة، نادي الباحة الأدبي، ط١، الباحة، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

١٠٢. الشعر والتكسب دراسة اقتصادية، د. ياسر عبد الكريم الحوراني، دار مجدلاوي، ط١، عمّان، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

١٠٣. الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، ط٣، القاهرة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

١٠٤. الشعر والشعراء في الكتاب والسنّة، يوسف العظم، دار الفرقان، عمّان، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

١٠٥. الشعر والمال، د. مبروك المناعي، دار الغرب الإسلامي، ط١، بيروت، ١٤١٩هـ.

١٠٦. الشوقيات، أحمد شوقي، دار الكتاب العربي، ط١، بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٠٧. الصمت وحفظ اللسان، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا، تحقيق: د. محمد أحمد عاشور، دار الاعتصام، ط٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

١٠٨. الصناعتين الكتابة والشعر، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط٢، القاهرة.

١٠٩. طبقات الشافعيّة الكبرى، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٧٦م.

١١٠. طبقات الشعراء، أبو العباس عبد الله بن المعتز، شرح: صلاح الدين الهواري، دار الهلال، ط٢، بيروت، ٢٠٠٢م.

١١١. طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدّة، ١٩٧٤م.

١١٢. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحي بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ - ١٩٩٣م.

١١٣. ظاهرة التكسّب وأثرها في الشعر العربي ونقده، د. درويش الجندي، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٠م.

١١٤. العقد الفريد، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي،محمد سعيد العريان، دار الفكر.

د.ت.

١١٥. العمدة في صناعة الشعر ونقده، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق: د. النبوي عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي، ط١، القاهرة، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

١١٦. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العيني، دار الفكر، د.ت.

١١٧. عون المعبود شرح سنن أبي داود، شمس الحق آبادي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفيّة، ط٢، المدنية المنورة، ١٣٨٩هـ.

١١٨. عيار الشعر، لابن طباطبا، تحقيق: د. عبد العزيز ناصر المانع، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥م.

١١٩. عيون الأخبار، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، شرحه وضبطه: د. يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

١٢٠. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربيّة السعودية – الرياض.

١٢١. فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

١٢٢. فصول في الشعر ونقده، د. شوقي ضيف، دار المعارف، ط٣، القاهرة.

١٢٣. فنّ المديح، د. أحمد أبو حاقة، دار الشرق، ط١، بيروت، ١٩٦٢م.

١٢٤. الفن ومذاهبه في الشعر العربي، د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ط٩، القاهرة، ١٩٧٦م.

١٢٥. في الأدب الإسلامي، د. وليد قصاب، دار الفكر، ط١، دبي، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

١٢٦. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ط٧، بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

١٢٧. القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، دار إحياء التراث

العربي- مؤسسة التاريخ العربي، ط١، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

١٢٨. قواعد الأحكام في مصالح الأنام، سلطان العلماء أبو محمد عزّ الدين عبد العزيز ابن عبد السلام السلمي، دار الكتب العلميّة، بيروت، د. ت.

١٢٩. الكامل في التاريخ، عزّ الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بـ (ابن الأثير)، دار صادر، بيروت.

١٣٠. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: يوسف الحمّادي، مكتبة مصر، القاهرة، ٢٠٠٠م.

١٣١. كنز العمال، علاء الدين الهندي، المكتب الإسلامي، دار صادر، بيروت، د. ت.

١٣٢. لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، ط٣، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

١٣٣. المبالغة في الشعر العباسي، عبد العزيز عبد الله الشبيلي، النادي الأدبي، الرياض، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

١٣٤. المثل السائر، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بـ (ابن الأثير)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصريّة، صيدا- بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

١٣٥. محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء، للراغب الأصبهاني، اختصره: إبراهيم زيدان، دار الجيل، ط٢، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

١٣٦. مدخل إلى الأدب الإسلامي، د. نجيب الكيلاني، دار ابن حزم، ط٢، بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

١٣٧. المدوّنة الكبرى، مالك بن أنس، دار صادر، بيروت، د.ت.

١٣٨. المديح، د. سامي الدهان، دار المعارف بمصر، ط٢، القاهرة.

١٣٩. المديح في بلاط سيف الدولة الحمداني، د. محمد شحادة عليان، دار المعرفة

الجامعيّة، الإسكندرية، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

١٤٠. مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، تحقيق: قاسم الشماعي الرفاعي، دار القلم، ط١، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٩م.

١٤١. المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري، وبذيله التلخيص، للذهبي، دار الكتاب العربي، د. ط، بيروت، د. ت.

١٤٢. مُسند الإمام أحمد، الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، ط١، القاهرة، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

١٤٣. المصنف، أبو بكر عبد الرازق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط١، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

١٤٤. المصون في الأدب، أبو أحمد العسكري، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط٢، القاهرة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

١٤٥. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، كامل المهندس، مكتبة لبنان، ط٢، بيروت، ١٩٨٤م.

١٤٦. المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيات)، د. محمد التونجي، راجي الأسمر، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

١٤٧. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

١٤٨. معجم النفائس، إشراف: د. أحمد أبو حاقة، دار النفائس، ط١، بيروت، ١٤٢٨هـ.

١٤٩. المغني، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، دار الفكر، ط١، بيروت، ١٤٠٥هـ.

١٥٠. المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، عبد الرحيم بن الحسين العراقي. (على هامش كتاب إحياء علوم الدين، للغزالي).

١٥١. مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي، د. عبد الباسط بدر، دار المنارة، ط١، جدّة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

١٥٢. مكارم الأخلاق، ابن أبي الدنيا، تحقيق: جميز. أ. بلمي، دار فرانزشتاينر، بفيسبادن، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

١٥٣. المنصف في نقد الشعر وبيان سرقات المتنبي ومشكل شعره، ابن وكيع التنيسي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار ابن قتيبة، دمشق، ١٤٠٢هـ.

١٥٤. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم القرطاجني، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، د. ت.

١٥٥. موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبّان، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني وعبده علي الكوشك، دار الثقافة العربيّة، بيروت، دار الفيحاء، دمشق، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

١٥٦. الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، ط٤، القاهرة، ١٩٩٢م.

١٥٧. الموافقات في أصول الشريعة، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي الشاطبي، شرح: عبد الله دراز، وشارك في التراجم والفهرسة: محمد عبد الله دراز، وعبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلميّة، د. ت.

١٥٨. موسوعة الحديث الشريف: الكتب الستة (صحيح البخاري - صحيح مسلم- سنن أبي داود - جامع الترمذي - سنن النسائي - سنن ابن ماجة)، بإشراف: صالح بن عبد العزيز محمد بن إبراهيم آل الشيخ، دار السلوم، ط٣، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

١٥٩. الموشح، للمرزباني، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٥م.

١٦٠. نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، د. عبد الرحمن رأفت الباشا، دار الأدب الإسلامي، ط٤، القاهرة، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

١٦١. نحو منهج إسلامي في رواية الشعر ونقده، د. مصطفى العليان، دار البشير، ط١،

عمان، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

١٦٢. نزار قباني قصائد خلف الأسوار، محمد رضوان، دار الكتاب العربي، القاهرة-دمشق: ٢٠٠٤م.

١٦٣. نضرة الإغريض في نصرة القريض، المفظر بن الفضل العلوي، تحقيق: نهى عارف الحسن، مجمع اللغة العربيّة، دمشق، ١٣٦٦هـ/١٩٧٦م.

١٦٤. النظرة النبويّة في نقد الشعر نحو تأسيس منهج إسلامي في الأدب، د. وليد قصّاب، مكتبة علوم القرآن، ط٣، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

١٦٥. النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٩٦م.

١٦٦. نقد الشعر، أبو الفرج قدامة بن جعفر، تحقيق: د. محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، ط١، القاهرة، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

١٦٧. النقد العربي القديم " نصوص في الاتجاه الإسلامي والخلقي"، د. وليد قصاب، دار الفكر، ط١، دمشق، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

١٦٨. نقد النثر، قدامة بن جعفر، تحقيق: طه حسن وَ عبد الحميد العبادي، المطبعة الأميريّة ببولاق، القاهرة، ١٩٤١م.

١٦٩. نوادر المخطوطات، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، ط١، بيروت، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

١٧٠. الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي، دار صادر، ط٢، بيروت، ١٤١١هـ.

١٧١. الوافي في نظم القوافي، أبو الطيب صالح بن شريف الرندي الأندلسي، مخطوطة في المكتبة اليتمورية بدار الكتب المصرية ٦٠٣ أدب. عن تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، د. محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، ط٢، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

١٧٢. الوساطة بين المتنبي وخصومه، علي بن عبد العزيز الجرجاني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

١٧٣. وظيفة الشعر في النقد القديم، د. وليد قصاب .
١٧٤. يتيمة الدهر، أبو منصور الثعالبي، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، المكتبة التجاريّة، ط٢، القاهرة، ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م.

رسائل جامعيّة:

١. الأحكام الفقهيّة المتعلقة بالشعر، هيثم بن فهد بن عبد الرحمن الرومي (رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة، المعهد العالي للقضاء، قسم الفقه المقارن، العام ١٤٢٠هـ - ١٤٢١هـ).
٢. توظيف الإسلام في قصيدة المديح في العصر الأموي (رسالة ماجستير، إعداد الطالب: أحمد جمعة خواطرة، جامعة آل البيت، عمّان، ٢٠٠٣م).
٣. القيم الخلقيّة في النقد العربي إلى نهاية القرن الرابع الهجري، مطلق محمد عسيري، (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة، كلية اللغة العربية، قسم البلاغة والنقد، العام ١٤٠٧هـ).

مجلاّت ودوريات عربية:

١. صورة المجتمع في مرآة الشعر، د. أشرف علي دعدور (مجلة كلية الآداب، المجلد ٥٨، العدد: ١، ١٩٩٨م، القاهرة، ص ٩٤).
٢. ظاهرة المديح في المجتمعات المتخلفة، د. وهبة الزحيلي (مجلة الوعي الإسلامي، العدد: ٨٠، ١٣٩١هـ/١٩٧١م، ص ٤٦).
٣. مذهب العرب في معاني شعر المديح، د. عبد الله بن صالح العريني (مجلة جامعة الإمام، العدد: ٤٢، ص ٤٤٨ - ٤٤٩).
٤. موقف عمر بن عبد العزيز من الشعر والشعراء، د. وليد قصاب (مجلة كلية الدراسات الإسلاميّة والعربيّة، الإمارات العربية المتحدة، العدد: الثالث، ١٤١١هـ، ص ١٧٣- ٢٠٠).

فهرس الموضوعات

الموضـــــــــــــــــــــــــــــــــوع رقم الصفحة

المقدمة ١

التمهيد ١١

- مفهوم شعر المديح ١٢
- مكانة شعر المديح في الأدب العربي ١٣
- مشروعية المديح ١٧
  - ما مدح به القرآن الصالحين ١٧
  - استماع النَّبيِّ ﷺ إلى مديح الشعراء ٢٠
  - أمر النَّبيِّ ﷺ بعض الشعراء بمدح الصالحين ٢٥
  - استماع الخلفاء الراشدين والصحابة إلى مديح الشعراء لهم ٢٦

الفصل الأول: معايير المديح المقبول ٢٩

- تمهيد: موقف الإسلام من الشعر ٣٠
- المبحث الأول: المديح بالقيم الإسلاميّة ٣٦
  - مفهوم القيم ٣٦
  - الدعوة إلى المديح بالقيم الإسلاميّة ٣٧
- المبحث الثاني: عدم التكسب بالمديح ٤٤
  - التكسب بالشعر والنفرة منه في العصر الجاهلي ٤٤
  - موقف الإسلام من التكسب بالشعر ٤٧
    - موقف الرسول ﷺ وأقواله في التكسب بالمديح ٤٩
    - موقف الصحابة والخلفاء الراشدين من التكسّب بالمديح ٥٤

- المبحث الثالث : عدم المبالغة في المديح ٦١
- المبحث الرابع: مدح مَنْ يستحق (الصدق) ٧٠
  - موقف النّبيّ ﷺ من مدح مَنْ يستحق ٧٠
  - موقف الصحابة وصلحاء الأمة من مدح مَنْ يستحق ٧٣
  - قضيّة الصدق في المديح ٧٧
- المبحث الخامس: عدم القطع بالمدح ٨٣
  - نهي القرآن عن القطع في المديح ٨٤
  - نهي السنّة عن القطع في المديح ٨٥
  - نهي الصحابة عن القطع في المديح ٨٦

الفصل الثاني: مزايا المديح المقبول ٨٩

- المبحث الأول: إشاعة القيم الخيرة ٩١
- المبحث الثاني: الاعتراف بفضل الصالحين ٩٧
- المبحث الثالث: تشجيع الصالحين وتثبيتهم ١٠٢

الفصل الثالث: محاذير المديح غير المقبول ١٠٦

- المبحث الأول: ما يتعلق بالمادح ١٠٨
- المبحث الثاني: ما يتعلق بالممدوح ١١٤
  - فتنة المديح للممدوح ١١٤
  - المحاذير التي يكون الممدوح سبباً فيها ١١٧
    - إعطاء الشعراء على المديح ١١٨
    - حمل الشعراء على المبالغة والكذب ١٢١

الموضـــــــــــــــــــــــــــــــوع رقم الصفحة

- المبحث الثالث: ما يتعلق بالمجتمع ١٢٥
  - في الجانب المالي ١٢٥
  - في الجانب الإداري ١٢٦
  - في الجانب الاجتماعي ١٢٧
  - في الجانب السياسي ١٢٨

الفصل الرابع: النماذج المنقودة من شعر المديح ١٣٠

- المبحث الأول: المديح المقبول ١٣١
- المبحث الثاني: المديح المردود ١٤٢

الخاتمة وأهم نتائج البحث ١٥٦

الفهارس ١٦٢

الآيات القرآنية ١٦٣

الحديث النبوي ١٦٦

قوافي الشعر ١٧١

أنصاف الأبيات ١٧٧

الرجز ١٧٨

من شعر التفعيلة ١٧٨

المصادر والمراجع ١٧٩

فهرس الموضوعات.. ١٩٥